المجلة الأمريكية التي يوزع منها كل شهر ١١ مليون نسخة

٣ قروش



المختار

من مجلة

ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

المقال	المصدر	الصفحة
أتخذ من المرض مزية	الدكتور لويس بيش	١
عصا الساحر في مصنوع	مجلة «ليبرتي»	٥
رجال يردعون قائدهم	صحيفة «ويك تلجرام»	١١
بعض العافية لا يكفي	مجلة «يور لايف»	١٣
ناقلة الجنود	صحيفة «نيويورك هيرالد تريبيون»	١٧
الميل الثاني	هارى إيمرسون فوزديك	٢٢
هذا هو قتال الغابات	وليم ل. هوايت	٢٥
هل تستطيع المدارس أن تحو نحو الجيش؟	مجلة «بترهومز آند جاردنز»	٣٧
السحر الأخضر	مجلة «سينس نيوز ليتر»	٤١
من صميم الحياة	لويز ديكنسون ريش	٤٥
خطوط الأنابيب المثل	مجلة «فورتن»	٤٩
الآن يستطيعون أن يمشوا في النور	مجلة «أميريكان ليجيون»	٥٢
توم بين: مجاهد في سبيل العقل	مجلة «نيو ليدر»	٥٦
آية إنسانية	سوفي كير	٦٣
أغاروا على برلين وهم في بنجهامتن	مجلة «حقائق الطيران»	٦٩
القضاء على غازى العالم الجديد	مجلة «العصر الحى»	٧٢
صورة أسرة أمريكية	مجلة «النقد»	٧٨
آخر معارك المدمرة «بورى»	مجلة «لايف»	٨٣
تغلغل الطيران في حياة كولومبيا	مجلة «ذى بان أميريكان»	٨٩
«الكيوت» الماكر	مجلة «نايتشر مجازين»	٩٢
نقل الدم في متناول الجميع	مجلة «سرفاى جرافيك»	٩٦
بطولة الكذب		٩٩
ورقة بألف دولار	مجلة «كوزموبليتان»	١٠٠
كتاب الشهر: أيها الرواد!	هلارى سنت جورج سوندرز	١٠٥

يونيه ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في خمس لغات . . إن الطبعات الانجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . وهذا هو العددُ العاشر من الطبعة العربية . وقد وُزِّعت نسخهُ في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة **٣** قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى **٣٠** قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن **٣٥** ملاً — العراق **٣٥** فلساً — سوريا ولبنان **٣٥** قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل **٤٠** قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون


من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

السنة الاولى — يونيه ١٩٤٤ — المجلد ٢ العدد ١٠

اتخذ من المرض مزية

الدكتور لويس بيتش

مؤلف كتاب "احمد اضطراب الأعصاب"

كنت إلى الأمس فقط صحيحاً معافى في بدنك، ونشيطاً خفيفاً، وكان السقم ظلا بعيداً، وإذا بالمرض يفجأك فتتخلخل ركبتاك، فتظلع إلى فراشك، وأنت الآن طريح في غرفة المرضى وعضو جديد، برغمه، في جماعة إخوان الألم.

وتنازعك نفسك أن تسخط من فرط تجبرك على القدر، وأن تنحى بمرارة على هذا التدخل قبل أوانه في مجرى الحياة وتعويق تحدرها، غير أن مرضك قد يجنيك فوائد محققة لا تقتصر على التقوى. فإن هذه الاجازة الجبرية التي تقضيها في فراشك تقصيك بغير لوم عليك عن العالم الصاخب المكدود، وتشحذ قواك ومدركاتك العقلية والروحية، وتتيح لك أن ترى حياتك في صورة أجلى وأبين. وكل مرض جدي ينبغي أن يعد فرصة لجباية أرباح، وتوليد نشاط، وابتعاث همات لا تستطيع الصحة أن تؤتينا إياها.

وليس كلامي على هؤلاء الزمنين من المرضى الذين يقضى عليهم السقم بأن يظلوا مثبتين، والذين ترفعهم بطولة احتمالهم وتكييف حياتهم على مقتضى حالهم، فوق مرتبة الأوساط العاديين، فإن المؤرخ الأمريكي العظيم فرانسيس باركمان مثال باهر لكل من تغلبوا على الألم وقهروه. فقد كان باركمان معظم حياته، لشدة مايعاني من الأوجاع، لا يستطيع أن يعمل أكثر من خمس دقائق متصلة، وكان نظره من الضعف والسوء بحيث كان لا يستطيع أن يخط إلا

يضع كلمات بحروف جليلة على رقعة . وكان في عذاب غليظ من سوء الهضم والروماتزم الحاد والصداع الأليم . وكان كل بدنه تقريباً خارجاً عن حد الصحة ، ومع ذلك وسعه أن يكتب حوالى عشرين مجلداً رائعاً من التاريخ .

على أن الذى يعنينا هنا هو الرجل العادى الذى يصيبه المرض لأول مرة . وأمثاله ممن يعرض لهم المرض قلما يتعلمون أن يفيدوا من المرض كل ما يفاد ، لأنهم يعدونه نازلة رماهم بها سوء الحظ . غير أن آلافاً قد اهتدوا إلى نفوسهم فعلا للمرة الأولى أثناء المرض . ومن هؤلاء « الطبيب المحبوب » الدكتور إدوارد لفنجستون ترودو ، فقد أرسل إلى الجبال ، وهو طبيب ناشئ ، وكان المتوقع أن يموت بالتدرن الرئوى ، ولكنه لم يمت . وكان وهو راقد فى فراشه يحلم بمستشفى كبير يعيد فيه الصحة إلى المرضى ويبنى أجسامهم بناء جديداً . وكان ، وهو طريح على سريره ، يفحص مرضى لم يتفاقم مرضهم كما تفاقم مرضه ، وجمع مالا ، وجاهد حتى تحقق حلمه . وقامت مصحته العظيمة فى سراناك ، ونفعت آلافاً من المصابين بالتدرن . وهكذا كان من فضل المرض على ترودو أن صار الطبيب الخامل الذكر طبيباً عالمى الشهرة .

والواقع أن المرض يغيرنا كما تغيرنا أية تجربة كبرى . فكيف يحدث ذلك ؟ إنه يحدث لأننا أولا نعفى إلى حين من الضغط الفظيع الحادث من معاناة العالم المندفع ، وتنحط عن كواهلنا التبعات كما يذوب الثلج فى أبريل ، فليس علينا أن ندرك قطاراً ، أو أن نعنى بأطفال ، أو أن نضبط ساعة ، وندخل فى عالم من التأمل والتحليل النفسى ، ونفكر فى روية للمرة الأولى على الأرجح فى ماضينا ومستقبلنا ، فنرى أن الأشياء قد تغيرت قيمتها ، وتبدو لنا مناهج العمل المألوفة ضعيفة أو غير حكيمة ، أو منطوية على لجاجة وعناد ، وكأن المرض يتيح لنا أندر ما فى الدنيا ، هو « فرصة ثانية » لا للانتفاع بالصحة وحدها ، بل بالحياة نفسها .

والمرض يطرد من رءوسنا سخافات كثيرة ، ويردنا إلى التواضع والتطامن ، ويرينا أنفسنا على حقيقتها ، وبأقدارها الصحيحة ، ويمكننا من إلقاء نور كاشف على طوايانا ، ويرينا كم مرة اعتبرنا بفشلنا وضعفنا ، أو هربنا من مواجهة المواقف الحيوية ، وانثنينا متململين متعضين ، وتبرز لنا أخطاؤنا فى أعمالنا وفى صلاتنا الزوجية والاجتماعية . وأبرز ما يكون الأثر النافع للمرض حين يعرونا منه جزع . وكثيراً ما أصلحت التيفودية والالتهاب الرئوى من

حال السكيرين واللصوص والكذابين والذين يعنفون بزوجاتهم إلى حد الضرب . وقد يكون من الخير أن يصيبنا مرض يقف بنا على عتبة الموت ، فإن بعض الناس لا يهتدى إلى نفسه ، ولا يعرف ربه ، ولا يفطن إلى ما خلق له من عمل فى الدنيا ، إلا حين يستقيم الطريق ويضيق الباب .

وقد استطاعت فلورنس نيتنجيل ، وهى لا تكاد تقوى على مبارحة فراشها ، أن تعيد تنظيم المستشفيات فى إنجلترا . وكان باستور وهو نصف مفلوج ، ومهدد بالشلل التام لا يمل ولا يفتر وهو يكافح المرض . ولا آخر لما يمكن إيراده من الأمثلة ، وهى كثيرة حتى من حياة من لا يرتقون إلى هذه المنازل الملحوظة . فقد فطن شاب قضى فى المستشفى أسبوعين إلى أنه كان دائماً يريد أن يكون باحثاً فى الكيمياء ، وكان إلى ذلك الحين لا يتسع وقته إلا لعمله كبائع متجول للعقاقير ، وهو اليوم رجل ناجح فى عمله الجديد . وبينما كانت إحدى السيدات فى دور النقه من الحمى القرمزية ، تغلبت وهى فى الأربعين ، على جزعها من الشيخوخة . فقالت : «لست أنوى الآن أعود إلى إحساسى السابق بأنى زيادة لا خير فيها ، وقد تزوج أبنائى ففى وسعهم أن يعنوا بأنفسهم ، وسأفتح دكاناً لقبعات السيدات وما إليها . وسأجعلها بحيث تعجبهن » ، وقد فعلت ، ولا حاجة بنا إلى القول بأن السيدات قد أحببن ما عندها .

وقد دلتنى أحاديثى مع المرضى ، أثناء مقامهم فى المستشفى ، على أنهم – كما يقولون – تعلموا لأول مرة معنى الصداقة الحقيقية ، وهو ما كان يخطئونه فى العالم الحديث المعقد الصور ، ويقولون أيضاً إنهم اهتدوا إلى أعماق خفية فى تيار حياتهم . وقد كتب أحدهم يقول : « بعد أيام قليلة تقضى فى الفراش يصبح الزمن ترفاً لم نكن نتصوره . فهناك وقت للتفكير ، ووقت للاستمتاع ، ووقت للإبداع والابتكار ، وأخيراً وقت للتعبير عن خير ما فى الطبيعة الإنسانية وأعمقه . والمرض من أعظم مزايا الحياة ، وهو يهمس فى الأذن بأن مصير الإنسان مرتبط بأسمى القوى . والمرض يتحيف أطراف الحياة ويترك ما فيه الخلاصة » .

حتى الألم يمنحنا البصيرة ، وجمال النظرة ، وفلسفة حياة ، وفهماً للإنسانية وتسامحاً معها — أو باختصار يهبنا السلام فى القلب والصفاء فى النفس ، اللذين لا يستطيع أن يبلغهما ويفوز بهما السليم المعافى . والألم نار مطهرة تأتى على كثير من الخسة والتفه والقلق فيما يسمى «الصحة» وقد قال ملتون « خير الناس عملا أكثرهم عذاباً » ،

والدليل قصيدته « الفردوس المفقود » التى نظمها بعد ذهاب بصره .

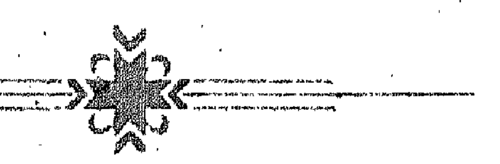
وتجد ، وأنت مريض، أن خيالك أنشط مما كان فى أى وقت مضى ، وأنه لايعوقه أو يكبحه شئ من توافه الحياة ، فتحلم وأنت مفتوح العينين ، وتبنى قصوراً فى الهواء ، وتعد خططاً وترسم مناهج ، وتعود إليك قوتك وصحتك ، فلاتفترخيالاتك ، ولا تتبدد نفسك ، بل لعلها تكتسب روحاً عمليا أقوى ، فيستقر عزمك على ما ترى أن تقوم به وتنجزه بعد شفائك .

وتنمو قدرتك على تركيز عقلك وخواطرك ، وتدهشك السهولة التى تحل بها المعضلات فلماذا ؟ لأن غريزة حفظ الذات تنشط ، ولأن كل ماهو غير جوهرى يذهب ويسقط ، ويعمق وقع ما ترى و سمع فى نفسك ، وتصير أحس به ، وتلفى نفسك تتذكر طائراً حط على نافذة ، وما يرتسم على وجه صديق لك ، ويبقى ذلك معك فلا تنساه ، ويرهف المرض حسك ، ولهذا قد تكون ضجوراً ، وقد تبكى لأتفه مثير ، ولكن هـذا الإحساس المرهف ينبغى الانتفاع به ، وهـذا هو الوقت الذى تعالج فيه نفسك حتى تقيمها على نهج خاص ، فتتوسع فى القراءة أو تبتكر آراء جديدة .

والجسم السقيم على خلاف الاعتقاد الشائع لا يسقم العقل حتما ، إلا إذا كان المرء يريد أن يتخذ من المرض عذراً للكسل ومسوغاً له ، وما من أحد يحق له أن يجعل من مرضه كائناً ما كان ، مسوغاً لفشله أو عجزه .

وقد عرف الفنانون والعشاق أن الألم يفيد المرزوء جمـالا مشرقاً . وهو جمال لا علاقة له بالثياب أو الأصباغ ، وإنما هو جمال من النفس يضئ الروح ويفيض نوراً على وجوه الذين تعلموا أن ينظروا إلى المرض كأنه تحد يجب أن يواجهوه بالأمل والشجاعة .

وإذا كنت لم تمرض قط ، ولم تضيع يوما واحداً على سريرك ، فإنك تكون قد فاتك شئ له قيمته . ولا تجزع حين يجئ دورك . وذكر نفسك بأن الآلام والأوجاع قد تعلمك شيئا قيما ، شيئا ما كنت لتتعلمه بغيرها ، وقد تغيرك وتجعل نهج حياتك كله خيراً وأصلح ، ولأنت والذين يحفون بك خليقون أن تكونوا أسعد إذا استطعتم أن تعدوا أى مرض يصيبكم نعمة متنكرة فى زى نقمة ، وأن تجعلوا همكم أن تنتفعوا بهـا . وفى وسعك دائماً أن تجعل من المرض مزية .



في وقدة الحر، وبآلات قليلة، قام الكابتن إدورد إيلزبرج، ومعه نفر من البحارة الأمريكيين بعمل لم يسبق له نظير في تاريخ الإنقاذ والترميم، مما ساعد البريطانيين على الاحتفاظ بسيطرتهم على البحر المتوسط.

عصا الساحر في مصوع

هارلند مانشستر
ملخصة عن مجلة "ليبرتي"

لم يزل جو مدينة مصوع أردأ جو في العالم، فهو خليط من حر لا يطاق ورطوبة تقارب ٩٠ ٪، وزوابع سافية لا تحتمل. ويعمل سكانها البيض بضع ساعات عند مطلع الفجر وعند الغروب، أما بقية ساعات النهار فيقضونها رقوداً في الظل يلهثون، وبأيديهم كؤوس الماء.

كانت مصوع في ربيع سنة ١٩٤٢ خراباً. وكان الإيطاليون، يوم طردهم البريطانيون من قاعدتهم البحرية ومينائها الفخم، يفخرون بأنهم لم يخلفوا وراءهم شيئاً ينتفع به أحد، إذ أغرقوا الحوض الجاف بماء عمقه خمسون قدماً وعرضه نحو نصف ميل وطوله ٦٠٠ قدم. وأغرقوا حوضاً آخر أصغر منه، وتركوا في الميناء ٢٦ سفينة مغرقة.

وقد حطم الإيطاليون بالمطارق الكبيرة كل آلة في مصنع الترميمات البحرية المجهزة بأحسن المعدات. ثم استولى البريطانيون والفرنسيون الاحرار فيما بعد على كل ما يسهل حمله فلم يتركوا مفكا ولا مطرقة.

غير أن الحلفاء كانوا في أشد الحاجة إلى مصوع، فقد كان رومل يزحف إلى القاهرة ويقذف قاعدة الإسكندرية قذفاً شديداً حتى عطلها فأصبح لزاماً على السفن البريطانية أن تبقى مسمرة في شرق البحر الأبيض المتوسط، فاضطرت، لما غشي أسافلها من أصداف البحر، أن تحط سرعة سيرها إلى النصف، وأن تحتفظ بصلاحها للعمل جهد المستطاع، لأن أقرب قاعدة للترميم هي ميناء «دربان» بأفريقية الجنوبية، على بعد أربعة آلاف ميل.

أما مصوع فتبعد ٩٠٠ ميل عن القاهرة ولربما كان ترميم السفن في أحواضها هو الحد الفاصل بين النصر والهزيمة. وقد

اعترف البريطانيون بأنهم لا يملكون العمال ولا الأدوات اللازمة لإنجاز العمل ، فلجأوا يطلبون العون من الولايات المتحدة .

هكذا كانت الحالة فى أوائل ربيع سنة ١٩٤٢ يوم هبط من طائرته الكابتن إدورد إيلزبرج ، وهو ضابط من رديف البحرية الأمريكية ، أوفدته حكومته لترميم قاعدة مصوع . ففحص المكان ووضع خطته . وفى ٩ مايو وافاه خمسة غواصين وسبعة من العمال الميكانيكيين — وكانوا طليعة فرقة المرممين الأمريكية التى لم يزد عدد أفرادها قط على ١٤٠ رجلا . فلما كان شهر يولية كان الحوض الجاف صالحاً للعمل .

وقد جعلت تلك الفرقة الأمريكية الصغيرة تبتكر وتستنبط ، وتستخدم ما تصل إليه أيديها وتعمل تحت شمس لافحة حتى ما يطيق أحد أن يلمس الأدوات دون قفازات . هذا إلى طائفة من العمال ذوى ضراوة وشراسة ، من الأسرى الإيطاليين والأهالى ، كان عليها أن تروضهم وتسوسهم ، ومع ذلك أصلحت هذه الفرقة القاعدة البحرية ورممت ٨٠ سفينة أصبحت على أتم الأهبة للهجوم على جيش روممل فى نوفمبر من تلك السنة .

واليوم يعترف البريطانيون وهم آمنون بأن مركزهم كان يدعو إلى اليأس ، ففى الوسع أن نتحدث عن البراعة والشجاعة اللتين أنجزتا معجزة مصوع .

حين غطس الكابتن إيلزبرج يفحص الحوض الجاف المغرق رآه مؤلفاً من ثمانى غرف مسدودة سدًّا محكما لا ينفذ إليها الماء : سبع غرف منها قد حطمتها القذائف ففتحت فى قعر كل غرفة منها حفرة يبلغ طولها عشرين قدماً ، أما جدران الغرف — وكانت مجوفة ويبلغ سمكها ١٤ قدماً — فلم يلحقها أذى .

وقد قال إيلزبرج لرئيس عماله : « إن هذا الحوض يشبه جرساً هائل الحجم من أجراس الغواصين . وأرى أن لا نحاول أن نرأب الصدوع ، بل أن نحكم سد منافذ الهواء فى جدرانها ، ثم ننفخ فيها الهواء فيعوم الحوض » .

ترى لماذا أهمل الإيطاليون الغرفة الثامنة ولم يحطموها ؟ خشى الكابتن إيلزبرج أن يكونوا قد وضعوا فيها قذيفة تنفجر لأقل اهتزاز إذا ما بدأ العمل .

نزل الكابتن إيلزبرج ومعه أحد الغواصين إلى الغرفة الثامنة ، فإذا فيها ، ولا ريب قذيفة تزن مئتى رطل . فترفقوا حتى لفوا عليها حبلا ورفعوها إلى سطح الماء . ثم أخذها خبراء بريطانيون إلى

مكان يبعد خمسة أميال وجروها ، فهزت مصوع هزة الزلزلة ، وخرج الناس مذعورين يعدون فى الشوارع .

وإذا ذاك بدأ الإنقاذ . فسدّ الغواصون الثقوب حتى لا ينفذ الهواء منها أو إليها ، وكانت درجة حرارة الماء ٩٥ فهرنهيت (٣٥ مئوية) ، حتى قال الكابتن إيلزبرج : « ظننت هذا مكاناً يغنى الغواصين عما ألفوا لبسه من القمصان الصوفية الثلاث ، ولكن من العجيب أننا لم نلبث أن رأينا أن لا بد من لبس القمصان الصوفيـة ، وإلا فإن العرق يتصبب ، ثم إذا بزّة الغواص تكشط الجلد عن لحمه » .

وفى أثناء القيام بتلك المهمـة لم يصب أحـد من العمال بأى مرض من أمراض المناطق الحارة أو بالرّعن (ضربة الشمس) وذلك بفضل النظام الدقيق ، والعنـاية الطبية الوافية ، وتحريم الخمر ، إلا أن نحو ربع العمال لزموا المستشفى بسبب الطفح (حمو النيل) .

وكان الاعتقاد الشائع أن الأوربيين فى مصوع لا يستطيعون أن يعملوا أكثر من أربع ساعات أو خمس فى اليوم . ولـكن الكابتن إيلزبرج يقول : « لم نكن لنسمح باتباع تلك العادة ، إذ كان لا بد من إعداد قاعدة مصوع البحرية فى ذلك الصيف وإلا فلا فائدة منها على الإطلاق . فلم يكن بد من العمل عشر ساعات — وأحياناً اثنتى عشرة ساعة — فى اليوم . وفقد كل عامل منا عشرين إلى ثلاثين رطلا من وزنه ، ولـكنا كنا قوماً أشداء فاحتملنا » .

إن تعويم حوض مغرق بواسطة الهواء المضغوط ، عمل دقيق محفوف بالمخاطر ، إلا أن إيلزبرج ، الذى استعمل الهواء المضغوط فى سنة ١٩٢٥ لتعويم الغواصة الأمريكية رقم س ٥١ كان من أقدر أهل ذلك الفن . فبعد أن سد الغواصون الحوض الجاف سداً محكما لا ينفذ منه أو إليه ، أخذوا يملأون الغرف الثمانى هواء ، وهم يحرصـون على أن يكون الضغط فى جميع الغرف متعادلا ، لئـلا ينقلب الحوض على أحد جوانبه . ولو زاد الضغط فى إحدى الغرف زيادة كبيرة لنسف جدران الغرفة ، ولضاع العمل كله .

قال إيلزبرج : « لقـد كان الحوض أشبه شىء بأرغن ذى أنابيب توقع عليه لحناً موسيقيا . فإذا ما بدأت الآلات الضاغطة للهواء عملها فلن تمر أربع وعشرون ساعة حتى يتم العمل . وكان العمال يسترقون الدقائق ليغفوا قليلا ، إلا أن الهواء كان ينفذ من وقت إلى آخر من فتحات صغيرة فيضطر العمال أن يغوصوا ، ليلا أو نهاراً ، ليسدوها .

وكانت الغرفة السليمة فى مؤخرة الحوض هى الجزء الذى عام أولا ، فانكشف الثقب الذى كان قد انفتح بقوة الانفجار فى الغرفة المجاورة ، وصار فى الوسع ترميمه فوق سطح الماء . وساعدت الغرفة الثانية ، التى أصبحت مسدودة سدا محكما ، على زيادة طفو الحوض بحيث ظهر الثقب التالى . واستمر العمل على هذا المنوال من مؤخر الحوض إلى مقدمه ، على صفائح بلغت درجة حرارتها أحياناً ١٦٥ فهرنهيت ، فإذا وضع العامل إحدى أدواته فى الشمس اضطر أن يلتقطها بقفاز ثم يغطسها فى ماء البحر قبل استعمالها . وكان العمال يشربون أربعين كوباً من الماء فى اليوم ، ويتعاطون قرصاً من الملح مع كل جرعة رابعة . وكانت ثيابهم عند ما تجف تظهر عليها خطوط من الملح .

وكان بعض الخبراء قد قدروا أن ترميم ثقوب الحوض وإعداده للعمل سيستغرقان عاماً من الزمن ، ولكن بفضل الخيال والاستنباط والذكاء ، والنشاط الذى لا يعرف الكلال ، تمكن ثلاثة عشر رجلا من إنجاز مهمة إنقاذ ميئوس منها ، فى تسعة أيام .

أما تعويم الحوض الأصغر فلم يتم بمثل تلك السهولة ، إذ اتضح ، بعد تعويم الجانب الأيمن منه ، أن هنالك خرقاً ينفذ منه الهواء ، فتطوع حداد يسمى أرمسترونج أن يغطس ويسد الخرق ، وغطس معه عامل أمريكى يدعى لارسن وهو لحام ، وعامل إنجليزى يدعى جونز . وما هو إلا أن تعطلت آلات ضغط الهواء حتى غاص الحوض ١٢ قدماً تحت الماء ، فأخذ الرجال يتسلقون طلباً للنجاة ، فنجوا إلا الثلاثة الذين غاصوا .

فغاص إيلزبرج ووصل عن طريق ثغرة إلى الغرفة التى غمرتها المياه ، ولمست يده جسما ليناً فأمسك به وانتشله إلى سطح الماء . فإذا هو أرمسترونج مغمى عليه . ثم غطس إيلزبرج مرة ثانية وأخرج لارسن . ثم مرة ثالثة وأخرج جونز .

وبعد قليل أفاق لارسن وجونز . أما أرمسترونج فقد بذلت محاولات كثيرة لإنعاشه ، واستمرت تلك المحاولات عشر ساعات ولكنها أخفقت ، إذ قضى المسكين نحبه . وهو الرجل الوحيد الذى هلك فى مصوع .

أما مصانع الترميم على الشاطئ فكان منظرها كمنظر معمل دمرته القنابل . وكانت الآلات والأدوات قد طلبت من الولايات المتحدة ، ولكن وصولها كان يتوقف على العقبات التى تعترض الإنتاج وعلى غواصات المحور . وكانت أمريكا قد

وعدت بإرسال عمال ميكانيكيين أيضاً ، إلا أن إيلزبرج لم يكن فى وسعه أن ينتظر الرجال أو الأدوات وقد قال : « لقد جاءنى خبر منشارين من مناشير النجارة فسرت إليهما ثمانين ميلا كى أشتريهما . وعثر بعض رجالى على بضعة محركات كهربائية وبعض آلات متروكة بين التلال البعيدة ، وكنا كلما وصلت سفينة نستعير منها مفكا أو إزميلا » .

على أن الإيطاليين لم يكونوا حيث يظن بهم من المهارة ، فإنهم لم يحطموا جميع الأجزاء المتماثلة فى المحركات الكهربائية . فلما أخذ عمال إيلزبرج يجمعون الأجزاء غير المحطمة استرجعوا ربع الآلات الأصلية ، وتمكنوا أيضاً من إصلاح بضع مخارط . وباستعمال أساليب أولية قديمة تمكنوا من صنع أجزاء تحل محل الأجزاء المحطمة ، فلم ينقض شهران حتى كانت جميع العدد فى قسم الآلات أو النجارة أو صفائح الصلب ، تقوم بعملها ، فلما وصلت الآلات المطلوبة من أمريكا لم تكن ثمة حاجة إليها ، فأرسلت إلى جهات أخرى .

وذهب إيلزبرج إلى معسكر الاعتقال بإريتريا وأحضر معه نحو مئة عامل ميكانيكى من الإيطاليين الراغبين فى العمل . ولم يمض زمن قليل حتى كان العمل يجرى بنظام ، وعلى كل قسم من المعمل رئيس أمريكى واحد .

فلما اتسع نطاق العمل انضم إلى العمال مصريون وهنود وأحباش وصوماليون وصينيون ومالطيون ونورويجيون وعمال من جنوب أفريقية .

وفى أوائل شهر يونية وصل إلى ميناء مصوع « رفاس » صغير يسمى « إنتنت » معد لترميم المراكب وهو أصغر من معظم المراكب التى من نوعه فى ميناء نيويورك ، فقطع اثنى عشر ألف ميل فى رحلة استغرقت ستين يوما ، من بورت آرثر بولاية تكساس الأمريكية عن طريق رأس الرجاء الصالح . فعهد إيلزبورج إلى قبطانه ، أديسون براون ، وبحارته وعددهم ستة عشر رجلا ، بتعويم سفينة ألمانية تسمى « ليبنفلز » ، وحمولتها ثمانية آلاف طن كانت قد أغرقت هنالك .

وتم إنجاز المهمة فى الرابع من يولية ، واحتفالا بإنجازها رفعت الراية الأمريكية فوق راية « السواستيكا » (الصليب المعقوف) ، ثم قطرت السفينة إلى الميناء ، فأدخلها إيلزبرج ورجاله فى الحوض الجاف ، وجهز قعرها بصفائح جديدة أعدها لها فى مصنع الترميم . وأكمل إصلاح جميع عددها حتى أصبحت سفينة جديدة تنقل الذخائر الحربية تحت الراية البريطانية ، فكانت أول سفينة أنقذت وتسنى للحلفاء تعويمها وترميمها

وأصبح ميناء مصوع قاعدة بحرية للاستعمال . وفى شهر يولية — بعد وصول إيلزبرج بنحو شهرين — عرض عليه أمير البحر هاروود ، قائد الأسطول الإنجليزى بالبحر الأبيض المتوسط ، مشكلة عويصة . ذلك أن طراداً إنجليزيا كان قد عاد من معركة بحرية وفى مؤخرته ثقب كبير ، وكان الحوض الجاف أقصر من الطراد بمئة قدم . فخطرت ببال إيلزبرج إذ ذاك فكرة غريبة ، لم يجر على مثلها العمل . فإذا كان الثقب فى مؤخرة الطراد فلماذا لا ترفع المؤخرة وحدها عن سطح الماء ، ثم تصلح ؟

ووافق أمير البحر هاروود على ذلك ثم قال : « أسألك بالله إلاّ ما حرصت على الطراد ، فهو ربع أسطولى ! » فقد كان يخدع قائد الأسطول الإيطالى بأربعة طرادات فقط ، أحدها عاجز غير صالح .

ودلف الطراد فى ميناء مصوع ، ومعه فريق من عمال الترميم بالإسكندرية . فرفع الأمريكيون مؤخر الطراد واشتغل الميكانيكيون الإنجليز ليلا ونهاراً حتى جددوا تصفيح الثقب . وكان لابد من لىّ الصفيحتين الأخيرتين حتى تطابق المؤخرة ، ولم يكن مصنع مصوع يستطيع لى مثلهما . فقال إيلزبرج : « أحموا عليها نيران مشاعل الطرق ، ثم استعملوا فى ليهما المطارق الكبيرة » . وكان هذا من الأشياء التى يستحيل أن تتم ! إلا أن إيلزبرج عرض الأمر على اثنين من العمال الأمريكيين الأشداء ، فشرعا من فورهما فى العمل ، ولم تنقض ثلاث ساعات حتى أنجزاه ووضعا الصفيحتين فى مكانهما . وبعد اثنى عشر يوماً تسلم أمير البحر هاروود طراده . وبعد ذلك أصلح طرادان بريطانيان آخران فى مصنع مصوع البحرى .

ولما فرغ الكابتن إيلزبرج من مهمته ، ذهب إلى الجزائر وقدم نفسه إلى الجنرال أيزنهاور ، وظل يقوم بأعمال الإنقاذ والترميم إلى أن دخل مستشفى الجزائر . وقد عاد الآن إلى أمريكا ، ورأت بحرية الولايات المتحدة أنه قام بأعمال عظيمة فكافأته بوسام الاستحقاق .

****

تعليق لاذع

فى حفلة بهليوود ، كانت إحدى ممثلات السينما شديدة الجفاء ثقيلة الوطأة على أحد المدعوّين . فالتفت الرجل الذى صحبها إلى الحفلة وقال معتذراً : « أرجو أن تغتفر لصديقتى سلوكها . إنها الليلة منطلقة على سجيتها » .

رجال يودعون قائدهم

اِرنى پيل

عرفت فى هذه الحرب كثيراً من الضباط أحبهم وأجلهم وكان تحت إمرتهم من الجنود ، ولكنى لم أقف قط على رجل صغت إليه القلوب كما صغت للكابتن هنرى واسكو من أهل بلتون بولاية تكساس .

وكان الكابتن واسكو يتولى قيادة إحدى الفصائل فى الفرقة الأمريكية السادسة والثلاثين ، وهو شاب فى الخامسة والعشرين ولكنه يطوى جوانحه على إخلاص ورقة تحببان إلى الناس أن يصيروا طوع أمره .

قال لى جاويش : « إن له المنزلة الثانية فى قلبى ، بعد أبى » .

وقال أحد الجنود : « لقد كان يتعهدنا دائماً ويتعب أبداً لراحتنا » .

وكنت واقفاً فى طرف درب تسلكه الدواب ، ليلة حملوا إلينا الكابتن واسكو من الحومة قتيلا ، وكان القمر يوشك أن يكون بدراً يريك أقصى الدرب . وكانت البغال لاتزال تنحدر من الجبل طول الليل ، وقد شدت على ظهورها جثث القتلى ، مكفأة على بطونها فوق سروجها الخشبية ، قد تدلت رؤوسهم من جانبها الأيسر ، وبرزت أرجلهم اليابسة من الجانب الآخر ، تهزها خطوات البغال .

ولست أدرى من أول قتيل جاءوا به ، فإن الحى ليتضاءل فى حضرة الموتى ، ويمسك لسانه عن لغو السؤال . وبعد قليل حدروه من ظهر الدابة ، وجعلوه لحظة قائماً على قدميه ، تكاد تخاله فى الضوء الشاحب مريضاً قائماً يتوكأ على رفيقه . ثم وضعوه فى ظل الجبل ، وتركناه حيث هو بجانب الطريق ، وعدنا أدراجنا إلى السقيفة ، فاضطجعنا على التبن ، وطفقنا نتحدث ، ريثما يصل الفوج التالى من البغال . ثم دخل علينا جندى فأنبأنا أن جثثا أخرى قد وصلت ، فخرجنا إلى الطريق ، وإذا بأربعة بغال فى ضوء القمر ، وإلى جوارها الجنود الذين جاءوا بها .

وبادر أحدهم يقول : « هذا هو الكابتن واسكو » ، وحل وثاق جثته رجلان ، ووضعاها فى ظل الجبل ، وظل

آخرون ينقـلون سائر الجثث . وأخـيراً رأيت خمس جثث جنباً إلى جنب فى صف مستطيل ، وفى ميادين القتال لا يغطى الموتى بل يتركون هكذا فى الظل ، حتى يتقـدم إليهم من يواريهم .

وانطلقت البغال إلى حدائق الزيتون ، أما الرجال فقـد وقفوا فى الطريق كأنما يأبون أن يرحلوا ، ولكنى لم ألبث أن رأيتهم يمرون ، واحداً فى أثر واحد ، بجثة الكابتن واسكو . ولم يكن كل همهم فيما أظن ، أن يملأوا أعينهم منه ، بل أن يودعوه ويودعوا أنفسهم .

وجاء جندى ونظر إليه ثم رفع الصوت قائلا : « تبا لها ! » ولم يزد .

وجاء آخر فقال : « تبا لها وسحقاً ! » وظل ينظر لحظة ثم ولى وذهب .

وجاء ثالث ، وأظنه كان ضابطاً ، فقـد كان من العسير أن تميز الضباط من الجنود فى الغلس ، وهم جميعاً شعث غـبر . ونظر الرجل فى وجه القائد الميت ، ثم خاطبه كأنما يخاطب حيا فقال : « إنى لحزين آسف أيها الصديق ! » .

ثم أقبل جندى فوقف إلى جانب الضابط وانحنى على الجثـة ، وأنشأ يخاطب قائده الهامد .

قال : « إنى لمحزون يا سيدى » ! .

وعندئذ جلس الأول القرفصاء ، وأخذ يد القـائد فى يده ، ولبث عـدة دقائق ، ممسكا بيده تلك اليـد الباردة ، محـدقاً فى وجه الميت ، وظل لم ينبس ببنت شفة .

ثم ما لبث أن أرسل ما فى يده ، وأقبل يسوى بنيقة القائد فى رفق ، وينظم أطراف ثوبه الممزق من حول جرحه ، ثم نهض ، وانطلق يمشى وحده تحت ضوء القمر .



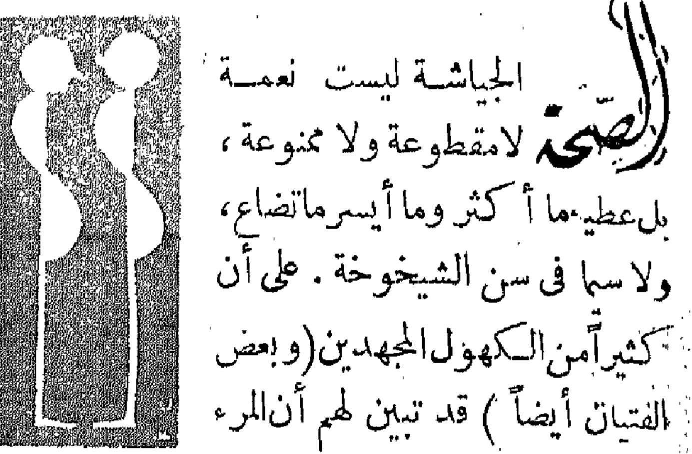
● يابنىّ — قال الوالد لولده — كن كريما أديباً فى معاملة جميع الناس ، حتى الذين يسيئون الأدب إليك ، إذ عليك أن تذكر أنك لاتتوخىّ كرم النفس مع الغير ، لأنهم سادة كرام ، بل لأنك أنت سيّد كريم .

[صحيفة التايمز بالاباما]

« يستطيع معظمنا أن يكون أحسن مما هو — فيكون أسعد مما كان »

بعض العافية لا يكفي!

بروس بارتن • ملخصة عن مجلة « يورلايف »



الصحة الجياشة ليست نعمة لامقطوعة ولا ممنوعة، بل عطيتها ما أكثر وما أيسر ما تضاع، ولا سيما في سن الشيخوخة. على أن كثيراً من الكهول المجهدين (وبعض الفتيان أيضاً) قد تبين لهم أن المرء إذا اقتصد في اتباع بضع عادات صحية بسيطة، استطاع أن يسترد نشاطه واستمتاعه بالحياة.

كان من دأب صديقي القديم بيل براون المدرب الرياضي أن يقول: « ليس الحمل هو الذي ينقض ظهورنا، بل طريقة حمله » وهو يريد إلى ما يبيد قوة الإنسان من اختلال هيأته وقامته. تأمل هيأة المرء يوم يقارب الكهولة: تتقوّس كتفاه، وينخسف صدره، وتندلق بطنه، ويقع ثقل جسمه على عقبيه، وهي الهيأة المعروفة عند الأطباء بهيأة « الغورلىّ ». ولا عجب أن يسرع الكلال إلى مثله، وأن يحس كأنه منفضة سجائر مثقلة بما تحمل. إن رئتيه لا تكادان تحصلان من الأكسجين على أكثر من ثلث ما يحتاج إليه، وعموده الفقرى المقوس يقذف بأحشائه جميعا إلى غير مواضعها، فيعرقل هضم الطعام وإخراج الفضلات.

وقد علمنا بيل — نحن الكهول المترهلين — أن نسوى منا كبنا بأن ندير راحات أيدينا إلى الأمام، وهى مرسلة على الجنبين، وأن نتنفس نفساً عميقاً كأننا نشم عطراً ذكياً. وبهذه الحركات يتسع الصدر، فيستوعب قدراً كافياً من الأكسجين. ولكى تصون الحجاب الحاجز في موضعه، تصور كأنما تسنده قبضتان قويتان، وهى لعبة يتعلمها طلبة الكلية الحربية في الولايات المتحدة فتفعل في عضلات البطن الأعاجيب. ثم بدلا من أن تقف على عقبيك خائراً، وأصابع قدميك متنافرة كمخالب البطريق (طائر) — ثبت قدميك في الأرض متوازيتين، ووزع ثقل جسمك عليهما بالتساوى. وهذه الهيأة هى هيأة العمل، وهى تريح الأعصاب والعضلات، لأن الهيكل العظمى يتولى حمل العبء الذى خلق لحمله،

والرياضة على هذه الهيأة أسبوعين قد قهــرت عللا مستعصية هزأت بالتشخيص والعقاقير .

إن معظمنــا لا يسيء الوقوف فحسب ، بل يسيء الأكل أيضاً . فنحن نسرع فى الأكل إسراع السنجاب ، ثم ندفع ثمن هذه العجلة عللا فى الهضم . وحسبنا أن نبـاعد بين حركات الشوكة والسكين حتى نتقى نصف مايؤودنا من آلام عسر الهضم ، فبيكربونات الصودا لا تستطيع أن تمحو الضرر الناشيء من طعام لم نتعم مضغه .

ونحن أيضاً نفرط فى الأكل ، ولاسيما من كان منا مبطن الخواصر بالشحم ، وما أحرانا أن نتبع التمرين الرياضى السحرى للمدرب آرثى ماك جوفرن ، فإذا ما أشرفت على منتصف أكلتك ، فابسط راحتيـك على المائدة ، ثم ادفع كرسيك بقوة إلى الوراء ؛ (فقد أصبت من الطعام ما يكفيك) ، وآرثى ضمين لك أن هـذا التمرين ينقص الوزن رطلا على الأقل فى كل أسبوع .

فإذا تأملنا العادات الوبيلة التى يصطنعها سـكان المدن ، فمن العجب أن لا يكونوا أسوأ مما هم ، فنحن نقضى ٢٣ ساعة فى اليوم تحت السـقوف ، لا تكاد تمس أجسامنا

> كل شيء مع الصحـة يكون مصـدراً للحبور ، وبدونها تتعذر المتعة بشيء ما ، أياً كان . فأشـد الحمق أن تضحى بالصحة للظفر بأى لون من ألوان السعادة — الكسب ، أو التقـدم ، أو المعرفة ، أو الشهرة ، ناهيك بالمسرات الحسية العابرة .
>
> شوبنهور

الشمس أو المطر أو الرياح ، وقلما نستعمل أكثر من عشر عضلاتنا . ولكى نعوض ما يصيبنا من خمول الرئتين والكبد والجلد والجهاز الهضمى ، يلجأ أكثرنا للمسهلات والمقويات والمنعشات ، وهو عبث كان يمكن تجنبه لو قضينا سـاعة واحدة كل يوم فى الهواء الطلق فى رياضة هادئة أو عمل هين .

لى صـديق محام كهل ، حيـاته حياة جلوس دائم ، ولكنه يطوف بجيرانه وهو يحمل مقصاً ، يشذب لهم الشجر ، وأسيجة الحدائق . وليس هذا شذوذاً منه ، بل هى الحاجـة إلى التقوية من رياضة الذراعين والساقين ، وهذا الجهـد المعتدل يكفل له عافية البدن ، وهذا مثل باهر للحقيقة الثابتة : أن المرض قلما يجد ثغرة فى درع العافية .

وأنا نفسى لا أعبأ بالتمرينات الرياضية القديمة ما بين انثناء واستواء ، بل أنطلق إلى عملى وأعود سواء أكان صحواً أم مطراً ،

فأقوم ببعض تمرينات التنفس وشد العضلات فى الصباح والمساء . وهذه التمرينات تبسط طيات نسيج الرئة ، وتقوى الحجاب الحاجز — الذى هو بعد القلب أهم عضلات الجسد .

وكثير من الرجال يعتزل الحياة يوم يعتزل العمل ، وهذا انتحار بطىء . وقد استشار هنرى . س . لناك العالم النفسانى ، أحد رجال الأعمال اعتزل عمله وهو فى الستين ، فقال له إنه « يشعر أنه كزنبرك سرير مكسور » ، ولم يعثر الفحص الطبى على أية علة فى البدن ، ولكن التقصى النفسانى دلّ على أن عقل الرجل كان كغرفة خاوية ، لافكر ولا عمل ولا أمل. وقد شخص لناك انحطاطه بأنه حالة سيئة من حالات فراغ النفس ، تصير فى الجسم طائفة من الآلام الغامضة تنتشر فيه من الفرع إلى القدم . وكانت وصفة الدواء : جرع ضخمة من القراءة والصلاة ومشاهدة المسارح والنشاط الاجتماعى . فلما شغل الرجل نفسه بالفكر الصالح والعمل المفيد لم يعد للآلام مكان ترتع فيه .

وفى العام الماضى قتل ضغط الدم العالى ، وغيره من علل القلب وأمراض الدورة الدموية ، من الأمريكيين أكثر مما قتلت بنادق النازى وسوء قيادة السيارات . وكم من رجل لا يخطر بباله أن يفرط فى نفخ عجلة سيارته ، ثم تراه يلقى على قلبه وشرايينه عبئاً مستديماً تنوء به ، فتنتفخ أوعية الدم الدقيقة التى تغذى المخ ، ثم تنفجر فى النهاية تحت هذا الضغط المستمر . ونزف المخ (النقطة) وحده يقضى على أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ فى كل عام .

إن كل إنسان قد ضاعف عمله فى هذه الأيام ، ولكن مبادئ الحكمة تملى علينا أن نستريح فترات قصيرة من النهار — خمس دقائق تفصل بين الأحاديث ، وعشر دقائق قبل الغذاء ، ونصف ساعة قبل العشاء . إن للبندقية فترة كى تسكن وتبرد ، وإنى لأعرف رجلا كثير العمل عرف هذا السر منذ سنوات ، فإذا ما توالت أحاديثه دراكا قطع برنامج عمله وقال ببرود : « إنى على موعد سابق مع نفسى » .

فإذا ما ألزمت نفسك بمثل هذا الموعد ، ففك بنيقتك وأربطة حذائك ، ثم ألق بقدميك على مقعد آخر ، ودع الدنيا تدور كما تشاء دقيقتين أو ثلاثاً . وإنه لعجب ما يستطيع أن يصنعه الاسترخاء حتى فى هذا الزمن القصير .

ولا مندوحة لأكثرنا عن النوم سبع ساعات أو ثمانى كل ليلة . وإنى لقليل الرثاء

لأولئك « الآبقين » الذين الفوا ان يأووا إلى مضاجعهم فى الثانية بعد منتصف الليل ، ثم يعجب أحدهم كيف لا يستطيع أن يلبي نداء المائدة فى الساعة السابعة والنصف صباحاً بنفس شهيته القديمة . إن ما ينقص مثل هذا الرجل هو مخ جديد . ثم هناك ذلك « الشاكى من الأرق » الذى يحمل متاعبه معه إلى الفراش ، وقد احتسى عدة فناجين من القهوة وأكثر التدخين ، ثم يكتشف أنه « لا يستطيع أن ينام » .

ومع ذلك فإن كثيراً ممن يتصرفون بحكمة ، يجدون أيضاً بعض العنت فى التماس النوم . ولدى الخبراء نصيحة لهؤلاء : لا تشترك مساء فى مناقشات عنيفة أو مسائل عقلية شاقة ! فالفكرة الأساسية هى أن تبعد الدم عن مخك ، ولن تستطيع ذلك بإجهاد نفسك فى مقعدك ، ويكفى أن تمشى ١٥ دقيقة قبل الرقاد حتى تطرد الدم إلى ساقيك . وهناك قاعدة مضمونة : فكل امرىء يستطيع أن يسحب ٥٠ فى المائة من الدم من مخه المحتقن ، إذا وضع قدميه فى الماء الساخن عشر دقائق قبل الرقاد .

ليست العافية أن تكون « غير مريض » فكثير ممن لا يشكون مرضاً فى أى عضو من الأعضاء ، يحيون تحت ظلال الكلال المزمن أنصاف أصحاء ، ومع ذلك فإن قليلا من رياضة النفس على النظام ، قادر أن يمدهم بفيض مستمر من النشاط ، وبذخيرة من المرح بهذا الإحساس العجيب ، الإحساس بالعافية تتوهج فى أعماق الجسم السليم .

في الصيف الماضى ، عنى أحد مديرى المصانع بنيويورك ، بتعليق لوحات فى مصنعه ومكتبه طبع عليها بحروف سود : « أفعله الآن ، ولا تؤجل » لكى يوحى إلى عماله ضرورة النشاط فى إنجاز ماعليهم . فلما سئل بعد أسابيع عن أثر هذه اللوحات ، هزّ رأسه أسفاً وقال : لا أكاد أرغب فى تذكر ماحدث . فقد فرّ الصرّاف بأربعة آلاف ريال ، وخطف رئيس المحاسبين خير سكرتيرة عرفتها فى حياتى ، وطلبت ثلاث من الكاتبات على الآلة زيادة مرتبهن ، وقرر عمال المصنع الإضراب ، وانضمّ صبىّ المكتب إلى الأسطول » .



وقفت ناقلة الجنود شامخة مشرفة على الرصيف كالعادة ، فإذا أردت أن ترى الكوى أين تنتهى ، والسطوح المكشوفة أين تبدأ ، كان عليك أن تصعد طرفك وتلوى عنقك . وهى سفينة بغير اسم ، وستظل كذلك ما دامت الحرب ، ولا يعرف إلى أين تقصد إلا القليلون ، ولا يعلم الطريق الذى تسلك إلا الأقلون ، ولا بد أن يكون العبء الذى يحمله الذين يتولون أمرها مما يكاد يجاوز الطاقة ، فإن الربان الذى يفقدها ويفقد حمولتها لن يغمض له جفن .

ويجلس الجنود بالآلاف على ما معهم فوق السطح ، ولا يتكلمون إلا قليلا ، ولا يغنون ، حتى إذا ذهب الشفق وجاءت العتمة ، لم تستطع أن تميز رجلا من رجل . وقد قضى بعضهم يوماً ، والبعض أياماً ، فى الوصول إلى نقطة الابتداء هذه ، وهم يلبسون خوذاتهم التى تهبط إلى آذانهم وعيونهم ، ويبدون فيها كأعواد النبات فى حوضه .

وتفتح أربعة مدارج فينهض الرجال فى تثاقل وملل إلى أقدامهم ويتحركون صفاً ، ويجرّون أقدامهم على المدرج المائل .

وكل من يدخل السفينة يفحص بدقة للتثبت من أنه من ركابها ، وقد وزعت الأماكن ، فنصف الرجال سينامون فوق السطح ونصفهم فى جوفها ، وغداً يتبادلون أماكنهم ، ولا يزال هذا التبادل يجرى حتى يبلغوا غايتهم ، ولا يخلعون ثيابهم إلا بعد أن ينزلوا إلى البر ، فما هذه بسفينة يركبونها للتنزه .

وينطرح الجنود وينامون بمجرد استقرارهم فى أماكنهم على السطح الذى ليس فيه سوى الأضواء المحجوبة بالطلاء الأزرق ، وكثيرون منهم لا يخلعون حتى خوذاتهم ، وإلى جانبهم بنادقهم ، وأيديهم مطبقة عليها حتى وهم نائمون .

وعند منتصف الليل يكون آخر رجل قد صعد . وتسمع مضخمات الصوت تصيح في كل أنحاء السفينـة ، وترتد المدارج إلى جوانبها ، ويخرج من جوفها صوت تنفس خفيف ، وقد حيـل ما بين الجنود وبين وطنهم ، ونأوا عنه ، وإن لم يكن بينه وبينهم إلا أقل من مئة خطوة .

وتلقى الحبال ، وتتحرك السفينة الضخمة بحذر في النهر ، وتكاد تملأه من شط إلى شط ، وتكون القواطر متأهبة لجرها . فلا تزال بها حتى تقيمها على سننها ، ثم ترتد إلى جانبيها كأنها صغارها وهى ماضـية على مهل إلى البحر . ولا يرى المدينـة الخافتة الأنوار وهى تنأى سوى رجال البـوليس الحربي القائمين بالحراسـة بين النوام من الجنود .

وتفارقهـا القواطر ، فتتسلل السفينة مبتعدة عن المدينـة — كتلة سوداء تشق طريقها في الظلام ، وعلى السطوح ، وفى الممرات ، وعلى السرر ، يرقد آلاف من الرجال وقد عقد النوم أجفانهم ، ولـكن الضباط والبوليس الحربي ساهرون على هذا الرقاد الضخم — رقاد مجسم لأنه رقاد آلاف — وتملأ الخياشيم رائحة الجنود ، وهى رائحة الجيش المألوفة — رائحة الصوف ، ورائحة التعب المر ، ورائحة زيت المدافع ، والجلد ، والجنود منطرحون وأنفاسهم منتظمة مسموعة .

ويفوت النائمين شيء عظيم ، كما تفوتنا الأشياء الأخيرة عادة ، فإن وطنهم الذى انتظموا في الجندية ليدافعوا عنه ، يغيب فى الليل المغيوم ، وهم رقود والأرض التى ستلح ذكراها على خواطرهم وتكظها في الشهور القادمة ، قد ذهبت وما رأوها . وكانت هذه ساعة العاطفة المشبوبة ، فمضت ولا سبيل إليها مرة أخرى ، لأن التعب كان قد تخلل بهم ، فهم ينامون كالأطفال الذين جاهدوا ليظلوا مفتوحى العيون حين يروا « سنتا كلوز » ثم أعياهم ذلك فناموا .

ويقبل الفجر في سحاب مطبق ، وتمطر السماء مطراً خفيفاً ، وتبدو السفينة كتلة غائمة تخترق الغيم وتختفى وتذوب فيه ، وقد انبتّ ما بينها وبين العالم . فهى تسمع ، ولكنها لا تتكلم ولا تنطق ، ولن يسمع بها أحد ما دامت فى رحلتها إلا إذا هوجمت ، والغواصات راصدة في طريقها في هذا البحر الغائم ، وكثير من جنود السفينة لم يروا المحيط من قبل ، والبحر نفسه مظلم ومخيف رائع لا تنقصه هذه الغواصات الكوامن .

ويقف على السطح اثنان من أبناء الجبال الذين يستيقظون مع الفجر ، وينظران إلى البحر العجيب دهشين . فيقول أحـدهما :

« يقال إن البحر ملح أجاج فى أعماقه » . فيقول الآخر بلهجة الواثق : « إنك تعلم أن هذا ليس كذلك ، فما فى الدنيا كلها من الملح ما يكفى لجعله كذلك . فكر فى هذا » .

ومن أصعب الأمور إطعام آلاف من الرجال فى مثل هذا النطاق الضيق . وهناك وجبتان فى اليوم بينهما عشر ساعات . ويصطف الجنود للفطور من السابعة إلى العاشرة ، ويبدأ الاصطفاف للعشاء من الخامسة بعد الظهر إلى العاشرة ليلا . ولا ينتظم الأمر فى اليوم الأول ، فيحدث التزاحم ويضيق بعض الصدور ، ويحدث مثلا حوالى الساعة العاشرة أن يشكو أحد الجنود إلى البوليس الحربى فيقول « أرجو يا سيدى أن تخرجنى من هذا الصف ، فقد أخذت ثلاث وجبات للفطور إلى الآن ، ولم أعد جائعاً . وكلما خرجت من صف دفعت إلى صف آخر » .

ويبدأ الجنود يقلقون ، لأنه لا مكان للحركة ، ولا يتيسر لهم أن يقوموا بشىء من الرياضة فى هذه الرحلة ؛ لأن السفينة غاصة بهم . فإذا أردت أن تتحرك فعلت ذلك بين الأقدام المتزاحمة ، ولا بد لك فى الليل على سفينة مطفأة الأنوار كهذه ، من أن تزحف وتتحسس طريقك بين غابة من الأرجل ، وأكثر ما يذكره المرء من سفينة لنقل الجنود هو وفرة الأرجل فيها .

وتشتد الريح ، فيخرج الجنود الذين على السطح ما يتوقونها به ، ويجعلون منها « مخابئ » ، فبعضهم يقيم منها غطاء صغيراً مفرداً بين الأعمدة والحواجز ، ويتعاون آخرون ، ويضمون أغطيتهم بعضها إلى بعض ، ويجعلون منها كهوفاً تقيهم الرياح .

والسفينة مجهزة تجهيزاً وافياً بالأسلحة ، والمدافع تبرز من كل موضع للمراقبة . وهذا يذكر الجنود بأن السفينة عرضة أبداً للهجوم عليها وتدميرها ، وهذا الخطر ماثل أبداً فى أذهانهم مهما بدا من قلة احتفالهم به ، فقد تكون الغواصة كامنة فى أى مكان ، وقد تصيب سفينتهم القذيفة فتهوى بها إلى قاع اليم .

ويكون نصف عقل المرء متنبهاً يصغى وينتظر طول الوقت ، وفى الليل يكون للأصوات الصغيرة وقع كبير وشأن عظيم . وهذه وطأة ثقيلة على الأعصاب تحدث ردّ فعل غريب فى النفس ، فترى المخاوف والهواجس تتحول إلى حقائق لا تزال تتكرر . فإن سفينة نقل الجنود عش إشاعات لا تنفك تطير من مقدمها إلى مؤخرها ، والإشاعات واحدة لا تختلف فى كل سفينة من هذا النوع . ويحسن أن نورد بعضها

حتى إذا انتشر بها الصوت عرفت على حقيقتها ولم يخف أنها من أساطير السفن الناقلة للجنود.

١ — شاهدتنا فى هذا الصباح غواصة ، فبعثت برسالة لاسلكية إلى الغواصات الأخرى . وتتجمع الآن طائفة منها لاعتراض طريقنا وإغراقنا .

٢ — فى هذا الصباح صعدت إلى سطح الماء غواصة على مقربة منا ، فسدّدنا إليها كل مدفع . فأشارت إلينا فى الوقت المناسب أنها من غواصاتنا .

٣ — حدث حادث فظيع غير معروف بين الضباط (هذه الإشاعة لا تسرى إلا بين المجندين) ولم تعرف الجريمة ، ولكن المعروف أن عدداً من الضباط قد زج بهم فى السجن وسيحاكمون عسكرياً (قد تكون هذه الإشاعة مجرد هوى) .

٤ — الجزء الأمامى من السفينة ضعيف واه ومرقوع ، ولكنه لا خوف عليها إلا إذا ساء الجو ، وفى هذه الحالة يحتمل أن تتفكك .

٥ — أذاع الراديو الألمانى البارحة أن هـذه السفينة غرقت ، وسيحزن الآباء والزوجات والأصدقاء الذين يعرفون متى أبحرنا ، ولا سبيل إلى إبلاغهم أننا بخير لأنه لا يسمح بإرسال رسائل .

٦ — انتشر وباء ما ، فى السفينـة ، ويقوم الضباط بدفن الموتى خفية فى الليل .

وتمضى الأيام ويزداد الجنود قلقـاً ، ويكفون عن ألعاب التسلية وتزجية الفراغ . وفى صباح يوم ما نرى الطير فنعلم أننا دنونا من الأرض ، فيتزاحم الجنود على الحاجز ويرون فى كل سحابة مسفّة شاطئاً ، وكثيرون منهم يرطمون برطمة غريبة يتوهمونها إنجليزية ، وهى مضحكة جداً ، وتدور السفينة باستمرار ، فإن هذه المياه أخطر ما مخرت .

وتقبل علينا طائرات سبتفاير خارجة من الضباب فى الأفق ، وتدور فوقنا كالنحل الثائرة ، وتدنو منا جداً حتى لنسمع حفيف أجنحتها . وتظهر الأرض بعد الظهر ، وكلما اقتربنا منها بدت لنا البيوت ووجوه الأرض منتظمة قديمة . فيشخص الجنود معجبين طربين ، فإن هـذه أول أرض أجنبية رآها معظمهم ، وكل منهم يقول إنها تشبه مكاناً يعرفه . فواحد يقول إنها شبيهة بكاليفورنيا فى موسم الأمطار ، وثان يرى فيها مشابه من فرمونت .

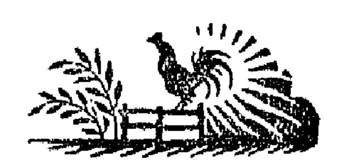
وتدخل السفينة ميناء مزدحماً بالسفن الأخرى وتلقى مرساها . وقد تمت الرحلة على خير وجه ، فلا عناء ، ولا مرض ، ولا هجوم عليها .

والآن يحدث شىء مدهش : تخرج إلى

السطح فرقة من الزامرين فى القرب ، ومعهم الطبول ، ويمشون متخايلين، وتشق السماء الأصوات القوية التى يرسلونها ، فإن هذه أقوى موسيقى عسكرية فى العالم ، حتى إذا وقفوا صفاً انطلق الجنود يهتفون هتافاً عظيما ، فإن قوة الموسيقى العنيفة تهزهم ، ويشعر الجنود شعوراً عميقاً بأن هذا تكريم لهم .

ويرى الجنود من الصنادل المنازل التى فقدت سقوفها والتى احترقت ، والأنقاض التى خلفتها قنابل الطائرات .

ويحملون متاعهم الثقيل على ظهورهم ، ويعلقون بنادقهم على أكتافهم ، ويخطون إلى البلاد الجديدة .



ألقى داروين وهو فى السبعين ، نظرة مستشرفة على حياته فقال : لو أتيح لى أن أحيى حياتى مرة أخرى ، لقرأت الشعر ، واستمعت إلى الموسيقى مرة كل أسبوع على الأقل . فعسى أنْ يبقى الاستعمال الحياة نابضة فى تلك الأجزاء الهامدة من مخى الآن ، فضياع هذه المتع هو ضياع السعادة .

[أوغسطس توماس : ذكرياتى]

على قبر كلب

أصيب كلب لورد بايرون الشاعر بالسعار (الكلب) فمرّضهُ الشاعر ، ثم دفنه فى أنقاض كنيسة قديمة ، وأقام على مدفنه قاعدة من الحجر نقشت عليها الكلمات التالية .

« قرب هذه البقعة ترقد رفات ، من كانت صفاته جمالا بغير غرور ، وقوة بغير صلف ، وشجاعة بغير شراسة ، وجميع فضائل الإنسان بدون نقائصه » .

[أندريه موروا فى « بايرون »]

الميل الثاني

هاري إمرسون فسدِيك

ملخصة من خطبة شهيرة

من أهم مايحتاج الإنسان أن يبت فيه برأى هو كيف يواجه المسائل الحتمية فى الدنيا ، وكيف يكون موقفه وروحه حين يلقى مالا مفر منه ولا مهرب فى الحياة .

لقد قال المسيح إن هناك نهجاً قويماً واحداً — وذلك أن تفعل فوق ما أنت مضطر إلى فعله . قال ذلك بعبارة شعرية : من اضطرك إلى السير معه ميلا ، فسر معه ميلين .

ولا بد أن يكون قوله هذا قد راع سامعيه لأنه رفع لعيونهم صورة مادية بغيضة ، وقد كان الجندى الرومانى ، بمقتضى قانونه العسكرى ، يستطيع أن يرغم يهوديا على حمل متاعه مسافة ميل — وذلك تكليف مزر . فأخلق بأن يكون قوله بأن اليهودى ، طبقاً لهذا الإرغام ، ينبغى أن يكون مستعداً للسير ميلين ، قد استثار النفس اليهودية ، كما هو خليق أن يستثير النفس الأمريكية ، فإنه أشبه بالتبرع بالنزول عن حقوق الإنسانية . فيحسن بنا أن نتدبر فى هذا .

فإن كلمات المسيح إما أن تكون هراء محضا ، وإما أن تكون حكمة قدسية سماوية .

ونحن أيضاً ، حين نخبط فى الطريق الذى اخترناه ، لا نزال نلتقى عند آخر كل ميل برسول يغرينا بالعمل ، فالجسم يقول « لابد » والمصلحة تقول « لابد » والحياة الاجتماعية تقول « لابد » .

ووراء كل ضرورة عملية أخرى الاضطرار الأول الذى يشعر به كاسب رزقه ، ومن الممكن مواجهة هذا الاضطرار بإحدى طريقتين : فإذا شاء الإنسان نزل على حكم هذا الاضطرار وهو نافر معاند ، وقام بألزم مايلزم على نحو آلى ، وقطع هذا الميل الأول القصير متثاقلا من النفس — وهناك آلاف يعملون على هذا النحو وعيونهم على الساعة — أو أن يرحب المرء بالضرورة التى تقضى بالعمل ، ويفطن إلى قيمة الكد الشريف وكرامته ، وبهذا الروح يقطع الميل الثانى ويقلب الواجب مزية . فإن العمل الذى يؤدى على هذا النحو المنطوى على الترحيب به ، يزول عنه تقطيب الإكراه

ويكتسب إشراق الابتسام ، ومتى عمل المرء بهذا الروح فأخلق به أن يشعر أن العمل هو طعامه وشرابه ، وخبزه وملحه ، وأن يتمنى لوكان فى اليوم الواحد أكثر من أربع وعشرين ساعة ، وأن يتصور الجنة وهو يحلم بها مكاناً يستطيع أن يعمل فيه طول الوقت فلا يدركه كلال أو ملل ، ومثل هذا الرجل لا يمكن أن يشعر بأنه فى رق من العمل .

والوسيلة لاجتناب هذا الرق الذى تجىء به الضرورة هى أن تكون من تلقاء نفسك مستعدا إذا أمكن أن تعمل فوق ما هو مطلوب منك . والميل الأول هو وحده الذى فيه العناء والجهد ، ثم تجىء المتعة والمجد مع الميل الثانى .

وثم ضرب آخر من الاضطرار يواجه الإنسان إلى حد ما ، ذلك أنه يحدث بطريقة ما ، أن تقسرنا ظروف خارجية ، أو قوانا المحدودة بطبيعتها ، على أعمال ضيقة غامضة .

والتاريخ حافل بأسماء الذين تغلبوا على محنة الحظ بروح الميل الثانى ، من أمثال ذلك الإغريقى القديم الذى عهد إليه — على سبيل المزاح — فى أن يكون كنّاس البلدة ، فسما بوظيفته إلى مرتبة من النفع جعلتها فى بلاد الأغريق كلها وظيفة شرف ، ومن أمثال هوبر الأعمى الذى صار من عظماء العلماء ، وفوسيت الأعمى الذى صار مديراً للبريد فى إنجلترا .

وهذا الروح نفسه تلقاه فى كثيرين من أوساط الناس وعامتهم ، مثال ذلك ما كتبت به شابة وهى طريحة الفراش إلى صديقةقالت : « خطر لى فى أول الأمر أن أستغل مرضى على خير وجه ، ولكنى الآن أدبر الأمر لاستغلاله إلى أقصى حد » . وهؤلاء الذين يتفوقون بوفرة الاستعداد يقطعون معنا الميل الأول من الاضطرار ، ولكنهم يفيضون جمالا على الميل الثانى .

وهناك واجبات معينة لا معدى عنها فى علاقاتنا العائلية ، وبعض الناس يؤدون منها مالا يسعهم اجتنابه ، بغير زيادة . وهذه الأسر تشبه البخيل حين يؤدى الضرائب . ولا تعرف فيض الحب والحنو اللذين يملآن النفس فيجود بهما القلب . وأعضاء هذه الأسر يلتزمون النص الحرفى للقانون ، ويرجون مع ذلك أن يكون لهم بيت جدير بهذا الاسم .

إنما يكون البيت بيتاً حقيقياً بالألطاف غير الضرورية ، والإتحاف الذى لم يكن فى الحساب ، والحنو الذى يجىء على غير انتظار ويجاوز ما هو منشود . وهذا هو الذى يجعل هناك فرقاً بين النسل والأبناء ، وبين

ربة بيت وأم، وبين كاسب وأب ، والميل الثانى هو الذى يتوج كل العلاقات الإنسانية، فى البيت ويترك الكأس فيه فائضة أبدا .

فالمبدأ الذى قرره المسيح يجعل سلوك الناس على نحوين ، اضطرارى واختيارى ، فالذى يجب أن يفعله المرء هو الميل الأول، والذى يختار أن يفعله هو الميل الثانى .

وأنا أزيد على ذلك فأقول إنه إذا جاوز الاختيار مدى الضرورة ، وشاعت روحه فيها ، فإن الحياة تخلو من لوثة العبودية وتمتلئ بمعانى الكرامة والجلال .

ولن تجد بين أبطال العالم الروحيين واحداً من رجال الميل الأول ، فقد قطعوا جميعاً الميل الثانى بطريقة ما .

ثمرة المدنية الاسلامية فى ذروتها

إن أبا العلاء المعرى — وهو شاعر أعمى مثل هومر وملتون — يرى فيه العقل الغربى ثمرة ما بلغته المدنية الإسلامية فى ذروتها من النضج العقلى العظيم والتنوع الهائل . وقد استطاع بفضل امتزاج الأدب العربى القديم عنده امتزاجا منقطع النظير بالثقافة العالمية ، وبما أوتى من عبقرية فذة ، أن يتحف الأدب العربى بطائفة من أنفس كنوزه الشعرية .

غير أن أفق عمله الفلسفى والدينى كان أرحب جداً ، فقد كان راسخ الإيمان بالتضامن الإنسانى والبرّ بين الناس قاطبة . وقد لا يشاطر غيره فخرَ أن كانوا من مصادر دانتى فى « الكوميديا الإلهية » ، ولكنه يقف ولا شك فى صف واحد مع أسمى من أنجبتهم البلدان والأديان جميعاً ، بسعيه فى سبيل التسامح وحرية الفكر ، وهى الحريات الجوهرية التى صارت الآن فى الميزان .

وأبو العلاء مثال العربى فى نشأته ، ومثال الرجل الدولى ، كما كان الإسلام فى زمانه دولياً فى تناوله ومعالجته لمسائل الحياة الأبدية . فهو النموذج الخالد للنهضة الجديدة للحضارة العربية .

[الدكتور جورج دلا فيدا أستاذ الأدب العربى بجامعة بنسلفانيا]

يشرح قائد كتيبة فى جورجيا الجديدة ما هو اقتحام الغابات المعتمة فى منطقة جنوب المحيط الهادى لمحاربة يابانيين لا تراهم العين .

هذا هو قتال الغابات

وليم ل . هوايت

مؤلف " الملكات يمتن كريمات " وغيرها من قصص الحرب

شارلز دافين » البكباشى فى سلاح المشاة بالجيش الأمريكى ، والحائز لنوط الشرف لمجلس الأمة ، شاب أغبر الشعر فى السادسة والعشرين من عمره . وقد أبلى فى قتال الغابات بلاءً كثيراً فى الأشهر الماضية بإحدى جزر المحيط الهادى . وهو يبين لك أن قتال الغابات عمل بطىء . يقول :

« حينما صدر الأمر لفرقتى من المشاة أن تذهب إلى جورجيا الجديدة ، كانت قد قاتلت من قبل فى جبهة « وادى الكنار » ، وكنا سمعنا أن وطأة القتال كانت شديدة على جنودنا ، حتى تمزقت بعض الفصائل الجديدة وأخذ سيل من الجرحى يتدفق من الميدان .

« أنزلتنا إلى الشاطىء مدمرة حاملة الجنود ، فأثار مجيئنا موجة من السرور . فلما سرنا فى طريقنا إلى الغابة أخذ الجنود على جانبى الطريق يصيحون بنا : « من أى فرقة أنتم أيها الإخوان ؟ » فنجيبهم : « من الفرقة الخامسة والعشرين » فلما أنبأناهم لم يتهكموا علينا كما يفعلون عادة بالفرق الجديدة .

« وفى تلك الليلة خيمت فرقتنا بالقرب من مهبط للمظلات الواقية — وهو مكان سقطت فيه قنبلة ضخمة تزن ألفى رطل ، فخلفت خلاء رحباً فى وسط الغابة يصلح لقذف المؤن من الجو . وفى الصباح عرفنا ما نصيب فرقتنا من القتال ، من القائمقام جورج بوش . وقد أفاق من نومه مبكراً نشيطاً ، وأتى بخرائط وأرانا مبدأ درب فى الغابات ضيق قديم . وكانوا يظنون أن هذا الدرب ينتهى إلى قرية صغيرة اسمها « زيتا » . وكانوا يظنون أيضاً أن اليابانيين المتقهقرين من موندا يقصدون الشواطىء القريبة من القرية ليستقلوا سفن الإنقاذ . فكانت مهمتنا أن ننفذ من الغابة إلى زيتا ، وأن نقطع خط الرجعة على اليابانيين . وكانت زيتا كما يتبين من الخريطة ، تبعد عنها نحو ميلين ، ومع ذلك كنا نعده من حسن الطالع لو أمكننا أن نشق الغابة ونصل إليها فى أقل من أسبوعين .

وقد بُذل لنا شيء من المعونة . ذلك أن القائمقام أصحبنا رجلا من الأهالى ملبد الشعر اسمه حو . وكان سبب إرساله معنا أنه ذهب مرة فى سنة من السنين الماضية إلى زيتا وإن كان لم يذهب إليها من هذا الدرب . وكنا نضن بجو ، فجعلنا مكانه فى المؤخرة حتى لا يتعرض للهلاك ، فهو وحده الذى يستطيع أن يدلنا على أننا وصلنا إلى المكان الذى يراد منا الوصول إليه .

« وكان أول ما يجب أن نتخطاه من العوائق ، تلان يبعدان عنا ٥٠٠ ياردة ، وكان الدرب يعلو سفحهما . وقيل لنا إننا لن نصادف فى الغالب أحداً من اليابانيين على التل . وكنت قد تعلمت فى وادى الكنار ، أنك لن تفلح فى محاربة اليابانيين إذا ركنت إلى الظن بأنهم لا يوجدون فى جهة ما ، إذ أغلب الأمر أنك تراهم حيث لا تظن .

« ولذلك أوفدت جماعة سميتها «زيداً» لتحتل التل الأيسر ، كما أوفدت جماعة أخرى سميتها « بكرا » لتدور حول التل الأيمن ، فإذا لم يصادفهما أحد من اليابانيين عرفنا أن الدرب مأمون الغوائل .

«وبطبيعة الحال كان يجب على كل جماعة موفدة أن تمد معها أسلاك التلفون . وتلفون الميدان ينقل صوتك واضحاً مسافة ثلاثة أميال من فوق الجداول وجذوع الأشجار الخاوية.

وقد بقيت عند مجمع الأسلاك لأكون على اتصال بالجماعتين ، وانتهزت فترة الانتظار وأخذت فى تنقية الأرض لأهيئ قواعد للمدافع الخفيفة ، ليتيسر لنيرانها إذا اقتضى الأمر أن تبلغ صهوة التلين . وتهيئة القواعد للمدافع الخفيفة فى الميدان ليس بالعمل الهين ، فعليك أن تنقى الأرض من الأشجار فى دائرة قطرها عدة ياردات ، إذ لو مس أنف القنبلة المنطلقة فرعاً عالياً انفجرت وقتلت مطلقها .

«ولم يمض على مبارحة الجماعتين ٤٥ دقيقة حتى سمعت طلقات البنادق على اليسار فى ناحية جماعة « زيد » ، على حين كان السكون شاملا فى ناحية جماعة « بكر » . ومن واجب قائد الكتيبة أن يسارع إلى مكان القتال ، فمضيت من فورى واستصحبت معى عدداً كافياً من الجند ، فقد كنت أعتزم أمراً جدا .

« تتبعت أسلاك التلفون المتصلة بجماعة «زيد» فلما وصلت معها إلى منتصف التل ، قابلت قائدهم اليوزباشى «أولى روهولت» ، وأخبرنا أن الجناح الأيمن وقع فى سيره على نفر من اليابانيين معتصمين بموقع منيع ، ولديهم أسلحة وافرة .

« فأمرت الجناح الأيسر أن يحيط بالتل لمهاجمة اليابانيين من المؤخرة ، وهى حركة لا تتم بالهجوم على العدو أو باقتحام مواقعه ،

بل بزحف بطىء ، مع الاستدلال على مكان العدو من صوت مدافعه — فإذا وجدوه أجهزوا عليه .

« وبينا نحن نتدبر تلك الخطة سمعت فرقعة بنادق عديدة تنطلق معاً من فوق التل المقابل ، فأدركت أن جماعة « بكر » لقد لقيت العدو ، وسمعت كذلك انفجاراً أقوى من انفجار القنبلة اليدوية . فناديت بالتلفون قائد فرقة « بكر » اليوزباشى بن فرجسون وسألته : « ماذا عندكم ؟ » فقال : « لقد لقيناهم — وإنهم يدحرجون علينا ألغاماً برية » .

« فطلبت منه أن يجهز على مهاجميه ، ثم يشق طريقه هابطاً من التل حتى يجتمع بجماعة زيد عند سفح التل .

« وكان جناحا جماعة زيد قد أطبقا عندئذ على العدو ، وسرعان ما قضيا عليه بالقنابل اليدوية — والتأم شملهما . وكانت جثث اليابانيين الذين عصف بهم القتال متناثرة على الأرض . وكان من دأبنا أن نغطيها بشىء من الحطام البالى منعاً لانتشار الأمراض . ولكننا لم نفعل ، إذ لم يكن لدينا متسع من الوقت .

« وفى أثناء ذلك كان اليابانيون لا ينفكون يدحرجون الألغام البرية على جماعة « بكر » ، وهى أقراص صغيرة ولكنها تنفجر فى عنف ، فقتلت من جماعة « بكر » عدداً غير قليل ، وروعت ١٥ رجلا منهم ظلوا مغشيا عليهم زمنا .

« ولكن بالرغم من ذلك تمكنت جماعة بكر من إنجاز مهمتها ، وأبلغتنا أنها فى طريقها إلى سفح التل . فقلت لهم بالتلفون ألا ينقطعوا عن مناداتنا لنعلم أين هم ، ونكون نحن الصلة بينهم وبين جماعة زيد .

« وأخذت جماعة بكر فى مناداتنا وأخذنا نحن نادى جماعة زيد ، وإذا بصوت اليابانيين يدخل بيننا وينادى جماعة بكر وزيد ، فاختلطت الأصوات بعضها ببعض اختلاطاً يثير الأعصاب ، فلم يعد أحد منا يدرى أين صار زملاؤه . فلما بدأ الظلام يخيم علينا قلت لمن معى من الجنود ، إنه من الخير لنا أن نبقى حيث نحن .

« احتفرنا لأنفسنا خنادق فى قمة حصينة من التل . وهى ليست قمة فى الواقع بل هى أعلى مكان فى التل تقف عليها دون أن تنعكس صورتك على صفحة السماء . ودرت حول حلقة دفاعنا لأتحقق من أن أوكارنا ليست بينها فجوات واسعة ، ومن أن أشجار الغابة قد أزيل منها ما ينبغى لإفساح المرمى لبنادقنا السريعة ومدافعنا . واجتمع فى كل جحر أربعة من الرجال أو خمسة يتعاقبون الحراسة طول الليل وهم جاثمون خلف مدافعهم .

« سكنت نفسى إلى حسن استعدادنا ،

فزحفت إلى وكرى، ولم أستطع مغادرته حتى الفجر. وإن حراسنا لمعذورون إذا ظنوا كل نبأة صوت بين الأشجار إنما هى يابانى يتحرك. وهـذا أمر عصيب لمن انتابته الدوسنطاريا من جنودنا.

« وطبيعى أن لا يخلو وكر القـائد من آلة التلفون، فكانت تصلنى الأنبـاء من الولايات المتحدة، إذ كان لدى مركز قيادة الكتيبة فى المؤخرة، سيارة بها جهاز كبير للراديو تلتقط به كل مساء نشرة الأخبار من سان فرنسسكو، وتسمعنا إياها بتلفون الميدان فأكتبها. وفى الصباح أنبئ الجنود بما يجرى فى وطنهم.

« وأنت فى الغابة فى غنى عن جرس ساعة أو نفير ينبهك إلى طلوع الفجر، إذ ما تكاد أشعة الفجر تتسلل من خلال الأغصان حتى يهب الرجال يتطلعون إلى مصدر الأصوات التى سمعوها بالليل — ثم يفتحون علب المؤونة ويأكلون ما بها بارداً . .

« وفى ذلك اليـوم بكرنا فى النزول إلى سفح التل، ونحن نتوقع فى كل لحظة أن تصب علينا نار اليابانيين، ولكنهم كانوا قد انسحبوا تحت جنح الليل تاركين معسكرهم على حاله، وهو عدد من أكواخ صغيرة أقيمت من عمد متشابكة وعليها أغصان كثيفة، وتغطى أرضها فروع لينة، فاحتللنا مركز قيادتهم وهو كوخ من طابقين، واتخـذناه مقراً لقيادة الفرقة. ثم اتصلت تلفونيا بوحـدة المدفعية الثقيـلة، وطلبت منها أن تسير فى إثرنا وتلحقنا. ثم قمت بجولة لأرى معدات اليابانيين، ولم يخل معسكرهم من صور راقصات « الجيشا » ولم تكن هذه الصور بذات نفع كبير لجنودنا.

« بدأت أقلق على خـط تموينا. ذلك أن المسالف (وابورات الزلط) التى تسير عادة فى إثرنا لتعبـد الطريق، لم تكن قد لحقت بنا بعد، فكان لزاماً أن ينقل إلينا الماء والزاد محمولا.

« بكرت فى الصباح التالى وأخذت أصدر أوامرى بالتلفون، لأعد كل ما يلزم لمواصلة التقدم. وكانت بالقرب منى حقيبة من اللبد معلقة إلى عامود وفيها مشاعل إذا أطلقت فى الجو دلت على مكان أصحابها. وفجأة دوت فرقعة فكأنما قامت القيامة، فتخليت فى قفزة واحدة عن ذلك العرش اليابانى، وهبطت أختبئ وراء أقرب شجرة إلى.

« ولمـا انقشع الدخان أدركنا أن أحد القناصة اليابانيين كان يحاول إصابتى وأنا جالس على ذلك العرش اليابانى، فأخطأنى وأصاب حقيبة المشاعل فانفجرت. ولما لم تسدد إلينا طلقات أخرى قلت: لعل اليابانى حين رأى سحب الدخان، ظن أن طلقته

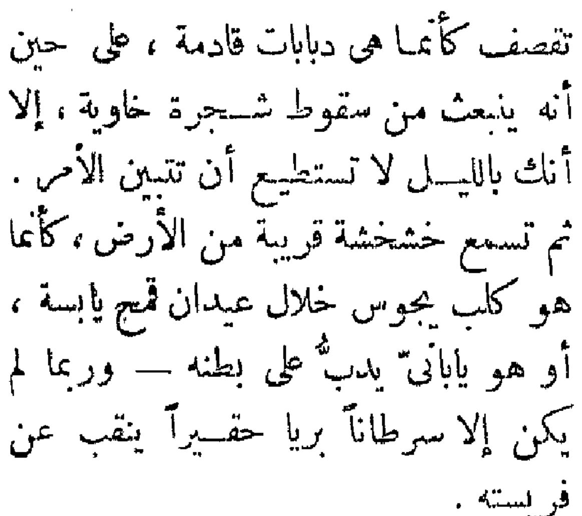
الأولى قد جاءته بأكبر غنيمة يرجوها ليومه فلم يثنّ وانسحب .

***

« وسرعان ما بدأنا السير وكنا نمشى مشى السلحفاة . وبعثت فرقة استكشاف لا لتتقدم فى جوف الدرب ، بل لتنقسم قسمين يسير كل منهما على جانبى الدرب مسافة ٧٠ أو ٨٠ ياردة ، يشقان طريقهما بين الأدغال منقبين عن أوكار مدافع اليابانيين . وكنا قد أوغلنا فى الغابة ، فوجدنا أشجارها تزداد ارتفاعاً وكثافة ، وأغصانها الملتفة تحجب الشمس . وكانت فرقة الاستكشاف بمنزلة العين والأذن تقينا المفاجآت . وانقضى معظم النهار وهى لم تقطع سوى ٨٠٠ ياردة ، ثم تريثت إلى أن نلحق بها .

« ولا شك أن أشق المهمات تقع على عاتق فرقة الاستكشاف ، فإنها تكافح وتتعثر فى غابة مجهولة دون أن تعلم وراء أية شجرة يترصد العدو . وهذا جهد يرهق أعصاب الرجال . ومن أجل ذلك كنت بقدر ما أستطيع أشكل فرقة الاستكشاف بالتناوب بين الجنود .

« خيمنا وسط الغابة ورقدت فى وكرى أنصت للأصوات ، وما أكثر ما تلقفه الأذن منها بالليل ! فأول ذلك ما تأنسه من العجيج عند المستنقعات : صرير الجنادب ونقيق الضفادع . ثم تسمع طائر الليل يصيح صيحة عالية متقطعة تهيج الأعصاب وتنهكها ، ذلك لأن اليابانيين يلجأون فى بعض الأحيان للتخاطب رمزاً فيما بينهم بالدق على عود من الغاب دقا يشبه فى تقطعه صيحة ذلك الطائر . ثم يجثم عليك الصمت مرة أخرى ، ثم تسمع فى جوف الغابة تقصفاً فى إثر تقصف كأنما هى دبابات قادمة ، على حين أنه ينبعث من سقوط شجرة خاوية ، إلا أنك بالليل لا تستطيع أن تتبين الأمر . ثم تسمع خشخشة قريبة من الأرض ، كأنما هو كلب يجوس خلال عيدان قمح يابسة ، أو هو يابانىّ يدبّ على بطنه — وربما لم يكن إلا سرطاناً بريا حقيراً ينقب عن فريسته .



« وهذا السرطان البرى يحيى ذعرك طول الليل ، وهو حيوان حجمه كحجم قاعدة التلفون ، وله أرجل كأرجل العنكبوت ، ولونه بالنهار أخضر مغبر كلون اللحم إذا أنتن . فإذا حوّم خمسة أو ستة منه حول العسكر بالليل خلتها فرقة كاملة من اليابانيين تزحف نحوك ، وقد تغفو فيهبط إلى جحرك سرطان

منها ويمزق جلد رقبتك بإحدى كلابتيه ، فكأنما وقع عليك يابانى يتلمس حلقومك بطرف خنجره ، فتهب تصرخ مذعوراً وتثب واقفاً وتتخبط فى الظلام .

« وقد يحدث أن يركب الكابوس أحد الجنود — وكثيرون منهم يكابدون الكابوس بالليل إذا اشتركوا فى قتال عنيف بالنهار — فيهب الجندى من نومه مذعوراً وهو يصرخ ، فتوقن أن الجيش اليابانى قد أطبق على الوكر ، وقد يحدث أن يهب أحدهم ويطلق ساقيه للريح وهو نائم ، وعلى زميله فى تلك الحالة أن يلقى عليه أنشوطة ثم يجذبه إلى الوكر .

« فى الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة ذاتها ، سمعت صرخة ثم أربع طلقات تجاوبت فى حوالى خمس عشرة ثانية ، ففزعت فرقتنا كلها ، وأيديهم على بنادقهم . لم يكن فى وسعى أن أقوم لأتبين الأمر ، وفى الصباح علمت أن أحد الجنود كان قد جثم عليه الكابوس ، فصرخ صرخة جعلت حارساً واقفاً ببندقيته يستدير بسرعة ، وعندئذ التف على بندقيته فرع شجرة فكاد سلاحه يفلت من يده ، فأيقن الجندى أن أحد اليابانيين يهاجمه فشد بندقيته ليخلصها ، ثم أطلقها ٤ مرات على المرمى حيث توهم اليابانى . وإذا ذكرت أننا كنا من الجنود الذين بلوا القتال ، لم تعجب للجنود الجدد إذا ردوا برصاصهم على كل تقصف يسمعونه .

« وفى الصباح طلب القائمقام منا أن نتنحى حتى تمر كتيبة أخرى « الكتيبة الثانية » وتتقدمنا فى الدرب . ولم تكد هذه الكتيبة تتجاوزنا بما يقرب من ٢٠٠ ياردة فحسب ، حتى سمعت أول طلقات الرصاص . ذلك أنها اصطدمت بيابانيين معتصمين بمرتفعات على جانبى الدرب ، وألزمت مكانها لا تتقدم . فتوزعنا نحن من ورائها نحرس مؤخرتها ، وهى خطة حميدة فى قتال الغابات ، كل ذلك والكتيبة المتقدمة منهمكة فى إفناء اليابانيين . وليس هذا بالأمر الهين حيث يبلغ من كثافة الأشجار والتفاف الأغصان أن لا تكاد ترى أبعد من ١٠ ياردات .

« وفى آخر النهار كان قد أصيب خمسة وثلاثون من رجالنا ، مع أننا لم نتقدم فى الدرب ياردة واحدة . وكان من البين أن الجهد قد بلغ من جنودنا كل مبلغ ، هذا والمطر ينهمر مرتين على الأقل بالنهار أو بالليل ، حتى تشتهى النوم كثيراً ثم لا تظفر منه بالقليل .

* * *

« فى الصباح التالى أبلغنا أنه قد تقرر أن يستعان بالمدفعية فى كسر جدة العدو .

فرددنا فى التلفون على هـذا البلاغ . وكان مراقبو الضرب متصلين تلفونيا بمدفعياتهم وهى على خمسة أميال من ورائنا ، فتقهقرنا عن مواضعنا قليلا حتى لا نكون فى مرمى النار . وإحكام تسديد القنابل فى الغابة عمل شاق ، فمراقب الضرب الذى يبغى السلامة يسدد القنبلة الأولى بعيدا عنه : ٦٠٠ ياردة ثم ينصت حيث تقع وينبعث منهـا انفجار مكتوم ، ويهتف المراقب بتعليماته فى التلفون قائلا : « إلى اليمين درجة واحـدة ، إلى الوراء درجة واحدة » . ثم ينصت لوقع قنابل أخرى . ثم تكون القنابل التى تليها أدق وأحكم . ثم إذا بك تسمع قنبلة تصفر فوق رأسك قبـل أن تنفجر بلحظة ، ثم تصل إلى أذنك ضجة تقصف الأغصـان . ولما اقترب منا موقع انفجار القنابل إلى أن صار على بعد ١٥٠ ياردة ، استهدفنا للخطر وصارت تتطاير من حولنا أغصان الأشجار وقطع كبيرة من الصخور . وفوق هـذا فقد كان من أشد ما يحتمل أن يحدث انفجار بين الأشجار ، إذ أن أنف القنبلة قد يمس فرعاً عالياً من شـجرة فتنفجر فى الهواء وتمطر علينا شظاياها .

« وقد يحـدث بين الحين والحين أن يتغير مهب الريح فتقع القنبلة فى خطوطنا . وقد حدث فى ذلك اليوم أن سقطت إحدى قنابلنا وسط فرقة من الكتيبة الثانية فقتلت عدداً من رجالها وروّعت الباقين .

« ولم تكد المدفعية تكف عن إقامة هذا السد من النيران حتى تقدمت فرقتى لمهاجمة جناح اليابانيين الأيسر ، وكان مرابطاً على تل ملىء بالغابات يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ قدماً ، فهاجمه جنودنا ، ولكن مواقع العـدوّ كانت جدّ منيعة ، فصدونا ، وأصيب عشرة من رجالنا .

« ومعالجة الجرحى فى الغابة أمر قائم بذاته . وقد جرى رجال الإسعاف الطبى على أن لا يلبسوا أبداً علامة الصليب الأحمر ، ذلك لأن اليابانيين علمونا أن هذه العلامة تهيجهم كما تهيج الثور الغلالة الحمراء . ولم أر قط أحداً من اليابانيين يضع تلك العلامة . وكانوا لا يحترمون علاماتنـا ، وخيراً فعلوا ، فإننا لا نسألهم شيئاً .

« ولا تقلّ إصابات رجال الإسعاف الطبى عن إصابات المشاة المحاربين . ويزحف رجل الإسعاف يجر الجرحى عائداً بهم إلى مكان مستور ، وربما اكتفى بجذع شجرة ، فإذا فعـل أخذ يرش مسحوق السلفا على أفواه الجروح ، أو يضمدها برباط ، ويحقنه بالمورفين ، ويدون أوصاف الحالة فى بيان ينوطه بالمصاب ، ثم ينادى أحد حملة النقالات.

* * *

« وهكذا كنا نظن أن اليابانيين يحتلون مواقع قليلة ، فإذا هى مواقع قد أحسنوا اختيارها ، فليس يجدى كثرة المواقع ، بل مناعتها . وأقاموا على كل موقع جنديا معه مدفع سريع ، وجنديين أو ثلاثة من حملة البنادق ليظاهروه ، إذا حاولنا أن ندب لمهاجمته من خلف . ولعل عدد اليابانيين فى ذلك الجزء من التل لم يزد على ١٥ رجلا ، ولكنهم كانوا فى تلك المواقع بمثابة ٥٠٠ فى ميدان منبسط .

« وكان الظلام قد بدأ ينتشر ، فاحتفرنا لأنفسنا الخنادق فى ذلك القسم من التل لنبيت ليلتنا . وكان يصل إلينا من أمامنا لغط اليابانيين فيما بينهم ، وهم يقطعون الأغصان لإفساح المرمى لنيران أسلحتهم . ثم سرعان ما هطل المطر المعهود فى السماء فزادت ربكتنا ومتاعبنا .

« وعند الفجر نادانى القائمقام بالتلفون وأبلغنى أنباء هامة : إننا سنعان بالدبابات ، فقد مهد الطريق إلى الخطوط المتقدمة بل لقد حدث أن أحد المهندسين كان فى مسلفته (وابور الزلط) ومعه بندقيته ، فلمح أحد اليابانيين فعاجله برصاصة من المحتمل أن تكون قد أصابته . وكان من نعم تمهيد الطريق علينا أن أخذنا نتلقى فطائر ساخنة وقهوة تحملها إلينا سيارات جيب .

« وسرعان ما بدأنا نسمع صفارات الدبابات ، وهى علامتها التى تشير بها بعضها إلى بعض بأن تنثنى يميناً أو يساراً ، وهذه الصفارة وحدها تكفى أن تقلق اليابانيين ، وأخيراً جاءت تشق طريقها تحطم الشجيرات ، أربع دبابات قد رفع غطاؤها وبرز منه رجل واقف يدل السائق كيف يتنكب الأشجار الضخمة . وكان رجالها من البحارة ، وبعد لحظة كان قائدها اليوزباشى كارلسون يقفز إلى الأرض يتأجج نشاطاً ، وهو شاب وسيم طويل القامة أشقر . وبينما أخذ رجاله البحارة يألفون جنودنا ويؤاخونهم ، توليت اطلاعه على تفاصيل الميدان ومواقع اليابانيين ومقدار قوتهم . ثم وثب البحارة إلى الدبابات ، وعمدوا فى تلك المرة إلى أغطيتها فأنزلوها وأحكموا رتاجها . وتحركت بهم فى صف واحد .

« ما من شىء يثير ضجة أكبر من ضجة الدبابات تسير فى الغابة . فهذا محركها يهدر ويزأر ، وصفارتها تولول كأنها جن ثائر ، والأغصان تنخلع ، والشجيرات توطأ وتتحطم ، والأشجار تنفلق منها الشظايا وتتطاير ، وكل هذا الضجيج متداخل متشابك . لم نبال أن نتبعها وهى تزجر ذات اليمين وذات اليسار ، وتتراجع وتنثنى تشق لها طريقاً فى الغابة . وبعد ٤٥ دقيقة وصلنا

إلى المنطقة التى يقوم فيهـا مخيم اليابانيين ، وملأنا الزهو حين رأيناه قد عانى كثيراً من مدفعيتنا مع أن كل اعتمادنا فى تسديد الضرب كان على آذاننـا ، وقد انسحب اليابانيون عند ما سمعوا الدبابات ، وخلفوا عدداً من المدافع والذخيرة والمؤونة ، وهى من الأرز والخبز الجاف .

« وعلى بعـد ٧٥ ياردة صادفنا جدولا صغيراً من جداول الغابات عرضه ١٠ ياردات ، ولا يزيد عمقه على نصف قامة الرجل ، ولـكنه كان كافياً لصد الدبابات فخضناه لا نبـالى بالتماسيح ، وتقدمنـا تاركين الدبابات . ولما جاوزنا الجدول اهتدينا إلى الدرب الموصل إلى زيتا . ومع أن النهـار كان يكاد ينصرم إلا أننا طمعنا فى أن تقطع جزءاً صغيراً من المسافة فما بقى لنا من الوقت ، ولـكن سرعان ما سمعنا فرقعـة الرصاص وصاح الجنود : « يا للجحيم ! هاهم أولاء مرة أخرى ! »

« ترك اليابانيون حرس مقدمتنا يمر ، ثم أطلقوا النـار على من جاء بعدهم . وكان الظلام يهبط بسرعة فى تلك الغـابة ، فاضطررنا إلى أن نحتفر لأنفسـنا الخنادق ونقاتل فى الوقت ذاته .

« أصيب اليوزباشى أولى روهولت وهو يحاول أن يتقهقر بحرس المقدمة ، وقد فتتت شظية القنبلة ذراعه ونفذت فيه ثم استقرت فى ساقه ، ولـكنه استطاع أن يزحف مستعيناً بساقه وذراعه السليمتين . وأصيب كذلك ثلاثة من رجاله ولـكن لم يعجز عن السـير سوى رجل واحد منهم ، فحمل .

« لم تكن ليلتى هنيئة ، فقد كان الرصاص ينطلق بين الحين والحين ، وأخذت أفـكر فى رجالى وأنا أستمع لتلك الطلقات . لقد ظلوا ينازلون بلاء الغابة وبلاء اليابانيين طيلة الأسبوع بغير انقطاع . ولـكنى كنت واثقاً من أن لهم من معـدنهم الحر ما يكفيهم فى الهجوم .

« وفى الفجر أرسلت عسساً يحمـلون معهم تلفوناً وساروا ببطء يتلمسون طريقهم من شجرة إلى شجرة ، وكانت كثافة الغابة فى ذلك الموضع تكاد تريك الظهر ليـلا . وحيثما وليت وجهـك فثمة أشجار باسـقة كأنها أبنية عاليـة تطبق عليك ، ولا ينفك ضغطها يزيد على مر الساعات ، وأنت لا يتسنى لك أن تفلت منها إلى متسع فسيح .

« وبعـد ربع ساعة من تحرك العسس طلبت بالتلفون ، وكان الصـوت خافتاً كالهمس ، فعلمت أنهم على مقربة من اليابانيين ، وكان الصوت يهمس وهو جد خافت :

« يادافيز ! لقد سقطنا على مواقع للعدو أعدها من قبل . فما هى أوامرك ؟ »

« فطلبت منهم أن يعودوا أدراجهم دون أن يسترعوا إليهم انتباه العدو . فلما عادوا أخبرونا أن مواقع العـدو على ١٥٠ ياردة من جانب الدرب ، وقالوا إن لديه — فيما يبدو — معدات كثيرة .

« لم يكن لنا إلا أن نواصل التقـدم ، فتركنا اليابانيون نزحف إليهم حتى إذا أصبح بيننا وبينهم ١٥ أو ٢٠ ياردة ، انهالوا علينا بالرصاص من بنادقهم جميعاً . فهاجمناهم بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، ولكنهم كانوا يتحصنون فى خنادق من تحت جذور الأشجار الضخمة ، فكان من العسير أن نصل إليهم . مكثنا طول النهار كأنما ننطح صخرة ، وأخيراً عدنا إلى حيث كانت خنادقنا فى الليلة الماضية ، وبتنا ليلتنا أيقاظاً حذر الهجوم ، وقبيل منتصف الليل أطلقت مخافرنا الأمامية رصاصها ، ولم يسفر الأمر عن شئ ، ولكن أحـد جنودنا وجد عنـد الفجر ، على بعد ٣ ياردات من جحره ، قتيلا يابانيا صرعته رصاصة بين عينيه .

«أصبحنا مع الفجر ونحن نكابد ما عهدنا من البرد والقذارة وقلة الراحة . وإن العرق ليتصبب غزيراً فى النهار ثم يتلوه ليل بارد ، ولم ندع حمل الأغطية إلا لأننا لا نستطيع أن نحارب ونحملها فى الوقت نفسه . وكانت الجنود قد طالت لحاهم ، إذ لم يتيسر لهم أن يستحموا أو يحلقوا ، وكانوا يفتحون علب المؤونة التى كانت — والحمد لله — تتنوع حيناً بعد حين ، ومن وجد منهم سيجارة غير مبللة دخنها . وقد انحطت قواهم المعنوية . لم يتململوا ، ولكنهم كانوا يشعرون أنهم يهاجمون عدواً لا يرونه .

« وفى هذا النوع من القتال يظل الجنود يتقدمون باحثين عن منفذ قد تركت حراسته ، وقد يحدث أن يصاب أحد الجنود فى كتفه وهو آخذ فى الزحف من فوق جذع شجرة فيجمد زملاؤه جميعاً فى أماكنهم ، فلو تحرك فرع شجرة لأبادهم العـدو جميعاً بسيل من الرصاص . فإذا حدث هذا لفرقتك فليس لك إلا أن تسحبها ، ولكن نجاح هـذا الانسحاب يحتاج إلى دراية فنية ، لأنك إذا بدأت الانسحاب ، وجب عليك ان تترك شرذمة صغيرة من الجنود لحمايتها ، ويظل جندى واحد فى كل جماعة ليطلق من مدفعه الرشاش كل ذخيرته ليصد اليابانيين ، على حين ينسحب زملاؤه . ثم يلحق بهم وهم يحمونه بنيرانهم ما وسعهم أن يفعلوا . وبعـد ذلك تصدر أوامرك للمدفعية .

« وفى تلك الليلة كانت مدفعيتنا متأخرة عنا ، لا يصلنا صوت انطلاقها . فلما سمعنا سقوط القنبـلة الأولى اجتمعت برؤسـاء الفرقة وتشاورنا ، وقررنا أن يستمر ضرب

اليابانيين بالقنابل ٣٠ دقيقة ، فإذا قارب الضرب نهايتـه أخذنا ندب إلى أن نصل قريباً من خطوطهم فنباغتهم بالهجوم ، من قبل أن تتاح لهم فرصـة الانسلال من مخابئهم واستكشاف ما حولهم .

«فتقدمنا ونحن نطلق كل ما لدينا من أسلحة نارية . وإن الجندى ليشعر أنه أحسن حالا إذا كان يطلق سلاحه سواء أرأى ما يرميه أم لم يره . ولكن ذلك لم يجْدِ كثيراً ، وسُمّرنا فى أماكننا مرة أخرى . وكان الجهد قد بلغ منا حينئذ كل مبلغ ، حتى لكأن تلك الأشجار العالية والفروع المتشابكة تطبق علينا هى الأخرى وتقيدنا ، ومن العسير احتمال مثل هذا الشعور .

« وفى الصباح التالى كانت دلائل الخيبة بادية على وجوه الجنود ، فها نحن حيث كنا من قبل ، نخرج لإنجاز ما خرجنا له بالأمس ، إلا أن عدد الخارجين ينقص يوماً بعد يوم . فكنا نكره الخروج كرة أخرى ، على علمنا أن لا بد مما ليس منه بد ، فقد كانت الأوامر الصادرة إلينا جميعاً — من القائد إلى أصغر جندى — صريحة : ثابروا على الهجوم .

« قمنا بشن هجوم ، وأخذنا نستعد لهجوم ثان ، حين بلغنا أن المهندسين أقاموا معبراً فوق الجدول ، وأن الدبابات لا تلبث أن تقدم إلينا . يا لله ! كم أفعمت هذه الأنباء قلوبنا سروراً .

«وبعد نصف ساعة قدمت الدبابات تطأ ما تلقى ، هى بعينها الدبابات الأربع ، وقائدها هو هو ، الضابط البحرى نفسه . وكان جنودنا يتوقون إلى الحركة ليتحرروا من المكان الذى قيدهم طويلا ، فجروا جميعاً واختلطت صيحاتهم بدوى الدبابات .

« ولكننا لم نتقدم ٤٠ ياردة حتى شرع اليابانيون يصبون نيرانهم علينا ، ولكن الحال كانت قد تبدلت هذه المرة . فإن الدبابات أخـذت تدور حول الأشجار فى حركة لولبية ، وتهدم مواقع اليابانيين ، وتنشر ستاراً من نيران المدافع السريعة ، ثم أطلقت مدافعها من عيار ٣٧ م . وقذيفة هذا المدفع ليست قطعة واحدة ، بل هى قنبلة محشوة إذا انفجرت مزقت الأغصـان شر ممزق . وكان لدى الدبابات أيضاً رصاص يخـترق الدروع ، فكان إذا أصاب مخابئ اليابانيين أطاح بغطائها المتخذ من شعاب المرجان مكوّمة فوق جذور الأشـجار . وزادت ضجة نيران مدافعنـا وبنادقنا السريعـة ، واستمرت المعـركة حتى هدم من معـاقل

اليابانيين أربعة أو خمسة . وكان قد وصل عندئذ إلى علم اليوزباشي بن فرجسون أن اليابانيين يشغلون مواقع أخرى أمامنا ، ولكن النهار كان قد أوشك أن ينقضى ، فقررنا أن نعود إلى أوكارنا الأولى لنقضى الليل ، ثم نبكر فى الهجوم مع الدبابات .

« فلما وصلنا إلى ميدان المعركة فى الصباح التالى لم نجد أحداً من اليابانيين ، اللهم إلا عدداً من قتلاهم مبعثرين على الأرض . وبعد أن سرنا ٢٠٠ ياردة عثرنا على مخيم أكبر قد هجره اليابانيون ، وعندئذ فهمنا الأمر ، ذلك أننا رأينا المخيم وقد خربته نيران مدافعنا تخريباً ، ومن أجل ذلك كان السد الذى أقامته المدفعية من أمامنا غير نافع فى هجومنا قبل مجىء الدبابات ، لأن مرماها كان قد تجاوز الموقع المقصود — موقع المعركة — بـ ٢٠٠ ياردة .

« وبعد أن سرنا ٨٠٠ ياردة وجدنا أنفسنا فى ساحة مكشوفة تقتحمها العين ، إذ كانت عدداً قليلا من أكواخ قائمة على عمد مسقوفة بالأغصان ، وبجانبها لوحة كبيرة رسمت عليها أحرف يابانية . وكان معنا جندى من قلم المخابرات السرية من أصل خليط ، أمريكى يابانى ، ولعله مولود فى كاليفورنيا أو هافانا ، فقرأ اللوحة وقال :

— هذه نهاية الدرب !

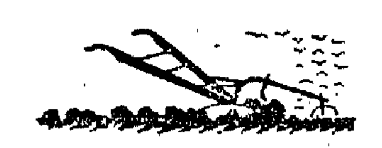
« رأقول ، إن هؤلاء الرجال المنحدرين من أصل خليط ، يابانى أمريكى ، أثبتوا أنهم جنود أكفاء مخلصون .

« ولكنى أحكى كلمة سمعتها هى التى نطق بها دليلنا « چو » إذ تلفت حواليه وأخذ يومىء برأسه ويقول : هذه هى زيتا !

« كنا الآن على بعد ٥٠٠ ياردة من الشاطىء ، فأقمنا مخفراً لمنع اليابانيين من التسلل إلى الشاطىء من جهات أخرى ، وقد جعلناه مخفراً حصيناً . ولا عجب إذا ما لبث اليابانيون أن هاجموه فى قوة كبيرة وهم يصرخون : سلموا أيها الأمريكيون ! لقد أحيط بكم !

« ولكن مجهودهم ضاع سدى . وأحصينا فيما بعد ما لا يقل عن ٣٠ قتيلا منهم .

« وقد رويت هذه الواقعة لأفسر كيف صرفنا أسبوعين لكى نقطع ميلين اثنين فى جوف غابات تلك الجزيرة . ولا يزال أمامنا كثير من أمثالها » .



« طرائق الجيش فى التعليم تحدث ثورة فى أساليب التربية »

هل تستطيع المدارس أن تحذو حذو الجيش ؟

ولتر آدمز

ملخصة عن مجلة « بترهومز آند جاردنز »

كان «فرناندز» مكسيكيا ناشئاً حيياً، وهو من إحدى مزارع تربية الأغنام فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة . ولما اختير للجيش ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وأرسل إلى فورت ريلى بولاية كانزاس ليتلقى التدريب الأساسى ، أدنفه الحنين إلى وطنه ، وكان لا يعرف الكتابة ، وإذا جاءه كتاب لم يحسن أن يقرأه .

وفى فورت ريلى ألحق فرناندز بقسم التدريب الخاص من الجيش، مع غيره ممن يمثلون الملايين الأربعة من الأميين فى الولايات المتحدة . وبعد ثمانية أسابيع كان فرناندز يستطيع أن يكتب اسمه فى كشف الأجور، فكان شديد الابتهاج حتى صار يدعو الناس ويصيح بهم قائلا : « انظروا كيف أكتب اسمى » . ولما فرغ من تدريبه الأساسى ، وكان تعلمه الكتابة على هامشه ، صار يتابع الأخبار ويحرر الرسائل إلى قومه . ومثل هذا التعلم الشيطانى شىء مألوف فى الجيش الأمريكى ، والأسطول الأمريكى ، وهو مثير للاهتمام لأنه ربما دل على التغير المنتظر فى أساليب التعلم بعد الحرب .

وكثير من الأطفال يقضون ، ما بين سنتين إلى أربع سنوات ، فى تعلم الفرنسية أو الإسبانية ، أما فى الجيش فيدرسون الأسس الضرورية من اللغات فى مدة تتفاوت بين ٨ ساعات و ١٢ ساعة ، فإذا أبحر الجندى فى جيش الغزو تلقى دروسه فى الطريق ، حتى إذا ما هبط الأرض ، أمكنه أن يعاشر الأهالى ويلتقط المعلومات الحربية .

واللغة اليابانية من أصعب اللغات ، وكنا نعتقد أن الإنسان لا يستطيع أن يتعلمها فى أقل من أربع سنوات من الدراسة المتصلة ، ولكن المدرسة البحرية فى بولدر بولاية كولورادو جعلت طلبتها يتكلمونها

فى ثلاثة أشهر . ولنفرض أن المدارس المدنية تنحو نحو طريقة الجيش والأسطول ، فتتجمع الفرقة حول الحاكى وتتعلم كما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه ، بالإصغاء إلى المتحدث من أهل هذه اللغة ، وتقليده ، بدلا من أن يتعلمها من مدرّسة تجاهد أن تنطقها كما تتوهم أهلها ينطقونها . وفى يد كل طالب دليل ، ليقارن بين المكتوب والمنطوق فى الحاكى ، ليتضاعف التأثير فى نفسه .

وبعد الاستماع إلى الحاكى ما بين ١٥ و ٢٠ دقيقة ، يفاجىء المدرس الطلبة بأسئلة سهلة ، وتكون جميع الأسئلة والأجوبة بهذا اللسان الأجنبى حتى فى الدرس الأول . فيتعلم الطالب الكلمات والتعبيرات الأساسية فى زمن يتراوح بين ٨ ساعات و ١٥ ساعة ، ولا يفكر خلال ذلك وهو يترجم من لغة إلى لغة ، بل يفكر باللغة نفسها .

وهذا المنهج فى تعلم اللغات هو أحد الطرق الكثيرة التى أخذت بها القوات المحاربة لتكون أسرع فى التعليم ، وهى تستعمل المناضد الرملية المعروفة فى رياض الأطفال ، والصور الهزلية ، والرسوم الكاريكاتورية ، وأشرطة السينما ، وكل ما يمكن أن يستعان به على التعليم ، يضاف إلى ذلك بذل الجهد وشدة اليقظة .

وهذه الأساليب الجديدة أصبحت شغل رجال التربية فى الولايات المتحدة ، وكثير منهم — سواء منهم من التحق بالجيش ومن ظل فى المدينة — قد ساعد فى تكوين مناهجه . فسيدنى جيمز فرنش — منظم مدرسة الإعداد للطيران الحربى يقول : « قد أظهر لى هذا العمل أن طريقة كليات الفنون الحرة فى التعليم كانت طريقة مريحة لإضاعة أربع سنوات صالحة من أعمار نابتة الطلبة » ، ويقول الدكتور صامويل ن . ستيفنز عميد كلية جرينل وهى مركز تدريب لأحد برامج الجيش الخاصة : « نحن الآن فى طريقنا إلى اكتشاف أساليب تمكننا فى شهر واحد ، من تعليم الأولاد المتفوقين تفوقاً بيّناً ، جميع الرياضيات الهامة والتاريخ والطبيعيات التى يحصلونها فى المدارس الثانوية ، وعما قريب سنعلم الطالب الموهوب فى مدى نصف سنة مدرسية ما يتلقاه عادة فى أربع سنوات بالمدارس الثانوية » .

وأشرطة السينما هى أجدى الوسائل المساعدة على التعليم . وعلماء النفس يقولون إن تسعين فى المئة من تعليمنا جميعه نظفر به عن طريق العينين ، وخمسة فى المئة عن طريق الأذنين . والذى يتعلمه الآن رجال الأسطول ، فى ١٥ دقيقة ، حين يدرسون إدارة المدافع فى السفن الحربية

— وهي من الأمور المعقدة — معروضة في فلم ، أكثر مما كانوا يتعلمونه سابقاً من محاضرة تستغرق ساعتين . وقد وجد أحد قواد الجيش أن الفلم قد اختصر أربعين في المئة من مدة التدريب في سنة ١٩١٧ ، ولذلك ألغى الجيش محاضرة حجرة الدراسة وعدها من أردأ أساليب التعليم .

ولنفرض أنك تسللت إلى إحدى حجرات الدراسة الأمريكية التي ستكون قريباً ، حيث يكثر استخدام الأفلام ، فترى المدرس قد استدرج جون إلى أن يؤكد « أنه لو ذهب تشرشل إلى ميونخ لما نشبت الحرب » وتتبع ذلك مناقشات في أسباب الحرب ، وبذلك يتضح للطالب ما يجب أن يعرفه قبل مشاهدة شريط ما ، أي سبب دراسته ، ومشاهدة الشريط دون أن تعرف لماذا تشاهده لا فائدة منها . وكل فرقة تشاهد الشريط عشر دقائق فحسب ، ولكن مشاهدته وحدها لا تغني عن الجهد العقلي .

وعندما يدير المدرس الشريط الناطق تتكشف للطلبة الإجابة عن حججهم في قصة لم تبدأ في ميونخ ، بل في منشوريا سنة ١٩٣١ أو أبعد من ذلك قليلا . وبعرض سريع تختلط فيه الشخصيات وتظهر الأحداث والإضرابات والأزمات وحرق الكتب وإلقاء الخطب من الشرفات واضطرام الثورات ، والجيوش ، والدسائس والاغتيال ، ترى كيف تفسد العقول إفساداً فظيعاً حتى تصبح عدواً لدوداً مخيفاً ، وبالخرائط الحية تتضح لنا المؤامرة الواسعة المنكشفة لغزو العالم . وليس ذلك دعاية ما كرة أو فلماً زائفاً من صنع هوليود ، بل هو الحق والصدق الذي يتوخاه المؤرخون ، إنه قصة مفجعة تتعلق بها الأنفاس ، وتبث في تعليم التاريخ حياة نابضة .

فإذا ما فرغ المدرس من عرض الشريط فقد يوجه إلى كل طالب خمسين سؤالا سريعاً على سبيل الامتحان ، كي يحمله على التفكير ويشوقه إلى التوسع في الدراسة .

وبعد ١٥ سنة تصبح مسألة عدد القتلى والجرحى في كتب التاريخ مسألة لا أثر لها في النفس : نعم ، كان عدد المصابين من جنودنا في صقلية قليلا ، ولكن الناشئة حين ترى الجرحى وهم ينقلون إلى سفن المستشفيات ، بعضهم سائر على قدميه وبعضهم محمول في المحفات ، قد أظلهم سكون الموت ، فيومئذ لن يكون ذكر عدد الإصابات ، ولا دراستها من الناحية الاجتماعية ، أمراً لا أثر له في النفس .

ونستطيع بالشريط أن ندعو إلى حجرة الدراسة ذوي المواهب ، من المدرسين الأكفاء والكتاب الذين لا تحتملهم ميزانية

المدرسة ، وهو يمكننا من أن نعلم الفرقة المبتدئة موضوعات فى علم الحياة لا تدرس بغير هذه الوسيلة إلا فى العاشرة — أى يبقى تعليمها متعذراً حتى يصبح للأطفال مجموعة من الألفاظ تيسر لهم الفهم . ونستطيع كذلك أن نغوص إلى قعر المحيط ، فندرس الإسفنج والأسماك . وبالصور المتحركة نستطيع دراسة معجزة نمو النباتات ، وبالرسوم المتحركة يمكنك أن تسير فى جوف محرك الديزل وهو يدور ، أو أن تدخل جوف الجسم الإنسانى لتدرس وظيفة البلعوم ، أو المعركة بين الكريات البيض والمرض .

ولما شرعت القوى المسلحة ، تنسق تعليمها على أساس حذف الزوائد فيه ، صححت مبدأ حشد الطلبة فى فصل واحد ، بغض النظر عن استعدادهم ومواهبهم ، وهو مبدأ مشكوك فيه على طول ما لقى من الثقة والاحترام . فقد أمكن ، باتخاذ ضروب جديدة من مقاييس الذكاء تزيد على مئتين ، أن ينتخب من ١١ مليون رجل ، أحسن الناشئة التى تستطيع أن تفيد من التعليم الفنى ، فأرسلوا إلى الجامعة وأعفوا من نفقات التعليم ، وقد أرسل فريق آخر إلى المدارس الفنية وفريق إلى مدارس تخريج الضباط ، وأرسل غيرهم أمثال فرناندز إلى مدارس تدريب الجيش الخاصة . وقد يعترض على ذلك بأن قوات الجيش إنما تدرب الرجال ولكنها لا تربيهم ، وأن أهم ما تعلمه المدرسة هو أن تهذب عقول الطلبة وأن تعلمهم كيف يفكرون . وهذا حق ، ولكن أن تجعل الأشياء صعبة الفهم باتباعك أساليب تافهة فى التعليم ، ليس من شأنه أن يكون ذا قيمة فى تدريب العقل . والطالب لا يستطيع أن يحسن التفكير إلا إذا نشىء على أن يفهم الموضوع ، وأن يدرك علاقاته بالأشياء الأخرى .

ونتيجة هذه المحاولة التى تقوم بها قواتنا المحاربة قد تكون بعيدة الأثر ، ومن المنتظر أن سيحين اليوم الذى يستطيع فيه العالم الطبيعى والعالم النفسى والعالم بالطب أن يشخصوا استعداد الطفل ومقدرته ، ويومئذ لن تحاول المدارس أن تجعل الفنان مهندساً بل ستجعل همها أن تشجع الصغار السريعى التعلم ، وأن تحفزهم ، لا أن تعوقهم باتباع طريقة قد روعى فيها أن يظل الطفل المتوسط الذكاء فى المدرسة ، حتى يبلغ السادسة عشرة .

والشىء الوحيد الذى نستطيع أن نؤكده : هو أن التعليم على النظام القديم ليس كافياً وأنه يجب على أمريكا أن تستبدل بهذا النظام نظاماً آخر .

« أيخرج الورق الأخضر فى الحقل مادة معجزة جديدة تعين الانسان على مكافحة العدوى »

السحر الأخضر

لويس ماركس ميلر

ملخصة عن مجلة « سيفنس نيوزليتر »

فى أعماق الألفة الخفية بين ضوء الشمس والنبات الأخضر ، يرجو العلم أن يجد المادة التى تدنيه من الظفر فى قديم نضاله غدوى الأجسام . وهذه المادة هى اليخضور (الكلوروفيل) ، وهى ما يسبغ على الغابة والحقل رُواء الاخضرار .

هذا البحث جديد ، وقلّ من سمع به من الأطباء ، ولكن ما ظهر حتى اليوم ، من الدليل على ما لليخضور من فائدة طبية ، شيء يحيي الآمال . فالممتازون الذين توفروا على البحوث الطبية ، يروون ١٫٢٠٠ حادثة مدوّنة ، شاهدوا اليخضور فيها يكافح الالتهابات الغائرة ، ويطهر الجراح الفاغرة ، ويلطف الالتهاب المزمن فى كهوف العظام ، ويقضى على الزكام . أما كيف يفعل اليخضور فعله ، فلا يزال هذا سرا من أسرار الطبيعة .

وقد مضى زمن تمكن فيه الكيميائيون من فصل المادة الملوّنة الخضراء فى النبات النامى ، ولكن كل سعى بذل فى استكشاف جزىء اليخضور ، فما قبل سنة ١٩١٣ ، باء بالإخفاق . وفى تلك السنة وصل الكيميائى الألمانى ، الدكتور رتشرد فلستاتر إلى استنتاج صحيح عجيب ، وهو أن معجزة الخضرة فى الطبيعة ، متصلة اتصالا وثيقاً بسر الحياة نفسها .

كل طاقة الحياة مصدرها الشمس ، ولكن النباتات الخضر هى وحدها التى تملك سر التسلط على الطاقة الشمسية ، ثم تردها على الإنسان والحيوان . تسقط شعاعة من ضوء الشمس على ورقة خضراء فتحدث المعجزة من فورها ، فتتمزق ، فى جوف النبات ، جزيئات الماء وثانى أكسيد الكربون — وهذا التمزيق نفسه آية لا يستطيعها الكيميائى إلا بشق النفس . فثمة أولا غاز وماء لا حياة فيهما ، وإذا هما فى طرفة عين مادة حية . وينطلق الأكسجين من النبات يجدد الهواء الذى نستنشقه ، وتتولد وحدات من الطاقة ، فى المواد السكرية والكربوايدراتية وتخزن فى النبات .

والإنسان يستهلك هذه الطاقة طعاماً — فى الخضر ولحوم البهائم (آكلة العشب)

ويستعملها فحماً وزيتاً وغازاً ، بعد أن كانت نباتاً أخضر طوى فى أطباق الأرض عصوراً متطاولة .

واسترعت الأنظار هذه الحقائق التى خلص إليها فلستاتر ، ولكن موالاة البحث الدقيق أسفرت عن شيء أشد تحييراً للعقول . فبين جزيء اليخضور وجزيء اليحمور (الهيموجلوبين ، وهو المادة الحمراء فى دم البشر) شبه عجيب . فالمادة الملونة الحمراء فى الدم ، نسيج من ذرات الكربون والإيدروجين والأكسجين والنتروجين يكتنف ذرة من الحديد ، والمادة الخضراء فى النبات هى أيضاً نسيج من العناصر نفسها — إلا أنها تكتنف ذرة من المغنسيوم . فمن الواضح أن لهذا الشبه مغزى ، فما هو ؟

وكذلك صارت أسرار اليخضور الكثيرة تحدياً موجهاً إلى العلماء ، ومنهم — مثل تشارلز كيترنج مدير قسم البحث فى شركة جنرال موترز — من بدأ يتلمس الأسرار الأصلية فى الورقة الخضراء — شرك الشمس — يحدوه الأمل أن يجد وسائل صناعية تقبض على طاقة الشمس . وغيرهم — مثل الدكتور هانس فيشر الألمانى الذى حاز جائزة نوبل سنة ١٩٣١ جزاء له على بحثه فى المادة الملونة الحمراء فى الدم — من بحث عما يحتمل كشفه من فوائد اليخضور فى الطب .

أنشأ كيترنج فى كلية أنتيوك سنة ١٩٣٠ مؤسسة لدراسة اليخضور والتركيب الضوئى — وهو عمل اليخضور فى الورق الأخضر — للبحث فى هذه الظاهرة من جميع نواحيها . وكان فى طليعة المسائل التى حاول البحّاث أن يجيبوا عنها ، هذه المسألة : ماذا يحدث لليخضور حين يمر فى جهاز الهضم فى الإنسان والحيوان ؟ فوجدوا أن إحدى المواد الناشئة من تحطيم جزيء اليخضور ، قريبة الشبه بالهماتين ، وهو أحد أجزاء اليحمور . وحين تطعم الفيران هذه المادة ، بعد هضمها بعض الهضم ، تنتعش أجسامها من فورها فتولد كريات الدم الحمر .

وحوالى ذلك الوقت أعلن الدكتور فيشر أنه قد استعمل اليخضور فى علاج فقر الدم (الأنيميا) ، وأن النتائج مبشرة ، وإن لم تكن حاسمة . فحركت هذه الدلائل همم علماء الكيمياء الحيوية فى بلاد أخرى .

فكشف رجال البحث فى جامعة تمبل بفلادلفيا أمراً عجيباً ، وهو أن محاول اليخضور يبدو قادراً على تقوية جدران الخلايا فى جسم الحيوان . فأفضى بهم هذا إلى أن يسألوا : ألا يستطيع اليخضور أن يساعد الجسم على مكافحة غزاة الجسم من البكتيريا ؟ وخير المواد المطهرة كافة يشينها

هذا العيب ، وهو أن كل محلول مطهر ، إذا بلغ مبلغا من القوة يمكنه من الفتك بالجراثيم ، أتلف فى الغالب ما يمسه من أنساج الجسم . أفيستطيع اليخضور أن يمكن الجسم من الفتك بالبكتيريا ، وأن تستريح له الأنساج فى الوقت نفسه ؟

كان فعل المادة الخضراء فى معامل البحث يبعث على الحيرة ، فليس لها من ذاتها قدرة على قتل الجراثيم ، فهى تأبى أن تفعل فعلا ما فى أنبوب الاختبار ، ولكنها إذا اتصلت بالأنساج الحية ، بدت قادرة على زيادة مقاومة الخلية ، ومنع نمو البكتيريا . ويلوح أن قدرتها على تحطيم ثانى أكسيد الكربون وإطلاق الأكسجين ، جلب الدمار على البكتيريا التى لا تنمو إلا بعيدة عن الهواء فى الجراح التى اندملت . وحين استعملت مقادير كبيرة ، من هذا المحلول ، أراحت أنساج الجسم بدلا من أن تحدث فيها التهابا .

وأعد قسم الباتولوجيا التجريبية فى جامعة تمبل محاليل ومراهم من اليخضور ، تصلح للاستعمال فى ألوان شتى من التقيح . وشرع الأطباء المختصون بمستشفى الجامعة فى معالجة المرضى تحت الرقابة الدقيقة .

وقد نشر تقريرهم فى مجلة الجراحة لأمريكية ، فوصفت المادة الملونة الخضراء برأيهم وبشهادة فريق من الأطباء الممتازين ، بأنها « عقار ناجح خطير الشأن » . وقد عولجت به ١٢٠٠ حادثة ما بين تقيح غائر ، إلى أذى يصيب البشرة ، وكان قرار الأطباء فى كل حادثة منها : « برأ المريض وانصرف » .

وكان بين هؤلاء من جىء به إلى المستشفى مصابا بزائدة منفجرة والتهاب بريتونى يتفشى ، فأجريت عمليات استئصال الزائدة ، وغمرت الجراح العميقة بمحاليل من اليخضور تجرى فى أنابيب ، أو غمست فيها الضمادات الرطبة ، أو استعملت المراهم .

وقد برئت به الدوالى (الأوردة المتورمة) المتقرحة ، والتهاب نخاع العظم ، وقرح المخ ، وأنواع شتى من القروح المتقيحة ، وحالات كثيرة كان أصحابها مصابين بذبحة الحلق (فنسنت أنجينا) وتقيح اللثة الشديد . على أن النتائج الباهرة كانت فى علاج ألف حالة من الالتهابات التى يصاب بها جهاز التنفس — مثل التهاب كهوف العظام ، والتهاب الغشاء المخاطى فى الأنف ، والزكام — وقد أشرف على هذا العلاج الاختصاصيان الدكتور روبرت دياث والدكتور ت . كارول دايفس ، فقالا : « لم تكن ثمة حالة واحدة لم تبرأ أو لم تتحسن » . وقد صنعت حشوات مشبعة

باليخضــور ووضعت فى كهوف العظم ، جففت الصــديد ، وأزالت الاحتقان ، وأراحت المريض لساعتها . وزال احتقان الرؤوس المصابة بالزكام فى خلال أربع وعشرين ساعة .

فكيف يأتى اليخضور هذا السحر ؟ إن هؤلاء الأطباء يعترفون بأنهم لا يعلمون إلا أن اليخضور يقوّى الخلايا ، ويمنع تكاثر البكتيريا ، فيتيح لانساج الجسم فرصة للدفاع والمكافحة . وهم يقولون إن فى فعل اليخضــور أكثر مما تقدم ، ولعل عمله الحقيقى لن يدرك كنهه تماماً .

على أن جميع الخبراء الذين كفلوا اليخضور فى مرحلة البحث فى المعــامل ، شــديدو الحماسة ، وهم يتنبأون بانتشاره واستعماله استعمالا ناجحا . أما الأطباء ، وهم متحفظون فى الغـالب — وهم على حق فى تحفظهم — فيدرسون فعل اليخضور زمنا طويلا ، بعناية فائقة ، قبل أن يشيروا بتعميم استعماله . ولكن التقارير من المستشفيات والأطباء الممارسين آخذة فى الازدياد ، وفيها جميعا أمل يتجلى ، وذلك أن الدلائل الأولى تبشر بأن « السحر الأخضر » الذى يبرئ الإنسان ويغـذيه ، سوف يبقى على طول الامتحان .

إن هــذا البحث الذى يدور اليوم على حدود الطب ، من أجدر البحوث بالاهتمام والحفاوة .

ثراء

— يجب أن يكون جارى بلومبرج ثرياً عظيما ، فهــو يوفر خمسمائة ريال كلّ يوم .

— خمسمائة ريال كلّ يوم ! كيف يستطيع ذلك ؟

— إنه يذهب إلى عمله كلّ يوم فى قطار النفق ، وهناك إنذار على جدران القطار يعلن معاقبة كلّ من يبصق بمبلغ ٥٠٠ ريال . فلا يبصق !

إسعاد الجند

— إننى أحيك شيئاً يسعد الجنود .

— آه . أتحيكين قميصاً من صوف لأحدهم ؟

— لا . إننى أحيك بذلة سباحة لى

من صميم الحياة

لويز دكنسون ريتش
مؤلفة كتاب " لجأنا إلى الغابات "

سمعت أنا وإليزابث صوت الطرْق قبل أن نرى الدار ، وكان النجارون يعملون فوق السطح الذي كان يتألق بلألاء لوح خشبي حديث القطع ذهبي اللون ، يظلل بستاناً مهجوراً يزخر بنَوْر أحمر ورد وأبيض ناصع .

وثمت رجل وامرأة قد جلسا فوق كومة ألواح في ظل شجرة تفاح . فلما دخلت سيارتنا تلقتنا المرأة ، وكانت فارعة القوام نحيلة القدّ في إزار (جونلة) وصديري من الصوف .

وقد طلبت منا أم إليزابث أن نزور آل أندروز لأنهما «سيشعران بالوحشة في نقلتهما إلى مكان جديد ناء في الريف ، وإن كانت مسز أندروز أنبأتني أنهما اشتريا الضيعة ليعتزلا الناس » وأم إليزابث أدنى إلى الغموض والإبهام ، ثم أدرفت : «سيكون خيراً لهما أن ترى عيونهما وجوهاً حبيبة ، وإن يكن هو كفيف البصر . أجل إنه لأمر محزن أن يكون مكفوف البصر مذ كان طفلا . أما هي فقد لقيته في إنجلترا حينما قامت برحلتها تلك منذ خمسة عشر عاما . وذلك من حسن حظها لأنه لم يكن يمر قط بخلد إنسان أنها ستتزوج. إنها مخلوق كريم ولكنها عاطلة من الحسن»

كان العطل (الخلو من الحسن) هو الوصف الدقيق الذي ينطبق على نانسي أندرو . وللدميمات في الغالب رشاقة وفتنة ، ولكنها كانت بادية الدمامة ، ذات وجه عريض مستدير ، وعينان شاحبتان ، وشعر دقيق مستقيم غير ذي لون . وكان يعوزها الدَّل وحسن السمت . وكانت أناملها — وهي تحدثنا — تلوي أزرار صديريها وكانت تبتسم ابتسامة مضطربة لا تفوت العين .

فلما قدمت إليزابث إليها نفسها قالت : « نعم لاريب ، إنك أنت ابنة بتسي فلنت ، تعالى لترى آندي » .

وفي وسعي أن أقص عليك ما اعتراها من إحساسات عديدة ساعة وقفت بجانب الأعمى ، فلم يعد صوتها مثلا — وهي تذكر اسمينا له — ذلك الصوت المعسول ، بل انقلب صوتاً خافتاً زاخراً جياشاً . وفي وسعي أن أقول إنها وصفتنا له وصفاً دقيقاً ، فلم تقتصر على وصف ما نلبس ولون عيوننا وشعرنا ، بل وصفت له كل شيء

حتى مظهرنا ، وأي طراز من الناس نحن ، لا تتردد ولا تتلجلج . وفي وسعي أن أقول إن يديها كانتا ثابتتين قويتين وهي تشد على دراعه ، وكانت ابتسامتها وديعة حلوة . نعم، ولكن ليس مما يدخل في وسعي أن أجعلك تشعر كما شعرنا ، أنها انقلبت امرأة أخرى البتة — امرأة ساكنة قوية ، جعلتنا نحس لساعتنا أننا لسنا غرباء .

فجلست أنا وإليزابث فوق الخضرة وأخذنا نتحدث إلى مستر أندروز ، أما نانسي أندروز فذهبت إلى الدار لتعد الشاي . فقال مستر أندروز « أليست هذه بقعة جميلة وقعنا عليها ؟ ألم تخبركما نانسي أننا رأينا ليلة أمس وعلا وغزالين صغيرين في الوادي عند تلك الأيكة الصغيرة ؟ إني أبصر كما تعلمان بعيني نانسي . وإني لأبصر بهما ولا ريب أكثر مما كنت عسى أن أبصر بعينيَّ ، لأنها هي أوسع مني خيالا . أما أنا فما كنت لأرى أكثر من ثلاثة وعول تقف حيث تكون ، ولكنها جعلتني أحس بما اعتراها من الحيرة والغمّ حينما وجدت أن هذا المكان الذي حسبته قد خلص لها ، إنما هو في حوزة وحشين كبيرين غليظين يمشيان على رجلين » .

وبعد قليل أقبلت نانسي من الدار تحمل صينية وضعتها فوق الألواح الخشبية بجواره، فوضع يديه فوق نهايتي الصينية ليستبين مكانه منها ، فكان بعد ذلك كأحذق ما يكون أحدنا في صب الشاي وتقديمه . فعجبت حتى إذا ما رفعت إليزابث وعاء القشدة أبصرت دائرة صغيرة مرسومة على الصينية . وما كادت إليزابث تضع الإناء غير مكترثة في مكان آخر ، حتى سارعت نانسي ووضعته فوق الدائرة ، وسرعان ما امتدت إليه يد زوجها دون أن تخطئه .

وجدنا فيما بعد أن بيت نانسي بأسره منظم على هذا المنوال . ولم يك بيتاً موحشاً بل بدا بيتاً مأهولا محبوباً ، ولم يك فيه شيء موضوعاً في غير مكانه وضعاً يحار في طلبه من لا يبصر .

ذهبنا عدة مرات في ذلك الصيف لزيارة آل أندروز ، وكانت زياراتنا غريبة حقاً إذ كانوا أكبر منا سناً ، غير أن ذهابنا إليهم كان كذهابنا إلى مكان رحب ، ساكن جميل ، فياض بالحب والإشراق .

وفي أحد أيام سبتمبر رأينا مسز أندروز واقفة وحدها عند طرف الحديقة ، فنظرت إلينا بعينيها الشاحبتين ، ثم أخذت تبكي فقالت والعبرات تخنقها : « آمل أن لا تسيئا الفهم ، فنحن كما تعلمان نحب زيارتكما حباً لا تدركان مبلغه ، ولكني مضطرة إلى أن أطلب منكما أن لا تعودا مرة أخرى » فبقينا

حتى استطاعت أن تتحدث فى هدوء ، ثم أخذت بعد ذلك تقص علينا ما حدث .

قالت : « إن آندى أخذ منذ سنة يسترد بصره ، وذكر الأطباء أن تلك معجزة من المعجزات لم تمر لهم بخاطر» . وقد نصحوها أن تذهب به بعيداً إلى مكان يجد فيه سكينة النفس وهدوء البال . خلال فترة المحنة العاطفية الكبرى التى تنتابه بارتداد بصره إليه ، فكان ذلك هو السبب الذى من أجله اشتريا تلك الضيعة .

قالت : « إن ذلك أعظم حدث يمكن أن يقع » وظل لون وجهها فترة بعد ذلك يتبدل ثم قالت مرة أخرى : « ولكن آندى يعتقد ، فيما أرجح ، اننى جميلة » ثم غطت وجهها بيديها واحتبس صوتها واستطردت تقول : « إننى لن أطيق أن يرانى أو أن يقارننى بأحد ، ذلك هو السبب الذى لا أريد من أجله أن تجيئا كرة أخرى ، حتى يجد فسحة من الوقت يألف فيها منتهى دمامتى ، ولن تطول هذه المدة . إنه يرى الآن معالم غامضة ، وهو لا يدرى ما جمال النساء ، فقد كف بصره وهو صغير جداً حتى لا يكاد يذكر شيئاً . وأنتما ، كلتاكما فاتنة ... » .

فقالت إليزابث : « لا تتحدثى يانانسى مثل هذا الحديث ، بل لو حاولت تصفيف شعرك تصفيفاً دائماً ، وتعلمت كيف تصلحين من زينتك ، أمكننا أن نمد إليك يد المساعدة » .

فدفعت نانسى أندروز يديها وقالت لنا فى زهو واعتداء : « حسبكما عطفاً ، فليس فى الوجود شىء يجعلنى جميلة » .

لم نر آل أندروز طيلة ذلك الشتاء ، وكنا نتحدث عنهما من آونة لأخرى متسائلين عن خبرهما ، وكنا نقول فيما تقوله : «إنها على الرغم من كل شىء عاطلة جدا ، وإنه لخليق فى النهاية أن يزول وهمه ويقع على الحقيقة السافرة » . فلما أقبل الربيع أدهشنا أن تبعث إلينا نانسى دعوة إلى حضور حفلة تقيمها ، جاء فى بطاقتها : « تكريماً لارتداد بصر آندى إليه ، أرجو أن ترتديا أجمل ثيابكما ، وأن تتجليا فى أبهى زينتكما » . فماذا حدث ، وماذا حلّ بها ؟

لم يكن فى الحفلة عدد كبير من المدعوين لأن آل أندروز لم يكونوا يعرفون كثيراً من نساء الناحية ، ولكن المدعوات لبسن ثياب سهرات الربيع الزاهية ، وكن جميعهن فرحات جميلات . أما نانسى فلم تصفف شعرها أو تصلح من زينتها ، وكان ثوبها المخمل الأدكن يزيد لون بشرتها وشعرها سمرة ، وبدا قوامها نحيلا ضامراً ، ولكنها بدت سعيدة مدلة .

وكنت أنا وإليزابث جالستين مع آندى نسائله عما يمكن أن يسائل به المرء كفيفاً ارتد إليه بصره : فهل وجـد الألوان كما ظنها ؟ والسحب كما خالهـا ؟ وهل راعه انطلاق الطيور وسبحها فى الجو ؟ وفى هذه الآونة اجتازت نانسى الغرفة فالتفت إلينا وقال هامساً فى لهجته البريطانية المتقطعة : «أتعلمان، إننى أعتقد أنى أسعد فتى فى الوجود . فهل دار بخلدكما أن أعمى استطاع أن يختار بوحى نفسه امرأة جميلة كجمال زوجى هذه ؟ » .

فأجفلنا ونظرنا إليه متعجبتين . وكان من حسن حظنا ، ينظر إلى نانسى نظرة يتجلى فيها الهيام الغامر ، فأدركنا أنه كان فى وجد يذهله عن أثر ما قاله فى نفوسنا .

وفجأة أبصرنا ما كان يبصر ، فلم نر الوجه العـاطل المستدير ، والعينين الشاحبتين ، والشعر الدقيق المستقيم ، بل رأينا العذوبة كلها ، والرقة كلها ، والعطف والحب الذى عرفه وتذوقه خمسة عشر عاماً كاملة ، قبل أن يبصر وجه زوجـه . فكانت قسماتها لديه ، هى كل تلك المعانى الرفيعة متجسدة فى لحم ودم ، حتى لا يستطيع وجه امرأة أخرى أن يدانيها عذوبة وبهاء .

فتبادلت النظرات أنا وإليزابث ، وسرحنا ببصرنا فى الغـرفة نتوسم وجوه النسـاء الأخريات ، فلم نجـد بينها وجهاً ، إذا هو قورن بوجهها ، سلم من أن يكون وجهاً لا معنى فيه ولا جمال .

كيف تصلى ؟

قال صـديق مرّة : « أنا لا أصلّى كما تصـلّى » . فقلت : « كيف تصـلّى ؟ » فقال : « على البيانو » . [الواعظ : هارى إمرسون فزديك]

النجوم — بين الغرب والشرق

روى الكولونيل لورنس أنه جلس مرّة مع شيخ عربىّ جليل ، وأفاض فى وصف ما يكشفه المرقب من عجائب الفلك . وحين انتهى التفت الشيخ إليه وقال :

« أنتم أيهـا الأجانب ترون ملايين من النجوم ولا ترون شيئاً وراءها ، أما نحن العرب فلا نرى إلا نجوماً قليلة — ثم نرى ربنا ورب هذه النجوم ! »

ويجد فهو ليس بالموضوع الممل كما كان يظن !



منذ ست سنوات عُرضت وظيفة جديدة على سدنى س. سميث ، المهندس بشركة شل — هى إنشاء خط أنابيب وإدارته . ولم يكن سميث يعرف شيئاً عن هذه الخطوط فصرح بذلك . ولكن رئيسه أجابه : « هذا أحسن ، فربما خطرت ببالك خواطر جديدة . ونحن نرجو أن تبدأ العمل أول الأسبوع القادم » .

كانت العاقبة أن أنشئ خط أنابيب ينقل عدة أنواع مختلفة من منتجات النفط فى وقت واحد . فقد تجرى فيه متدافعة منبع مراتب مختلفة من البنزين ومعها الجاز وزيت الوقود وعدة منتجات أخرى لا يفصل بينها فاصل . وهى تختلط قليلا حيث تلتقى ولكنه اختلاط لا يكاد يضير ، بل إن الكيميائيين يستطيعون فصل بعضها عن بعض .

ويبدأ هذا الخط من مدينة وود ريفر من ولاية إلينوى ، حيث أقامت الشركة أحد معامل التكرير الضخمة ، ثم يمتد ٣٥٠ ميلا مخترقاً ولايتى إلينوى وإنديانا إلى مدينة ليما من ولاية أوهايو ، وثمة يتصل بخطوط أخرى تزوّد شرق الولايات المتحدة. ويجرى فيه يوميا ما قدره ٢٥٫٠٠٠ برميل من الوقود .

وحسبُ المرء أن ينجز مثل هذا العمل . ولكن سميث وضع فى سنة ١٩٣٩ تصميم خط أنابيب متنقل ، مزود بأنواع جديدة من الأنابيب والوصلات والضخات ، ثم عرض فكرته على الجيش الأمريكى ، فأنشئ خط تجريبى ، وأصاب من النجاح فى نقل النفط ومشتقاته ما حمل الجيش على زيادة المصنوع من هذه الأنابيب زيادة كبيرة .

وقيمة مثل هذا الخط بيّنة ، إذ أنه يغنى عن كثير من عربات نقل الزيت . التى تقوم هدفاً ظاهراً لطائرات العدوّ . فضلا عما تستهلكه هى نفسها من الوقود .

أما الخط المتنقل الذى يتفاوت قطره بين أربع بوصات وست بوصات ، فيصعب رؤيته من الجو ، وأصعب منها أن يصاب ، فإن أصيب فمن السهل إصلاحه . وهو أجزاء طول كل منها ٢٠ قدماً لا يعجز

الرجل الفرد عن حمله ، وله من المرونة ما يسمح بثنيه عند المنعطفات ، ويتسنى لغير المدربين أن يقوموا بتركيبها .

وقد جرب هذا الأنبوب المتنقل لأول مرة في ميدان القتال في تونس ، حيث مدّ متعرجاً خلف الجيش الأمريكي المتقدم مسافة تتفاوت بين ٢٠ و٣٠ ميلا في اليوم الواحد . وقد كتب أحد القواد إلى سميث أنه كان عوناً كبيراً على إحراز النصر . وفي صقلية ، حمل الزيت من السفن الناقلة بواسطة خط مرن إلى محطات التموين خلف ساحة القتال مباشرة . ويوم انتهى القتال كان الخط قد قطع في سيره المتعرج جزءاً كبيراً من الساحل حتى مدينة مسينا . ولا يعلم أحد بعد أين هو المكان الذي سيقوم فيه بمهمته القادمة ؟ ولكن الأنابيب والمضخات مهيأة كي تمدّ إلى حوالى ١٠٫٠٠٠ ميل .

وسميث هذا رجل في التاسعة والأربعين ، مجدول الخلق وثيق التركيب طلق المحيّا ، وهو يغضّ من قيمة عمله العظيم بقوله : « كان لابد من أن ينجزه رجل ما » . فإن يكن ذلك فلا محيصَ لهذا الرجل من أن يكون له ما لسميث نفسه من نشأة وخيال . فهو ابن أحد عمال النفط ، قضى صباه في حقول البترول . ثم انطلق ، بعد تخرجه من كلية مريتا في ولاية أوهايو، إلى أراضي النفط في ولاية أوكلاهوما ، حيث تدرّب وأثبت كفاءته في استخراج الغاز الطبيعي ، وهو أدهى أعمال النفط وأشقها .

وقبل أن يضع سميث تصميم خط « وود ريفر — ليما » لم يكن هناك سوى نوعين من خطوط الأنابيب . أحدهما ، لا يزيد في تعقيد تركيبه عن أنابيب المياه ، يجري فيه نوع واحدٌ من المنتجات ، كالنفط الخام ، من مكان إلى آخر . أما النوع الآخر فهو ينقل الجاز وزيت الوقود في نفس الأنابيب ، ولكن القائمين على العمل قلما يمكنهم أن يعرفوا أيهما الذي يمر في مكان ما من الأنبوبة ، حتى يستخرجوا جزءاً من السائل ليتبينوه .

فأنشأ سميث خطاً زجاجيا من الأنابيب صغير الحجم وجعله صورة طبق الأصل من أنابيب نقل البترول ، حتى يستطيع أن يدرس ما يطرأ على الزيوت المختلفة حين يجري بعضها في إثر بعض . فتبين له أن الزيوت التي تجري بسرعة ميل واحد في الساعة سرعان ما تختلط معاً ، فإذا ما ضغطت ضغطاً شديداً حتى تسير بسرعة ثلاثة أميال في الساعة فإنها لا تكاد تختلط .

وربما كان أغرب ما في الجهاز كله دقته التي تمكنك من تحديد الموعد الذي سيصل

فيه كل نوع من أنواع الزيت إلى مصبه . وهذه ولا ريب أروع مآثر سميث ، إذ أن مرور نوع واحد من الزيوت فى خط الأنابيب المدفون على عمق أربع أقدام فى جوف الأرض ، يتطلب مدة تختلف من ثلاثة أيام إلى خمسة أيام . ومع ذلك فقد أصبح فى الإمكان تعيين مصب كل رسالة بيطارية مكونة من أجهزة لقياس الضغط والحرارة وغيرهما من العوامل ، وأصبح العامل عند المصب ، حين يكلف تسلم ٥٠٠ برميل من بنزين الطائرات مثلا ، يعرف متى يبدأ فى سحبها ومتى يكف .

ويدير الخط دليل يقيم فى مكتب بأعلى بناية « روكفلر سنتر » فى نيويورك ، معه جهاز تلغرافى خاص يصله بجميع مراكز المضخات والمصبات على طول الطريق . فتصل إليه بهذا الجهاز درجات الضغط والحرارة ، وأنباء عن المقادير التى صبت فى أنابيب المحطة « الأم » بوود ريڤر ، والمقادير التى أفرغت عند كل مصب . وفى هذا المكتب أيضاً رسم بيانى لكل ما يجرى فى الأنابيب — وهو شريط متحرك من الورق مختلف الألوان ، كل لون منها رمز لنوع من المنتجات . فكلما تحركت مواد الوقود تحرك معها الشريط ، وعليه رسم مجسم مصغر يصور التلال والأودية التى يمر بها خط الأنابيب . وهكذا يعرف الدليل دقيقة فأخرى ، وميلا فميلا ، مكان كل جالون من كل نوع من أنواع الوقود .

وقد استطاع سميث أن يجعل الجهاز كله أتوماتيكيا ، إلا أن الزوابع ربما حطمت خطوط القوة الكهربائية وعطلت المضخات ، فعندئذ يرسل الدليل إشارة الاستغاثة إلى مراكز المضخات الأخرى لتزيد ضغطها ، فإن هبوط الضغط يعين الزيوت على الاختلاط ، فكذلك تتغلب على هذا الظرف الطارئ .

وهناك الآن خطان آخران تحت إدارة سميث : خط فى ولايات نيو إنجلاند ، والآخر من وود ريڤر إلى شيكاجو .

وتنقل هذه الخطوط ، علاوة على أنواع البنزين والزيوت ، غاز البوتين الذى لا غنى عنه فى إنتاج المطاط الصناعى ، والبروبين ، الذى يعرف باسم « الغاز المعبأ » ، وذلك بأن يحولا إلى سائل قبل إفراغهما فى الأنبوب . ويشغل بال سميث الآن تفكيره فى نقل الحامض الكبرتيك والنشادر والكحول بالأنابيب ، إذ تستهلك منها مقادير وافرة توجب نقلها على هذا الأسلوب .

★ ★ ★ ★ ★ ★

« حيث تخفق الجراحة التجميلية ، ينجح الفن الذى ابتدعه هذا الرجل »

الآن يستطيعون أن يمشوا فى النور

فردريك پايفتون

ملخصة عن مجلة « أمريكان ميركيوري »

كان التشويه ، ولا يزال ، هو فزع الجنود الأكبر فى جميع الحروب. ولقد رافقت المحاربين عشرة أشهر فى الميدان فسمعت المئات منهم يقولون : « أريد إما أن أعود إلى وطنى جملة كما أنا ، وإما أن لا أعود البتة » .

مع ذلك فإن اثنين فى المائة من جميع جراح المعارك جراح فى الوجه ، وكثير منها يشوه تشويهاً فظيعاً يقتضى الجراحة التجميلية والتطعيم بالجلد . وعلى الرغم من المعجزات الخارقة التى أتتها الجراحة التجميلية ، فإن مئات من المشوهين لم تنفعهم هذه الجراحة شيئاً . ومن المحاربين القدماء فى الحرب العالمية الماضية ، رجال عانوا من جراح الوجه المخيفة ما جعلهم لا يجرؤون على الظهور بين الناس ، فهم يلبسون أقنعة من الكتان ، ولا يخرجون ، إن خرجوا ، إلا بليلٍ .

وقد حادثت اليوم رجلا فى شمال إفريقية ، فى جامعة الجزائر ، وشهدته وهو يعمل ، يهدى أملا جديداً ووجوها جديدة لأولئك المشوهين ، ذلك هو الكابتن كارل ديم كلارك بجيش الولايات المتحدة . وتبدأ قصة حياته الفريدة منذ عشر سنوات بجامعة ماريلاند ، حيث كان مساعد أستاذ للفن التطبيقى فى علم الطب . كان عمله أن يصنع من المطاط والمواد الأخرى تماثيل لأجزاء الجسم البشرى على اختلافها ، ليساعد طلبة الطب على تعلم التشريح. تعلم فى مدرسة الفنون الجميلة بييل ، وفى مدرسة جنز هوبكنز للطب ، فأعانه امتزاج الثقافة الفنية والطبية على أن يصنع نماذج آية فى الإبداع لقربها من الأصل .

كان كلارك ذات ليلة يعمل فى مصنعه ، فغشيه صديق مقطوع الذراع ، فجعل يرقبه ، وكان رجلا مرهف الإحساس ، يضيق صدره كلما رحمت عاهته أعين المارة ، فلم يلبث أن صاح فجأة : « آه لو استطعت أن تصنع لى ذراعاً ! » .

وقبل كلارك من فوره أن يحاول ، وبدأ يجرب شتى أنواع المطاط ، وبعد أسبوع أهدى إلى صديقه ذراعاً من المطاط كاملة بمسامها ومرونتها ولونها .

ومن يومئذ أصبح كلارك مزيف أعضاء (أى خبيراً فى تركيب الأعضاء المصنوعة) . وهو يصنع الآن تقاطيع لوجوه الجرحى من الجنود تخالها من لحم ودم ، فما يميز الزائف من الصحيح إلا الفحص الدقيق .

وهــذا الجندى البريطانى الذى أطار الرصاص أنفه ، مثل رائع ، فقــد صنع له كلارك أنفاً من المطاط النباتى يقل سمكه عن ثمن بوصة ، وحشاه بنسيج إسفنجى من المطاط حتى يمتلئ ، وبعــد أن صبغه باللون المناسب ، ثبته فى الوجه بسائل لزج مصنوع من الــكحول والأثير وصمغ المصطــكاء . وهذا المزيج من اللصوق بحيث يتعذر معه فصل الأنف بالشد أو اللطم ، وإنما يفصل « بالتقشير » ليس إلا ، كما يقشر البرتقال . وهو أيضاً يدرأ الخوف عن المصاب أن يقع منــه العضو الزائف لسبب من الأسباب . ودهن كلارك مكان الوصل بطلاء مكوّن من عجينة من عجائن التنكير ، أضيف إليها مسحوق معدنى ، ثم أمر الرجل أن يلبس نظارة كى يخفى إطارها خط الاتصال ، ثم عرض الجندى على عشرين ضابطاً ليفحصوه فما تبين أحد منهم أن الأنف زائف .

وأمد كلارك الجندى بثلاثة أنوف تتباين ألوانها تبايناً هيناً ، ليوائم ابيضاض الجلد فى الشتاء واسمراره فى الصيف .

ويقول كلارك : « لقد سكن روع هذا الجندى من فوره ، فقد كان يفزع من العودة إلى وطنه ، مشفقاً أن يرى أحبابه ما أصابه من تشويه ، وأصبح يعتاده الشوق إلى لقائهم . وهذه هى القيمة النفسية الحيوية لتزييف الأعضاء » .

ثم يعود فيحذر : « لــكن تزييف الأعضاء لا يقوم مقام اللحم والدم ، فما هو إلا بديل يعتمد على براعة التقليد والتجميل فى خداع الجمهور .

« إن الأعضــاء المزيفة تستمد قيمتها من ثلاثة أسـباب : الأول أنهـا تعين المصاب أن يظهر فى الملأ إلى أن تفرغ الجراحة التجميلية من إصلاح عاهته إصلاحاً دائماً . وهــذا أمر مهم ، لأن الجراحة التجميلية قد تتطلب جراحات عديدة تستغرق عدة أعوام ، وبدون الأعضاء الزائفة المؤقتة يرغم المصاب أن يظل بمعزل عن الأبصـار ، كما أنه يستطيع بهــذا التزييف أن يواصل العمل المفيد . والسبب الثـانى أن التزييف هو الحل الوحيد لكل تشوه تعجز عن علاجه الجراحة التجميلية كحالات البتر ، أو حيث لا عظم يبنى الجراح عليه . وآخر ذلك أنى أعتقد أن التزييف خير من الجراحة التجميلية فى حالات قليلة كفقد الآذان » .

وذكر كلارك أن رجلا أسود فقد قبل الحرب معظم أذنه اليمنى، وكان شديد الوطنية، فما هو إلا أن حدث الاعتداء على « بيرل هاربور » حتى خشى أن ترده عاهته عن أداء واجبه، فأقبل على كلارك يسأله المعونة. وفي يومين صنع له كلارك أذناً وثبتها في موضعها، ثم أخذ الرجل إلى حضرة ثلاثة من كبار الضباط الأطباء.

قال لهم : « إن في هـذا الرجل عيباً، فهلا شخصتموه ؟ » ولمس الأطباء الأذن وهم يفحصونه، ولكنها كانت أشبه شيء باللحم حتى تعذر عليهم اكتشاف زيفها. ثم جاء ضابط آخر واشترك في الفحص ثم قال : « إن العيب الوحيد الذى أستطيع أن أراه، هو أن إحدى الأذنين يختلف لونها عن الأخرى » . وعجب كلارك، إذ لم يدرك هو ولا الضباط الآخرون هـــذا التباين، فسأله كلارك: «أأنت مصاب بعمى الألوان؟» فاعترف الضابط أنه كذلك.

وما فرغ كلارك من هذه القصة حتى قال لي عابساً : « إني عاجز عن صنع أذن تخدع أعمى الألوان » ، ثم مضى يقول : « إن الجراحة التجميلية تستغرق وقتاً طويلا في عمل أذن، ولـكن الأذن الزائفـة يمكن صنعها في بضع ساعات وتعيش أعواماً » .

ولدى كلارك ملفات لصور فوتوغرافية تبـدو فيها وجوه مهشمة تهشيما مروعاً، أعارها التزييف محيّا حلوا مقبولا. ومنها صورة لرجل حطم الرصاص أنفـه وثناياه وشفته العليا، وصورة أخرى للرجل نفسه بأعضاء زائفـة، بلغ كمال زيفها بحيث عجزت آلة التصوير نفسها عن إظهار مكان اتصالها بالتحديد.

ويشعر الكابتن شعوراً قويا بأن التزييف سيستغل أكثر ما يستغل في عمل الأيدى المصنوعة وقد قال لي : « إننا لا نزال نمدّ جرحانا في هذه الحرب بأيد خشبية قبيحة، تغطيها قفازات من الجلد. إنها لـكريهة ولا تخدع أحداً. وأنا أستطيع أن أصنع يداً لمحارب قديم في يوم واحد، وذلك بأن يغمس أحد مساعدى يد المحارب في مركب من مركبات الأجار، فتغطى بطبقة منـه كالقفـاز، ثم يغمسها في ماء مثلوج حتى ييبس الأجار ويصبح قالبا، فأحيطه بطبقة من المطاط كاملة المسام وخطوط البصمات، ثم املأ القالب ببلورات الشمع الدقيقـة، فيسبغ على اليد الامتلاء والمرونة، ويستطيع المصاب أن يضع أصابعه في أي وضع شاء، فهو قادر على أن يمسك بها الموسى للحلاقة، وأن يحمل بها أحمالا خفيفة.

« تأمل هذه الصورة، أتستطيع أن تفرق بين اليد الزائفة واليد الحقيقية ؟ »

ولقد عجزت ، فقد اختفى المفصل تحت ساعة معصم ، وأضفى طلاء الأظافر الشفاف على الأنامل مظهر الحياة .

قال كلارك . « إن هذه اليد قد تبلى فى سنتين أو ثلاث سنوات ، ولكن يمكن صنع أخرى فى يوم على قالب من الجبس محفوظ فى ملف المصاب . إن اليد الخشبية يجب أن تلغى إلى الأبد » .

كان جندى أمريكى من جنود المدفعية يمسك بفتيل قذيفة ، فانفجرت وهشمت إبهام يده اليمنى وسبابتها ووسطاها ، وكان الرجل فى حياته المدنية يشتغل على منضدة الحروف فى المطابع ، وبدا أن هذا الجرح قد أضاع عليه عمله إلى الأبد . فجاء إلى الكابتن كلارك فصنع له من المطاط النباتى إبهاما وأصبعين ، وكلاهما منفصل عن الآخر ، ثم وصلها باليد ، فاستطاع الرجل أن يعود بها إلى عمله على آلته بنفس حذقه القديم .

ويقوم على رأس معاونى كلارك الجاويش موريس مانسون من نيويورك ، وهو خبير معروف فى فن التنكير ، ولكن كلارك يعتقد أن كل رجل صنع اليد دقيق التمييز للألوان ، يستطيع أن يتعلم فن التزييف فى عام . وقد علم كثيراً من الناس ، وكتب كتابين بسط فيهما طريقته بكامل تفاصيلها .

ويقول كلارك : « إنه وحتى فى زمن السلم تمس الحاجة إلى التزييف ، ليساعد مشوهى الحوادث والسرطان والعاهات الموروثة ، ويردهم إلى الحياة السعيدة المفيدة » .

وقد طلب من كلارك أن يلقن فنه طائفة كبيرة من الأطباء أرسلوا إلى القيادة العليا فى الجزائر لهذا الغرض ، والآن يعمل هو ومساعدوه سبعة أيام فى الأسبوع ، من مطلع الفجر إلى مهبط الظلام ، لإمداد الجنود الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين بالأعضاء الزائفة .

يقول كلارك : « إن الخدمة الوحيدة التى أديتها لفن التزييف العضوى أن كنت أول من استعمل المطاط النباتى فى عمل أعضاء زائفة طويلة العمر ، قريبة الشبه بالأعضاء الطبيعية » .

ولكن هذه المقدرة ستمهد السبيل لألوف من جرحى هذه الحرب أن يمشوا فى ضوء النهار ، وأن لا يجفلوا كلما وقعت عليهم الأبصار .

لوبى مجتمعا

— أريدك أن تعلل الأمر وأن تقول الحقيقة .

— لن تستطيع الظفر بالتعليل والحقيقة كليهما !

توم بين
مجاهد في سبيل العقل

ماكس ايستمان • ملخصة من مجلة « ذى نيو ليدر »



ليس في تاريخ القدرة الإنسانية على البيان والإقناع ما يبز ما فعله ذلك البريطاني المغمور صانع « المشدات » الذي نزل بفيلادلفيا في نوفمبر سنة ١٧٧٤ — وهو مجهول جاهل حتى بالنحو — فماهو إلا أن مضى عام ونصف عام ، حتى استطاع بمفرده تقريباً أن يثير الولايات الأمريكية الثلاث عشرة ويدفعها إلى إعلان حشوه الكبر والعترسة للاستقلال عن بريطانيا العظمى وملكها والملوك طرّا .

وقد قال أحد ذوى الرأى من معاصريه : « لقد فعل توم بين بقلمه مثل ما فعل وشنطون بسيفه » لإقامة الجمهورية الأمريكية وتشييد صرحها .

كان توم بين رجلا نادر المثال كما كان حكيما ، وقد استطاع أن يكون كذلك بالدءوب على الفهم . ومن قوله ذات مرة : « قلما تركت خمس دقائق من وقتى تمضى ، كائنة ما كانت الأحوال التي أكون فيها ، من غير أن أكتسب شيئاً من العلم والمعرفة » . وهذه الكلمة المدهشة هي مفتاح شخصيته ، وهي التي تفسر عبقريته فيما قام به من عمل جليل ، بعد أن جاء إلى بلاد شعر فيها بالحرية .

وقد ولد في بلدة صغيرة تجارية تسمى ثتفورد على مسافة تسعين ميلا من لندن ، وترك المدرسة في الثالثة عشرة من عمره وتعلم صناعة أبيه — وهي صناعة المشدات للخصور — ولكنه ضجر منها ، فعمل جابياً يقدر قيم المخزون من المشروبات لتحصل عليه الضريبة . وبعد أربع سنوات حاول عبثاً أن يرسم قسيساً في الكنيسة الإنجليزية ، فاشتغل بتجارة الدخان زمناً ، وبالتعليم كذلك ، ثم عاد إلى الجباية ، وكان الجباة يسعون لتحسين أحوالهم ، فأوفدوه إلى لندن ومعه التماس إلى البرلمان لتقليل ساعات العمل وزيادة الأجر . وقد بلغ من قوة التماسه وبلاغته أن كان الرد عليه فصله من عمله للمرة

الثانية ! فتحول إلى لندن واتخذ مسكنه فى غرفة بسطح منزل وشرع (فى السابعة والثلاثين من عمره !) يكسب رزقه بقلمه .

وكل هذا يوصف عادة بأنه فشل وإخفاق ، ولكن توم بين نجح فيما يبدو أنه غايته التى رسم نهجه إليها عن روية وتدبر ، وذلك أن يبقى حيا بكل وسيلة شريفة، وأن يدرس فى أثناء ذلك كل ما يحتاج مفكر منتج أن يدرسه ويتعلمه .

وقد عنى بالعلوم خاصة وكان ظنه بنفسه أنه مخترع ، ولكنه كان يطيب له أن يسطع ويظهر اقتداره فى الجدل والمناقشة . وقد واظب على تثقيف عقله فى هذه الأعوام المحلة فى ظاهر الأمر ، والتقى وهو فى لندن برجال مثل بن فرانكلين السياسى والمخترع الأمريكى العظيم ، وقد فطن فرانكلين إلى عبقريته وأشار عليه بأن يذهب إلى المستعمرات الأمريكية حيث الحياة أسلس تدفقاً .

وهكذا وصل هذا « الخائب » فى سنة ١٧٧٤ إلى أمريكا، وهو واسع الاطلاع متنوع التجربة ، وفى رأسه طائفة من الآراء نحتها لنفسه نحتاً . وما هى إلا بضعة شهور حتى صار يكتب فى جريدة جديدة تدعى « بنسلفانيا مجازين » وسرعان ما أصبح رئيس تحريرها.

وقد أدلى بين وهو رئيس تحريرها برأيه فى كل قضية جاهد فى سبيلها الأحرار إلى اليوم . واستنكر الحرب ، وسخر بالمبارزة ، ووصف نظام الملوك والألقاب بأنه نظام عتيق جاوز زمنه ، وذم القسوة فى معاملة الحيوان ، ودعا إلى تحرير العبيد (وسبق أول جمعية ضد الرقيق بشهر) ، وحث على الاتحاد الدولى ، وعلى منح معاشات للشيخوخة ، ونادى بسن قانون معقول للطلاق ، وبإعطاء المرأة حقوقها ، وكان يؤمن — مثل توماس جفرسون ، بالفردية المستقلة ، ويخشى عاقبة ازدياد سلطة الدولة أو الولاية .

وقد تبين أن تيار الحياة فى المستعمرات ليس متدفقاً فقط بل إنه يغلى أيضاً . وكان الزعماء من ذوى الرأى يحتدمون سخطاً على السياسة الاستعمارية للملك جورج الثالث ، وما كاد ينقضى على هجرة توم بين أقل من خمسة شهور حتى وقع أول صدام بين أبناء المستعمرات المسلحين والقوات البريطانية النظامية .

على أنه لم يكن هناك إلى ذلك الحين أى تفكير فى ترك الولاء لبريطانيا ، وكان فرانكلين يؤكد فى لندن للبريطانيين أنه ما من أمريكى « صاح أو سكران » أعرب عن رغبته فى الانفصال . وكان جفرسون

« يتطلع بلهفة إلى عود الصفاء مع بريطانيا العظمى » .

على أن توم بين كان قد عرف أمريكا وفطن إلى حقيقة روحها فطنة سحرية سريعة ، وشعر ، كما لم يشعر ولا يستطيع أن يشعر غيره ، بالفرق بين العالم القديم والعالم الجديد . فبعد بضعة شهور أقامها فى هذه المستعمرات أدرك وغرس فى قلوب الناس فكرة دولة أمريكية جمهورية حرة مستقلة :

« إن موعد عالم جديد قد صار قريباً . وسينال جيل من الناس قد يبلغ مبلغ أوربة فى الكثرة ، نصيبه من الحرية من حوادث شهور معدودات . فينبغى ، بدلا من أن ينظر بعضنا إلى بعض نظرة الشك والتحرز ، أن يمد كل منا إلى جاره يد الصداقة القلبية والإخاء الصريح ، وأن نجمع على نهج يدفن فيه وينسى كل خلاف سابق ، وليكن كل رجل مواطناً صادقاً ، وأخاً وثيقاً صريحاً ، ومؤيداً فاضلا لحقوق الإنسانية ولولايات أمريكا الحرة المستقلة » .

وقد سمى توم بين كتابه الذى أقام به صرح الأمة : « الفهم » ونشر غفلا من اسمه فى فيلادلفيا فى ١٠ يناير سنة ١٧٧٦ .

وهو يفيض بإرادة الحرية والمنطق المستقيم وروح التآخى بين الناس . ويرفع الشئون العملية الجافة إلى مرتبة الأدب السامى .

قال : « أما عن الدين ، فإنى أرى من الواجب الحتم على كل الحكومات أن تحمى كل رجاله المؤمنين به ، ولست أعرف عملا آخر للحكومة تعمله فى هذا الباب » .

وقد ساق توم بين دعوته إلى الحكمة الرحيمة مساقا جعلها قاعدة جهاد . وبيع من كتيبه خمسمائة ألف نسخة ، وكان سكان البلاد يومئذ يناهزون ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ فكأن كل خمسة كانت لهم نسخة منه — وهذا يعادل فى زمننا الحاضر ٢٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نسخة بالنسبة إلى عدد السكان . وقد تبرع بربحه من الكتاب للمؤتمر ، فما كان همه كسب المال وإنما كان همه أن يحدث ثورة وانقلاباً .

وقرأ الضباط كتاب « الفهم » لجنودهم ، والمعلمون لتلاميذهم ، والقساوسة للمتعبدين ، وأشار جورج وشنطون « بنهوض حجته وظهورها واستعلائها » . واستجابت لدعوتها القوية البليغة كل زوجة بالغة ما بلغت من علو الشأن . وقال و . ا . وودوارد فى ترجمته البارعة له : « لم يحدث قط من قبل أن كان لكتاب من أى نوع مثل هذا الأثر العميق فى شئون الإنسان » .

وبعد ستة شهور من نشر الكتاب وقع إعلان الاستقلال ، ودخل توم بين فى الجيش مؤيداً قوله بفعله . وفى أثناء التقهقر المحزن

لقوات المستعمرات المهلهلة بعد سقوط نيويورك ، كتب — على جلدة طبلة وعلى ضوء نار المعسكر — أولى الرسائل الثلاث عشرة المسماة: « الأزمة » التي ألهبت من جديد نفوس الناس في كل مكان .

« هذه هي الأيام التي تمتحن نفوس الرجال وتسبك معادنهم . ولن ينكص عن خدمة بلاده إلا رجل لا يقاتل إلا في شمس مشرقة ، ووطني لا يجاهد إلا وهو قرير العين ينعم بالدفء والراحة » .

وقد خدم توم بين بلاده أيضاً في أحلك الساعات بعمل سياسي أدّاه ، فقد ذهب إلى باريس على نفقته ليفاوض في عقد قرض ، وكان في ذلك مخاطراً بحياته (لأن هذا الثائر المشهور لو كان قد أسر لأعدم) . وقد كان توفيقه مع ملك فرنسا سريعاً . فعاد لا بالمال وحده ، بل كذلك بحمولة سفينة من الذخائر والسلاح كان وشنطون في أشد الحاجة إليها .

وذهب ماله كله حين عاد ، وكان أشهر من أن ينشد عملا . وكانت شهرته أنه يحرك نفوس الناس ويثيرهم ، فالآن دنا وقت التهدئة والتسكين . ولما جاء وشنطون بعد انتصار عظيم أحرزه ، إلى فيلادلفيا ليتلقى تهنئات المؤتمر ، كان توم بين يعيش في غرفة قريبة مؤجرة ، ولم يكن يملك ثمن حذاء يتحذّاه . فكتب إلى الجنرال يستعينه ، فأعطى ثمانمائة ريال في العام من اعتماد سري للحرب ليواصل جهاده بقلمه .

وقد انتهت هذه الإعانة بانتهاء الحرب في سنة ١٧٨٣ ، وفي السنة التالية وافق المؤتمر (الكونجرس) على منحه ثلاثة آلاف ريال ، وذلك دون ما أنفقه في رحلته إلى فرنسا . ووافقت جمعية بنسلفانيا على منحه خمسمائة جنيه ، ومنحته نيسويورك ، داراً وضيعة مساحتها ٢٧٧ فداناً قرب نيويورك . فأجر ذلك وعاش في بيت صغير في بوردو بولاية نيوجيرسي سعيداً بأن أتيحت له فرصة التفرغ لاختراعاته .

وكان يحاول أن يبتكر نوعاً جديداً من جسر معلق ، ولكن كل ما فاز به هو أن تعين جمعية بنسلفانيا لجنة لدرس الموضوع . وأشار عليه فرانكلن بأن يجرب حظه مع أكاديمية العلوم الفرنسية .

وظل ثلاث سنوات يروح ويجيء بين باريس ولندن ، وكان الأحرار في كلا البلدين في مناصب رفيعة ، وكان وشنطون بطلهم ، وكان ذوو السلطان يعجبون بتوم بين ويعظمونه ، ولكن فرنسا كانت في طريقها إلى ثورتها ، وإنجلترا في طريقها إلى النكوص العنيف . وكان توم بين بطبيعة الحال بقلبه وروحه يؤيد الثورة الفرنسية .

وإنه لكذلك وإذا بإدموند بيرك ينشر كتابه « آراء فى الثورة الفرنسية » فيحس توم بين أن رشاشاً من وابل فصاحته قد أصاب مبادئه المقدسة . وكان يعرف بيرك ، ذلك الخطيب البارع الذى كان يدعو إلى المراضاة مع المستعمرات الأمريكية ، ويعرف الثورة الفرنسية أيضاً . فنسى جسره المعلق — وقد بنى فى إقليم سندرلاند بإنجلترا وبقى ثابتاً — ونسى أيضاً نوعاً جديداً من آلة رافعة ، وشمعة لا دخان لها ، وراح يدون رأيه فى أدموند بيرك وما ينبغى أن يكون غاية كل حكومة .

فقال عن الثناء العاطر الذى أثنى به بيرك على النظام الدستورى البريطانى والحقوق التى يكفلها لأقلية ممتازة :

« إن مهزلة الأرستقراطية ذاهبة فى كل بلد فى سبيل ما غَبر من الفروسية ، وقاضية نحبها لا محالة ، والمستر بيرك يرتدى لجنازتها ثوب الحداد . فلتذهب إذن فى سكون إلى قبرها ولتلحق بالحماقات الأخرى ، وليتعزَّ المحزونون . . . ومتى أمكن أن يقال فى أى بلد فى العالم أن الفقراء سعداء ، وأنه لا فاقة بهم ولا تعاسة ، وأن السجون خاوية خالية من المسجونين ، والشوارع خالية من المتسولين ، والشيوخ لا يعانون ضنكا ، والضرائب غير مرهقة ، والعالم الرشيد كله صديق لى ، لأنى صديقه ونصير سعادته ورخائه ، متى أمكن أن يقال هذا فى بلد ما ، فإنه يحق لهذا البلد عندئذ أن يباهى بدستوره وحكومته » .

وقد امتاز هذا الكتاب الثانى « حقوق الإنسان » الذى كتبه بسرعة عظيمة ، بمثل ما امتاز به كتابه الأول « الفهم » من البيان وإشراق الديباجة ، وأثار — كما أثار ذلك — موجة عالية كالجبل الأشم من الرأى . ولقى رواجاً عظيما ، وصار من الأمهات المعدودة .

وسرعان ما صار قمع مبادئ بين الهم الأكبر لأولى الأمر ، فصدر قانون يحرم الكتابة التى تثير الفتنة . كان هو المقصود به ، وحوكم ناشرو كتابه ، وصودر الكتاب ، ونفى قراؤه — وحكم على أحدهم بالنفى أربعة عشر عاماً ، لأنه نصح للناس بقراءته ، ولفقت ترجمة لحياته لتشويه سمعته ، واستؤجر الناس ليصفروا ويهتفوا بسقوطه ويدفعوه ويضايقوه كلما ظهر فى مكان عام .

ففر توم بين إلى فرنسا فقوبل فى كاليه بإطلاق المدافع تحية له ، وقضت المدينة كلها يومين تحتفل بوصول هذا « المواطن الفرنسى » العظيم . فقد كان من أول أعمال الثورة أن منحت توماس بين الجنسية الفرنسية . والآن انتخب أيضاً عضواً فى

الجمعية الوطنية فدخل قاعتها بين هتافات تصم الآذان فى اليوم الذى ألغيت فيه الملكية فى فرنسا ، وهو اليوم الأول « من العام الأول للجمهورية » .

ولست أعرف منظراً فى التاريخ هو أشد تحريكا للنفس أو أعظم دلالة على العموم، من منظر هذا المجلس ، وقد وقف هذا الثائر الشهير ، والمؤلف ، وأكبر باعث لروح الجمهورية الأمريكية، وسوط العذاب المنصب على الأشراف ، ليدافع عن حياة الملك الفرنسى المخلوع . ولم يسبق له قط أن وقف يخطب ، وكان فوق ذلك لا يملك ناصية اللغة الفرنسية . ومن أجل هذا لم يزد على أن صعد المنبر ووقف صامتاً ، ضئيلا ، رائعاً — وفى عينيه ذلك البريق الذى لا ينساه أبداً من يراه — بينما كان أحد النواب الفرنسيين يتلو ترجمة خطبته :

« إن لغتى كانت دائماً لغة الحرية مقرونة بالإنسانية ، ولست أعرف شيئاً يرفع أمة كاجتماع هذين المبدأين » .

وينهض « مارا » ويصيح بالنواب الذاهلين : « إنى أقرر أن هذا ليس برأى توماس بين — إنها ترجمة غير صحيحة » .

فيجيب النائب جاران : « لقد قرأت الأصل والترجمة صحيحة » .

فيضطرب الأمر وتعم الفوضى ، ولكن بين يظل واقفاً ساكناً حتى يتسنى إتمام التلاوة .

وقد كانت زعقات مارا العنيفة ثناء طيباً على بين، وشهادة له بنفوذه وخطره، ولكنها لم تكن لازمة ، فقد كان عهد الإرهاب قد بدأ، وسرعان ما صار بين نفسه، لما ارتكب من خطيئة الرحمة المنطوية على بعد النظر ، فى السجن .

ورفض وزير أمريكا — الحاكم موريس وهو عدو لدود من زمان طويل لبين — أن يتدخل ، بل إن هناك ما يدل على أن موريس ائتمر مع الفرنسيين ليعدموا بين . وخدع روبسبير عن حقيقة موقف وشنطون . فقضى على توم بين بالإعدام بالجيلوتين (المقصلة) « لمصلحة أمريكا ولمصلحة فرنسا معاً » . ويصف بين كيف نجا بأعجوبة، فقد فتح باب سجنه إلى الخارج، وكان مفتوحاً حين جاء الجلادون ووضعوا عليه علامة تدل على من يؤخذ لينفذ فيه الحكم . ولما عادوا ليأخذوا ضحاياهم كان باب بين مغلقاً والعلامة من الداخل ، فتخطاه القدر ، وما أسرع ماأدرك روبسبير نفسه !

وكان بين فى ذلك الوقت راقداً فى سجنه وهو فى غيبوبة ، وقد كادت تقضى عليه الحمى ، غير أن موريس — وزير أمريكا — أبدل بمونرو — جيمز مونرو الذى تولى بعد ذلك رياسة الجمهورية الأمريكية. فظفر مونرو

بالإفراج عنه وحمله إلى بيته وقامت زوجته على خدمته حتى عادت إليه الصحة .

وكان بين رجلا تقياً ينظر إلى الدين نظرة شخصية، فيها جد وصرامة وعقل، فلما رأى الثورة الفرنسية تجتاح الدين ، أحس أن عليه أن ينشله من هـذا التيار الدافق فكتب يقول :

« إنى أومن بإله واحـد ، لا أكثر ، وأطمع فى السعادة بعد هذه الحياة . وأعتقد أن الواجبات التى يفرضها الدين هى إقامة العدل ، وحب الرحمة ، والسعى لإسعاد إخواننا . وعلى كل إنسان أن يقوم بفرائض دينه بنفسه » .

وقد سمى بين الكتاب الذى يبسط فيه هذه الآراء « عصر العقل » ، وليس فيه شئ يثير فى أيامنا هذه ضجة ، ولكنه كتاب قوى رنان كالمعدن الصافى ، وقد امتعض منه معظم رجال الكنيسة، ولم يكتموا رأيهم فيه ، بل جاهروا به بقوة وجلاء .

ورجع توم بين إلى وطنه فى أمريكا فى سنة ١٨٠٢، وكان يومئذ فى الخامسة والستين، وقد وهن جسمه واعتلت صحته ، فرحبت بمقدمه الصحف والمحافل والمنابر ترحيباً مدويا ، وكانت الضجة نصفها تصفيق وتحية ، ونصفها الآخر استنكار وذم .

وقضى وقتا فى ضيافة الرئيس جفرسون بالبيت الأبيض، ثم شعر أن مقامه فيه يحدث ارتباكا سياسيا ، فودع صديقه الوفى، ومضى إلى ضيعته حيث استقبلته فئة قليلة استقبال الأبطال ، وتلقاه الأكثرون بموجة متعاظمة من النقد .

وكان النقد منظما، وقد نفخ فيه الناشئون فظل متسعراً طول السنوات السبع التى عاشها توم بين ، ولم ينفعه أو يخفف من الوقدة ضده أنه ظل ثائراً لا يثوب ولا يرعوى إلى النهاية ، وأنه أبى أن يرجع عن آرائه أو يلين فى مبادئه . وكان يوصف فى هذه السنوات الأخيرة من حياته بأنه سكير ، وغشـاش ، وداعر ، ومستغل للنساء والأطفال ، وزنديق ملحد ، وأنه رجل شرير فى روحه وبدنه، وأقذر من أن يطهر. ولم يسبق لهذا نظير فى تاريخ الطعن والهجو.

وقد حرم مؤسس الاستقلال الأمريكى حق التصويت بدعوى أنه ليس مواطنا أمريكيا بل حرم أن يدفن فى مقبرة ، ولم يمش وراء جنازته إلى لحدها فى الضيعة التى منحها فى نيويورك إلا صديقته وربة بيته السيدة بونفيل وولدها ، ووقفت هى عنـد طرف القبر وولدها عند الطرف الآخر وصلت عليه :

« إن ابنى يا مستر بين يقف هنا رمزاً لشكر أمريكا لك ، وأنا أمثـل فرنسا فى الاعتراف بفضلك » .

آية إنسانية

[« آية صغيرة من آيات الشخصية الانسانية » ولكن لعلها رمز لبطولة التضحية بالذات فى ملايين من البيوت الفرنسية]

صوفى كير

لا تشبه فى شىء تلك المرأة الفرنسية القوية التى نرى صورتها فى القصة ، وعلى المسرح ، وفى السينما . فقد كان محياها دقيقاً شاحباً ورقيقاً ساهماً ، وعيناها واسعتين رماديتين ، وأنا أشك فى أن وزنها جاوز فى أى وقت مئة رطل ، بل لقد كانت تبدو كأن ريحاً قوية تستطيع أن تطيرها ، ولقد كادت تلوى بها عواصف المرض والحزن أكثر من مرة .

وقد بدأت معرفتى بها برسالة . ذلك أنه فى سنة ١٩١٦ تولت مجلة « الحياة » تقديم أسماء الأطفال الفرنسيين الذين قتل آباؤهم فى الحرب لمن يتعهد بأن يكفل يتيما منهم مدة سنتين . وكان ذلك تدبيراً قامت به المجلة على نحو شخصى .

وبهذه الطريقة صرت أنا وإحدى صديقاتى عرابة لطفلة تدعى « أندريه » ، فتلقيت رسالة من أمها تعرب فيها عن شكرها بلغة بسيطة إلا أنها تنطوى على الوقار ، فأجبتها ، ونشأت بيننا صداقة امتدت وبقيت على الأيام .

ووقفت على قصتها شيئاً فشيئاً . وعرفت أن مارى لويز هى البنت الثانية فى أسرة مكونة من خمسة ، وأن أباها بستانى يتعهد ضيعة صغيرة . وقد رأيت البيت — وفيه ثلاث غرف — والموقد الكبير ، والمائدة الطويلة ، والمقاعد المصنوعة من الخشب المصقول . ورأيت هذا الوالد الذى خيل إلىّ أنه مصنوع من ساق معَجْرَمَة لشجرة تفاح ، والأم المديدة القامة المقوسة الظهر من الكد ، وقد ذهب أكبر بنيهما إلى باريس ووجد فيها عملا فى شركة الغاز . ولكن مارى لويز بقيت فى البيت لتعنى بالأطفال ، ثم استطاعت أن تلحق بأخيها

يكشف ما نشرته صوفى كير من آثار قلمها — اثنتى عشرة رواية وأكثر من ثلاث مئة أقصوصة — عن معرفة دقيقة بوجهة نظر المرأة ، وهى فطنة أولتها الاشراف على نشر ما يطبع للنساء . وقد بدأت بتحرير الصفحة النسوية فى جريدة تصدر بمدينة بتسبرج ، ثم تولت الإدارة والتحرير « وومانز هوم كومبانيون »

وأن تظفر بوظيفة كاتبة ، وكان المرتب قليلا وساعات العمل كثيرة مضنية ، ولكنها استطاعت أن تدخر كل أسبوع خمسة فرنكات لتبعث بها إلى أهلها على سبيل المعونة.

وأحسب أنها كان بها مسحة من الجمال الخفر ، وما أظن إلا أن تلك كانت أرخى أيامها ، وأرغدها ، وقد أفاض عليها الحب من سحره وآتاها السعادة ، فقد أغرم بها أندريه جوزيف مور زميل أخيها فى عمله ، وهو فتى تنبىء صورته على أنه ساذج طيب القلب ، ذو وجه صريح ، وشاربين مرسلين وعينين رقيقتين ثابتتين ، وكتفين محنيين ، فى الخامسة والعشرين من عمره ، وهو من ذلك الطراز الذى يرى المرء عشرات منه مع أسرهم فى أيام الآحاد فى حدائق باريس ، وهم عماد الطبقة الوسطى فى فرنسا .

ولم يستطيعا أن يتزوجا إلا بعد سنوات ، فقد كانت أم ماري لويز عليلة ، وفقد أبوها عمله لما مات صاحب العمل ، ولما كان قد كبر ، فقد كان لا يظفر إلا بأعمال متقطعة وأجر زهيد ، وكان أخوها الأكبر قد تزوج امرأة سوء سليطة ، أبت عليه أن يعين أهله بشيء ، وتزوج أخ أصغر منها إمرأة سقيمة ، وصار الأخ الآخر جندياً ، أما أختها الصغرى فتزوجت رجلا فقيراً لا خير فيه ، فصارت ماري لويز تقضى إجازاتها مع أمها ، وتقوم على خدمتها وتتولى تمريضها ، وصار القليل الذى وسعها أن تدخره هو الذى يتيح لأبويها ما يتبلغان به حين يتبطل أبوها .

وأخيراً تحسنت أحوال أسرتها قليلا فتزوجت ماري وجوزيف ، وكان هذا فى سنة ١٩١٢ ، وقد رزقا فتاتهما أندريه فى ١١ يوليه سنة ١٩١٤

وفى هذه السنوات الأولى من حياتهما العادية كان تأثير ماري غير العادى واضحاً . فما من أحد من أصدقائها أو صديقاتها احتاج إلى المواساة أو المعونة ، فى نازلة أو أزمة ، إلا اتجه إلى ماري لويز . وقد قالت عنها أخت زوجها : « لقد كان قلبها دائماً أكبر من جسمها » ، ووصفها ابن عم لها مجرب بأنها «من أخوات الرحمة ولكن من غير زيهن » . على أن من الخطأ المحض أن يتوهم أحد أن ماري لويز كانت ملاك عذوبة وهدى ، لا تنفك تفعل الخير وعلى فمها ابتسامة الرضى ، فما كانت إلا ربة بيت فرنسية لا تستقر ، ولا تزال تصقل أرضية الحجرات ، وتغسل قمصان زوجها ، وتطبخ الحساء ، وتساوم فى السوق وتماحك من أجل نصف سنتيم — ولكنها كانت ذات شخصية تستولى بها على القلوب .

والآن أقبل عليها شهر يوليه من

سنة ١٩١٤ ، وقد أضنتها ولادة أندريه ، ولكنها كانت قريرة العين بينتها وزوجها وبيتها . وفى الثانى من أغسطس غزت ألمانيا فرنسا ، ودعى جوزيف إلى الالتحاق بكتيبته . فلم ير ابنته بعد ذلك إلا مرة واحدة .

وكان ذلك الشتاء الأول من الحرب قاسياً فى باريس ، وكان برده قارساً زمهريراً غير مألوف . ومضت مارى لويز على سننها ولكنه كان عليها أن تتعهد بنتها ، وكان لا يبدو أنها قادرة على استعادة قوتها . وقد جند أخوان لها وزوج أختها ، وأقعد الروماتزم أباها ، وبقيت أمها لا يكاد يفارقها السقم . وكانت المعيشة كثيرة الكلفة ، والوقود نادراً ، وجاءها زوجها مرة فى يناير وقضى معها أربعة أيام . وذكرت هى زيارته هذه مرة ، فقالت : « إن بنيتنا الصغيرة لم تفارق قط ذراعيه » ، ثم عاد إلى خط القتال . وفى مقدمة الصيف من سنة ١٩١٥ مات من جراح أصابته ، وقتل أيضاً أحد أخويها ، وأصيب الثانى بالغازات السامة .

والآن صارت مارى لويز ، « السيدة مور » وهى أرملة تعول بنتاً صغيرة ، وصحتها سيئة ، ولا مورد لها . وقد منحتها فرنسا معاشاً شهرياً يعادل سبعة ريالات ونصف ريال فى الشهر ، يضاف إليه قدر يسير من أجل البنت . وليس فى هذا ما يكفى ، فصارت تزاول كل ما يتيسر لها من عمل ، فتطبخ ، وتنظف ، وتغسل . وكانت لا تزال يدركها الإعياء وتمرض ، على أن أندريه الصغيرة لم تعدم قط الكفاية من الطعام على حين كانت أمها تتضور جوعاً .

ولما أصيبت رئتاها اتصل خبرها بطريقة ما بالأمريكيات اللواتى يقمن بالأسعاف فى فرنسا ، ثم بنا ، ومن هنا صرت عرابة لأندريه ، وكانت الرسالة الأولى التى تلقيناها من مارى لويز اعترافاً بحاجتها فى غير لجاجة أو إسراف فى البيان ، وتقبلاً لصنيعنا على أن يكون إلى حين ، وشكراً منطوياً على احترام الذات . وما سمعت بعدها أحداً يصف الفرنسيين بأنهم يتهالكون على المال إلا تذكرت مارى لويز التى تنقض هذه التهمة كل النقض .

ففى كل السنوات التى عرفناها فيها ، وأعناها على تنشئة أندريه ، لم تطلب قط شيئاً ، ولا أشارت ولو من طرف خفى إلى شىء نصنعه لها أو لابنتها . وكانت كلما رتبنا أمراً — بلطف ، فقد كانت حساسة أبية — تقول : « هذا أكثر مما يجب . وفى وسعنا أن ندبر الأمر تدبيراً حسناً » حتى التقينا بها ، وبينا لها أننا نحب هذه البنية الظريفة حبًّا

صادقاً ، فصارت تتقبل القليل الذى كنا نساعدها به .

وقد رأيتها أول مرة فى سنة ١٩١٩ ، وكانت الشقة كلها — غرفة النوم ، وغرفة الجلوس والمطبخ — صغيرة ، بل أصغر من حجرة جلوس فى بيت ريفى فى أمريكا ، وكانت قطعة واحدة حسنة من الأثاث — هى عبارة عن مقعد عال نورماندى بعث به أهلها إليها — يملأ نصف الغرفة المعدة للجلوس . أما بقية الأثاث فلم تكن تساوى شيئاً . ولكن كل شىء كان نظيفاً جدا ، وكذلك كانت أندريه التى ناهزت الخامسة نظيفة حلوة ، وقد لفت عليها شملة صغيرة مثلثة ثبتت بالدبابيس ، على نحو ما تفعل العجائز ، فقد كان اليوم بارداً ولا نار فى الشقة . وامتدت يد الأم إلى بنتها عفواً لتلمسها وهى تتكلم ، وكانت على الحائط صورة شمسية للأب ، وتحتها الوسام الحربى الذى منحه . أما الأم نفسها فكانت ترتدى ثوباً أسود من أرخص وأقدم ما رأيت ، وعلى رجليها جوربان أسودان . وما استطعت قط أن أقنعها فى كل السنوات التى عرفتها فيها ، بأن تلبس خيراً من هذه الثياب .

وتبينت من الحديث أن البنية هى كل شىء فى حياة أمها ، وأنها لا تحيا إلا من أجلها ، وأنها ستظل تعمل حتى تسقط ميتة ولا تطلب عوناً ، وكان تحفظها عن إباء وأنفة ، ولكن هذا البيت العادى ، واليد التى صلبت من العمل ، وجسمها الضاوى المتضور ، وعظامه المبرية — كل ذلك كان يقص علينا خبرها . نعم ، نعم ، صارت رئتاى أحسن وأصح . بلى ، أجد عملا هنا وهنا وليس دائماً بالعمل الذى أريده ، ولكنه عمل والسلام ! وقدمت إلينا الشاى والكعك ، محتفية بنا كأنما هى مأدبة ، ولكن نظرة أندريه إلى الكعك دلتنا على أنه شىء نادر جدا .

وبعد جهد ما استطعنا أن نرتب الأمر على نحو يجعل الحياة أسهل ، وقد اضطررنا أن نجعل ذلك فى سبيل أندريه ومن أجلها خاصة ، أما هى فأبت أن تأخذ شيئاً . وقد مرت بها أيام عصيبة ، وعادت رئتاها فخرجتا عن حد الصحة ، فاضطرت إلى الكف عن العمل زمناً ، ولكنها ما كادت ترجع إلى ما يشبه أحوال الصحة حتى رجعت إلى العمل .

وفى أول عشاء ربانى لأندريه قدمنا لها الثوب الأبيض والحذاء الأبيض ، والنقاب والمسبحة الفضية فى صندوق من فضة ، فكانت هذه نقطة تحول فى شعور مارى لويز وصرنا بعدها أشبنين حقيقيين .

وأخذت أندريه تكبر وتنمو ، وتربو وترف ، وصارت فتاة جميلة وديعة زكية ، وكانت تعكف على الدرس وتفوز بدرجات عالية فى المدرسة . ولعلها ولدت يوم أحد فقد كانت « مفراحاً مَرِحاً كدوطبية مرحة » ، ولم تكن تلهو كثيراً بالمعنى الذى تفهمه الفتيات الأمريكيات من اللهو ، فما كانت تذهب إلى السينما أكثر من مرة كل ثلاثة شهور ، ولكنه كان لها أصدقاء من أترابها ، وكانت تخرج للتنزه فى الحدائق ، وقامت مرة برحلة إلى شارتر وإلى لورد فى مرة أخرى .

ولما تخرجت أندريه فى المدرسة حصلت على وظيفة فى مصلحة حكومية ، وكانت ساعات العمل طويلة والمرتب يسيراً ، ولكنها حسنته بالمواظبة على الدرس ، والنجاح فى امتحانات المسابقة التى لا آخر لها فى النظام الحكومى الفرنسى .

ولما بلغت أندريه الحادية والعشرين حدث لها حادث ذو شأن — ارتدت أول ثوب للسهرة ! وكان من الحرير الأبيض الرقيق وثمنه مائة فرنك ! — وذهبت به لترقص فى حفل منزلى صغير عند صديقة لها من عهد المدرسة ، فى ضاحية فرساى . وما أحسب أن فتاة من فتيات نيويورك فى أول ظهور لها فى المجتمع ، سرت كسرور أندريه أو نعمت كنعيمها فى ليلتها تلك .

ولكن هذا الثوب ، وهذا الرقص ، ووظيفتها ، وأصدقاءها الجديدين — كل هذا كان ينأى بها شيئاً فشيئاً عن الطبقة التى خرجت منها وولدت فيها ويرفعها فوقها ، وإذا كانت أندريه لم تدرك هذا ، فقد أدركته أمها ، فأقلقها فى سريرتها ، وخاب أمل الأم لما تقدم شاب من قريتها أبواه من أصدقائها ، وخطب أندريه لنفسه فرفضته . وا أسفاه ، فقد كانت أندريه تحب شاباً يعمل معها فى المكتب وهو من طبقة أرفع من طبقتها ماليا واجتماعياً ، وقد اختارت له أسرته عروساً ذات مهر جسيم ، وبدا كأن إلحاح أهله عليه سيفعل فعله .

ثم استقر عزم الشاب على ما اختار قلبه ، فطارت اندريه فرحاً ولكن أمها فطنت إلى ما لا مهرب منه من القطيعة . ولم يتغطرس عليها الأصهار الجديدون علانية ، ولا أتوا شيئاً يعد من سوء الأدب ، ولكنهم لم يدعوا أنهم راضون عن كون أسرة أندريه من الفلاحين . وقد راضت الأم نفسها على السكون إلى ما يشبه القطيعة ، وعلى الوحدة التامة والوحشة المرة ، وعدت ذلك تضحية أخرى تبذل بأنفة ، ورأسها مرفوع وقلبها يتفطر .

وقد أهدت إلى أندريه مقعدها الجميل

العتيق، وخير ما عندها من ألبسة الكتان . وانتقلت إلى مسكن أصغر، اقتصاداً ، وحتى لا تعود ليلا إلى غرف خاوية كانت أندريه تملؤها عليها من قبل — أندريه تدرس ، أندريه تخيط ، أندريه تطرز، أندريه تطبخ العشاء ، أندريه تثرثر بما فازت به من مسرات في يومها ، وما ترجوه في غدها . وكان مما يكشف عما فطرت عليه أنها اختارت مسكنها الجديد في منزل تسكن فيه أرملة أخيها لتساعدها على تربية بنتيها الصغيرتين ، حتى يتسنى لأمهما أن تعمل وتطعمهما .

والآن جاءت هــذه الحرب ، فكتبت هذه السيدة تقول إنها تفكر في سنة ١٩١٤ وتصلى دائماً من أجل السلام ومن أجل بنتها ، وأضافت إلى ذلك : « ولا يسعنى إلا الأسف لأنها لم ترزق طفلا تتعزى به كما تعزيت . ففى هذه الأيام — أيام الموت — يكون الأطفال وحدهم هم معنى الحياة . ومهما يحدث فإن الطفل نعم العوض » .

ولم تحجم عن أية تجربة ، وتلقت كل ما جاءتها به الحياة ببساطة وشجاعة وضمير نقى . ولم تطلب شيئاً ولم تبخل بشىء ، ولا تزال فى أيام الموت الحاضرة ، ترى الحياة فى الأطفال ! ولا أدرى كيف تكون خاتمتها، ولكن قصتها الآن آية ولا شك من آيات الشخصية الإنسانية .



هتلر أدعى إلى العناية من التفاح

فى أثناء عاصفة ثلجية فى أحياء نيويورك الفقيرة ، سُمِع أحدهم يصيح « هتلر . هتلر . هتلر » . فهبَّ الناس واحتشدوا ليعرفوا ما القصة . فوجدوا دلالا وأمامه عربة يد ، سبب هذه الضوضاء . والتفت اليه شرطى وقال : لماذا تصيح « هتلر . هتلر ؟ » فقال الدلال لوصحت « تفاح . تفاح » لما خرج أحد فى مثل هذا الجو القارس !

غاروا على برلين وهم فى بنجهامتن

البرت ك. ميزل

ملخصة عن مجلة "حقائق الطيران"

منذ ثمانية عشر شهراً مضت، صعدت جماعة من طيارى الجيش لم يتم بعد تدريبهم، إلى الهيكل الضيق فى إحدى القاذفات، وارتفعوا بها إلى ٣٠٫٠٠٠ قدم، واتجهوا إلى برلين.

وحلقوا فوق العاصمة الألمانية بعد الفجر، ونظر المدفعى فى ميزان الانحراف، ليحسب سرعة الريح واتجاهها، ثم أحكم آلة التسديد تبعاً لعوامل الانحراف والحرارة والارتفاع، وضغط على الزر. وتساقطت القنابل على هدفها الدقيق، وارتقبت الجماعة وميض الانفجار الذى يدل على الخبر اليقين، ثم أسرعوا فى الابتعاد. ورجع هؤلاء الطيارون الأغرار — وقد مرستهم الغارة فلن يكونوا أغرارا — سالمين إلى المطار.

والواقع أن هذه الجماعة ظلت طول الوقت فى مدينة بنجامتون من ولاية نيويورك، أما جسم الطائرة القاذفة، التى لم تكن لها أجنحة أو محركات، فقد كان فى جوف برج محكم المنافذ، وأما السماء فكانت سقفاً مقبباً، وأما معالم الأرض الألمانية فكانت صورة ضوئية مبسوطة على الأرض.

كان هذا الجهاز أول آلة من طراز « لناك »، للتدريب على الاهتداء بالنجوم فى الطيران. وهناك مئات منها اليوم، تتيح لآلاف من رجال الطيران خبرة فى مهمات القذف، تطابق الواقع أدق المطابقة.

وجهاز التدريب هذا، مجموعة من الآلات التى تقوم على تدريب هيئة كاملة من الطيارين دفعة واحدة، وهو آخر سلسلة من الاختراعات ابتكرها « ادوين ا. لناك » للتدريب الجوى. وكان البريطانيون أول من فكر فيه منذ أربع سنوات ووقفوا على شىء من خصائصه، وذلك يوم كان سلاح الجو البريطانى فى حاجة إلى جهاز يدرب رجال القاذفة على تنسيق عملهم معا. ولكن خيل لهم أن إنشاءها ينطوى على صعوبات يستحيل التغلب عليها. فأحالوا هذا النصب الناصب بأجمعه على إد لناك، وصارحوه بأنه ما من أحد يتوقع أن يتمخض هذا الأمر عن شىء ينفع — ولكن أيحب هو أن يحاول؟ ولما عاد لناك إلى الولايات المتحدة بدأ يعمل هو ومهندسوه.

فشيدوا بالقرب من بنجهمتون بناء على هيأة البرميل ارتفاعه ٤٠ قدماً، ورفعوا على برج فيه هيكل طائرة قاذفة، وبنوا

فوقه بناء على هيأة السماء ، ومن تحته مجموعة معقدة من آلات السينما وستائر العرض . وتتخلل البناء كله مجموعات من الأجهزة الكهربائية يحار فيها الذهن — منها ما يحسب تغير الضغط ، والسرعة ، ومعدل الارتفاع ، وتقلب الأوضاع ورد فعل الدوران الآلى ، ومنها لوالب المغناطيس الكهربائى وتروس التغيير والصمامات والمحركات . وعلى الأرض غرفة الضابط المدرب ، للرقابة والإشراف ، ومنها يستطيع المرء أن « ينفث فى الجهاز » كله أي مزيج شاء من الأحوال التى تعرض للطيران ، ملائمة كانت أو غير ملائمة .

ويصعد طلبة قسم التدريب العالى — وهم طيار وملاح وعامل لاسلكى ومدفعى — إلى سلم حلزونى يفضى إلى جسم الطائرة ، فيضغط المعلم على زر فتظلم الغرفة . ويستمع الرجال ، وهم فى جوف الطائرة بالسماعات إلى المعلم يشرح لهم مهمتهم : عليهم أن يصلوا إلى مدينة « ب » بعد الفجر تماماً ، وأن يقذفوا المصنع « س » بالقنابل ثم يعودوا.

ويحرك الطيار القابض والمفاتيح والأذرع التى ترتفع بالطائرة . فإذا ما سجل مؤشر الارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم ، ظهرت الكواكب ساطعة أول الأمر ثم يزداد تألقها لتقشع السحب ، فيرصدها الملاح فى مسيره .

وتتحرك الكواكب تحت إشراف المعلم تحركا موافقاً لمرور الزمن ، ومناسباً لتغير موقع الطائرة من خطوط الطول والعرض ، كما تكون الكواكب الحقيقية تماما . ثم هنالك من صور الأرض المعروضة على الستار ، ما يمثل مئات آلاف الأميال المربعة من بلاد الحلفاء وبلاد العدو ، على ارتفاع يتدرج من ٣٫٥٠٠ إلى ٣٥٫٠٠٠ قدم . ونتيجة هذا التدريب أن القاذفات إذا ما طارت فى مهمات حقيقية ، رأى الرجال أرضاً قد ألفوها كأنما هى التى تحيط بمطارهم .

وقد قدر واضعو تصميم جهاز التدريب هذا كل ما يخطر بالبال من العوامل الجوية ، حتى إن الأضواء التى تمثل الكواكب يخبو لمعانها قليلا بعد مرور عشرين دقيقة على بدء الطيران ، ليكون ذلك فى مقابل ما زاد من تعود عيون الطيارين الرؤية فى الظلام . ويستطيع الضابط المشرف أن يطفئ الكواكب جميعها ما عدا الكواكب الكبرى ليمثل السحاب أو الضباب . ويتمايل جسم الطائرة يمنة ويسرة من تلقاء نفسه ، وتنخفض وترتفع ، حتى يضطر الطيار إلى استخدام آلات القيادة ، كأنه فى طائرة تماما .

ويستطيع المعلم المشرف أن يرسل ريحاً معترضة فتزداد مهمة قذف القنابل صعوبة ، أو يرسل ريحاً أخرى مقابلة أو مدابرة فتتغير السرعة ، ويمكنه أيضاً أن يفتعل

تجمد الماء على الطائرة . ويكاد ما يعتري الطيار يطابق الواقع حتى إن أحشاءه لتنقبض إذا مال أو صعد أو انقض ، كما يعتريه في الطيران الحقيقي .

فإذا ما اقترب النهار أدار العامل المشرف على آلات إسقاط الصور على الأرض أجهزته ، فيضاء الستار الموجود تحت الطائرة . ولا تظهر أول الأمر سوى السحب ، كما يكون عند الشروق ، ثم ترى الجماعة الأرض من خلال السحب المتقطعة ، فيراجع الملاح تقديرحسابه بالقياس إلى الأرض التي تتحرك من تحته . فإذا صادف علما — طريقاً أو سكة حديدية — اتجه بعد ذلك إلى غرضه معتمداً على قراءة الخرائط .

وإذا ما اقتربت الجماعة من غرضها رأى المدفعي هدفه ، كما يراه إذا حلق تحليقاً عالياً فوق أرض الأعداء ، فيصدر تعليماته إلى الطيار وتمضي الطائرة في طريقها استعداداً للقذف ، فيضغط المدفعي على الزر ، ثم يشاهد على الأرض ضوءاً يومض بعد ٥٠ ثانية أو ٧٠ . وتنتهي المهمة ، وتنقلب الجماعة عائدة إلى قاعدتها .

وتطير الجماعة في عودتها معتمدة على الحساب الرياضي المحض حتى تغيب في الغيم المتلبد ، فإذا وصلوا إلى بلادهم ، طالب الملاح عامل اللاسلكي بزوايا الرصد . ويرسل المعلم المشرف على التدريب أشعة الاتجاه اللاسلكية . فيرسم الملاح خط سيرها في اتجاهها إلى قاعدتها ، كما لو كان الضباب أو الظلام يحيط بها فعلا . وأخيراً يهبط بهم الطيار في مطارهم الخاص .

ويستغرق ذلك من ساعتين إلى أربع ثم تهبط الجماعة المتعبة إلى غرفة المراقبة ، فيجد رجالها رسماً بيانيا — هو رسم دقيق لرحلتهم — خطه جهاز يسجل على الخريطة كل تغير في الاتجاه لجأت إليه الطائرة .

وقد ينظر الطيارون الأحداث إلى هذا الرسم فيقولون : « في الآلة خلل ولا بد — فغير معقول أننا درنا هذه الدورات الحمقاء » . وعندئذ يعود هؤلاء الرجال ، بعد صدمة المفاجأة الأولى ، فيقدرون آلتهم حق قدرها ويثقون بها ، فإن الخط الناطق الذي يرسمه المسجل لا يدع خطأً إلا كشفه .

وتساوي كل آلة من آلات التدريب حوالى ٥٠٫٠٠٠ دولار ، ولكن قيمة المئات التي تستعمل الآن لا تعد شيئاً مذكورا إذا حسبنا ما توفره من الخسارة في الأرواح والأموال لو كان التدريب في طائرة حقيقية. وهذه الآلة تحط ٣٥ ٪ من زمن الطيران اللازم لتدريب الطالب ، فبذلك يتاح للطائرات المتدفقة من المصانع عدد من الطيارين المدربين على أعمال القاذفات ، ربما كان من المتعذر وجوده لولا هذه الآلة العجيبة .

القضاء على غازى العالم الجديد

لويس ماتوكس ميلر

ملخصة عن مجلة « العصر الحي »

في سنة ١٩٣٠ ، يوم كان المعنيون بالدفاع عن العالم الجديد نفراً قليلا ، اجتازت المحيط من غرب إفريقية وتسللت إلى مدينة ناتال بالبرازيل ، ثلة صغيرة من سفراء الموت العطشى للدماء ، وسرعان ما انفجرت هذه السفارة المميتة عن عقباها .

عدا المرض على عشرات ثم على مئات من الناس فى ناتال ، وابيضت الوجوه أو اربَدّت ، وتخاذلت الأوصال الموجعة من سُعار الحمى ، ومن الرعدة التي تقعقع العظام . فقال الأطباء : « هذه ملاريا » ، ولكنها لم تكن فصيلة الملاريا التى تعتاد المناطق الحارة وما دونها فى عالمنا الجديد . فقد كان الكرب الذى يعانيه الضحايا أطول وأشد ، وكانت نسبة الوفيات من بينهم أعلى وأخوف ، وكانت تتلو المرض آونة حمى تستفرغ الدم ، هى حمى البول الأسود ، تلك العلة الفظيعة التى ما فتئت تضلل طلاب العلم بأمراض المناطق الحارة .

وساورت نفراً قليلا من عقلاء الأطباء

« أنقذ فوز البرازيل العلمى المنقطع النظير فى إبادة بعوضة الجامبيا — دلالة الموت — كل الأمم الامريكية من وباء قتال » .

القدماء ، الذين رأوا الملاريا فى عنفوانها فى بقاع أخرى من الأرض ، آراء مفزعة لم يجرؤوا على البوح بها ، ولكن ما أسرع ما حقق صدق شكوكهم صياد من صيادى البعوض .

كان الدكتور « رايموند . س . شانون » — أحد علماء الحشرات فى مؤسسة روكفلر الملحقين بإدارة مكافحة الحمى الصفراء فى البرازيل — لا ينقطع عن فحص ما يتجمع من ماء المطر فى البراميل والحفر التى على جانب الطرق ، فأصاب بعوضة غريبة . فلما فحص الدكتور شانون أسيره تحت المجهر فيما بعد غشيه الرعب ، فهذه « الجامبيا » — أقتل أنواع البعوض الناقل للملاريا ، والتى أحالت قلب إفريقية وغربها جحيما يتلظى بالمرض — قد غزت شِقَّ العالم الغربى !

ولكن كيف ؟ . . إن أقصى ما تقطعه الجامبيا فى طيرانها لا يتعدى ثلاثة أميال ، فهل عبرت المحيط فى زورق ؟ كلا ، فالجامبيا لا تسكن إلى منزل ، ولا تبقى تحت سقيفة أكثر من ٤٨ ساعة فى كل إقامة . لكن الطائرات التجارية التابعة للخط الجوى الفرنسى كانت نجحت حديثاً فى قطع المسافة بين داكار وناتال فى ٢١ ساعة ، وإذن ، فهذا السفير الإفريقى « للموت الحى » قد نزح عن وطنه خفية فى غفلة الرقباء !

أنذرت سائر الأمم الأمريكية ، وبسطت السلطات الصحية فى البرازيل رقابة صارمة ، فمن يومئذ فرض على جميع الطائرات المقبلة من إفريقية أن تفتش ، وترش ساعة وصولها بقاتل البعوض ، ولكن خبراء الملاريا قالوا : « لقد نزل البلاء ! وهذه هى الجامبيا » .

وأخذت هذه الحشرة دلالة الموت تتكاثر تكاثراً لا يخطر على بال ، فالأنثى البالغة (وهى وحدها مصاصة الدم وحمالة المرض) تَـشُور (كثيرة النسل) ، ويتفلق بيضها فى أكثر قليلا من يوم واحد . وبعد ثمانية أيام أو تسعة ، تعمل كل أنثى وليدة على أن تنجب لنفسها أسرة ضخمة على نفس المنوال .

وأنثى الجامبيا ، خلافاً لسائر البعوض ناقل الملاريا الذى يغتذى على دم الحيوان ويقنع بوجبة واحدة يصيبها اتفاقاً من دم البشر ، تكاد لا تعيش إلا على دم الإنسان وحده . وجسمها مصنع عظيم من مصانع السم ، ينتج طفيليات الملاريا بالملايين . وهذه المجموعة من الطبائع تجعل الجامبيا أخبث ناقل لأضرى أنواع الملاريا فى الأرض .

بين شهرى أبريل ويونيه من سنة ١٩٣٠ عانت مدينة ناتال أقسى وباء نزل بهذا الشق الغربى من العالم وأشيعه ، ولم يخمد الوباء فى فصل الجفاف الطويل بين يونيه وفبراير إلا ليتأجج أحرّ ضِغْناً مما كان .

وزحفت الجامبيا من مدينة ناتال زحفاً بطيئاً إلا أنه محكم ، فقد حملت الرياح العاتية سناناً من أسنة هذا الجيش الغازى على امتداد الساحل وأنفذته فى داخل البلاد مسافة ١١٥ ميلا ، وأعدى المرض حوالى ٩٠ فى المائة من السكان فى بعض المناطق ، وقضى على عشرة إلى خمسين فى المائة من ضحاياه ، كما أضنى الذين تخطاهم الموت ، تاركا كثيراً منهم أضعف من أن يقوموا بعمل ، وأشد خمولا من أن يبالوا بالحياة .

وتذكرت السلطات الصحية ما فعلته الملاريا فى القضاء على قدماء الإغريق والرومان ، فأخذت ترقب انتشار الجامبيا بفزع يزداد . وعاد من البرازيل العالم الأمريكى الدكتور

مارشال ا . باربر ، أخصائى الملاريا الذى طبقت شهرته الآفاق ، كى ينذر قومه هذا النذير :

«إن الجامبيا تهدد الأمم الأمريكية بكارثة — ليس الطاعون حيالها ، ولا الحريق ولا الحرب نفسها إلا مصائب عادية يسيرة الاحتمال .

إن الجامبيا تدخل ، دخولا ، عروق المملكة وقد تبقى بها لتوبئها عدة قرون » .

ولاح للبرازيل قبس من عناية الله ، ففى السنتين التاليتين ظل يلفحها قيظ محرق أذب مواطن الجامبيا من الأرض ، وجفف محاضنها (أماكن بيضها) ، ومنع الغزاة أن تتقدم ، وأتاحت هذه الهدنة لمكافحى الملاريا وقتاً للتفكير والتدبير .

وقد كان لدى البرازيل جيش من العلماء لكفاح الأمراض التى ينقلها البعوض ، يحتشد فى إدارة الحمى الصفراء ، التى يرأسها الدكتور باروس باراتو المدير الأكبر للصحة العامة ، والتى هى خليقة أن تكون مفخرة الشق الغربى من الأرض بل مفخرة العالم أجمع . فعلى هدى الأصول الفذّة التى وضعها الطبيب الوقائى البرازيلى العظيم الدكتور ازوالدو كروز ، مستأصل الحمى الصفراء من ريودى جانيرو منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، استطاعت إدارة الحمى الصفراء أن تحارب بعوضة « الإيدس المصرية » الناقلة لهذه الحمى ، حرباً لا هوادة فيها ، لم تلبث أن جعلت وجود هذا النوع من البعوض ندرة فى البرازيل .

وهبّ بعض علماء الحشرات الشجعان فى هذه الهيئة ينادون : « أعدوا نظاماً كاملا واسع النطاق لكفاح الجامبيا ، وأمدّونا بالمال والرجال والعتاد ، نمحقْ هذا الوباء الوافد » .

لكن الكثرة من الخبراء المحافظين أعلنت أن هذا مستحيل . إنهم قطعوا دابر الحمى الصفراء « بالسيطرة » على بعوضها ، وهو عمل واف بالغرض فى كفاح معظم فصائل البعوض ، لكن فصيلة الجامبيا أوفر نسلا وأفحش فتكا من أن تجدى فى أمرها « السيطرة » ، والإبادة وحدها هى التى تجدى . وما دار فى خلد أحد قط من محاربى البعوض أن فى الإمكان إبادة فصيلة بأسرها من الكائنات الحية ، لا سيما الجامبيا ! فإن سائر فصائل البعوض تفرخ فى مواطن معروفة يسهل العثور عليها ، كالبرك والمستنقعات ، وبراميل المطر ، والسيطرة عليها إنما هى تجفيف الأرض ، وذرّ قواتل اليرقات . ولمكافحى البعوض حليف قوى من صغار السمك يتغذى مما على سطح الماء ، فيأكل بيض البعوض وصغاره ، فاحتشد

هـذا السمك فى أى ماء ، قلّ أو كثر ، ينقرض منه البعوض سريعاً .

أما تلك الجامبيا الخبيثة ، فهى تتنكب البرك والقنوات الواسعة ، وتفضل أن تضع بيضها فى الوَشَل (الماء القليل) كالذى يكون من ماء المطر فى مغرز عجلة أو حافر . وقال أحد هؤلاء المحافظين : « عليكم إذن أن تجففوا وحول الأرض جميعاً فى البرازيل الشمالية الشرقية كلما أمطرت السماء ! » .

وكذلك ناطت البرازيل آمالها بالقيظ ، فربما أصبحت الأرض التى صهرتها الشمس غير صالحة لسكنى الغزاة الإفريقيين .

فلما نزلت الأمطار فى فبراير سنة ١٩٣٤ نهضت الجامبيا تزحف زحفها الفتاك ، وقضت أربعة أعوام تقتحم شمالا وغرباً بلا رحمة ولا هوادة ، وما أوفت سنة ١٩٣٨ حتى صارت المنطقة الموبوءة ١٢,٠٠٠ ميل مربع ، وعَنَتْ مدن بأسرها للداء ، وبطلت الأعمال ، وأهملت زراعة الغلال لقلة اليد العاملة ، وكتبت مؤسسة روكفلر تقول : « إن عقبى غوائل هـذه البعوضة أن يصبح كل شخص فى هـذه المناطق الموبوءة عالة على الحكومة فى سنة ١٩٣٩ » .

وإذ ذاك بات الخطر الذى يهدد القارة الأمريكية بأسرها شراً وبيلا ، وأعلنت إحدى السلطات : « إذا استطاعت جيوش الجامبيا أن تنقضّ على الواديين الزاخرين ، وادى نهر بارناهيبا ونهر ساو فرنسسكو ، فسيكون من المستحيل دفعها عن جزء كبير من أمريكا الجنوبية والوسطى ، بل ربما استحال دفعها عن أمريكا الشمالية أيضاً » .

فلما كان شهر يناير سنة ١٩٣٩ ، أعلنت البرازيل الحرب على الجامبيا ، وتألفت إدارة كفاح الملاريا فى البرازيل الشمالية الشرقية بمرسوم ، واصطفى الدكتور باراتو لرياستها الدكتور مانويل فريرا الطبيب الوقائى الممتاز ، وعبئ لهـذه الحرب أطباء برازيليون من ذوى القدرة والكفاية ، من بينهم الدكتور إيفاندرو تشاجاس عالم الملاريا المعروف ، الذى قتل حديثاً فى سقوط طائرة . واعتمدت الحكومة لهذا الغرض ٢٥٠,٠٠٠ ريال فى المبدأ ، وتبرعت مؤسسة روكفلر بمائة ألف ريال ، وبذلك انقطع الجدل فى إمكان إبادة الجامبيا أو استحالتها . وكانت الأوامر : « انظروا ماذا تفعلون ، ثم امضوا قُدُماً وافعلوه ! »

ولم يكن هناك سوى وقت قصير لتدريب العمال ، ولم يكن لهذا الأمر سوابق يأتمون بها ، ولكن عنـدما بدأ وقت الأمطار فى فبراير سنة ١٩٣٩ كان الجيش الأول قد نزل إلى الميـدان فيه أكثر من ألفى طبيب من أطباء البرازيل ومن المساعدين الفنيين ،

ومن المفتشين والعمال . وظلت الجامبيا أربعة أشهر تثبت أنها عدو مخيف ، وكان المطر المدرار يزيد محاضنها زيادة لاتنتهى، ولكن الجيش المكافح للجامبيا أسس عسساً طوّافاً يطوف بمناطق الإقليم الموبوء،وبعث بجماعات من الكشافة فأنشأوا مخافر لطلائع الجيش على طول الحدود . فلما كان شهر يونيه أعلن المحاربون أن الجامبيا قد أحيط بها ، ويومئذ حمى وطيس الحرب .

عولج كل مكان يجوز أن يكون محضناً بأخضر باريس (مركب زرنيخى سام يقتل صغار البعوض الناقل للملاريا) ومضى العمال بالمضخات الرشاشة يقتلون البعوض البالغ ، فى المنازل ، والزرائب ، والحوانيت ، والأبنية المهجورة . ونفذ هـــذا التدبير الشامل — تدبير « الأرض المحرقة » — بلا هوادة فى كل بوصة مربعة من المنطقة التى عرف فيها الوباء ، ثم فى شقة من الأرض حولها عرضها عشرة أميال منطقةَ أمان . وعلى كل منفذ طريق فى الحدود أخذ العسس الصحى يرش قواتل البعوض فى كل مركبة قبل السماح لها بدخول المناطق الخالية من الوباء.

ولكم ابتلتهم المحن المثبطة ، فسرعان مانفد الاعتماد ، واضطرت حكومة البرازيل أن تعتمد ٢٥٠,٠٠٠ ريال أخرى ، ومضت الحملة تتقدم فى سبيلها مستفيدة من التجارب والأخطاء . وجاءت أوقات ظن فيها أن الجامبيا تسخر من محاربى الوباء . ثم خيل إليهم أن كل شىء يسير سيرا حسناً أخذت أوبئة جديدة من الملاريا تتفشى على مسافة أميال من المناطق الموبوءة فى مواضع لم يلوّثها الوباء من قبل !

ووقفت فرق الكشافة الموفدة للتقصى على سر هـذا الانتشار . ففى إحدى الحالات اجتازت سيارة طريقاً مهجورة فى غابة ، فأفلتت من الإقليم الموبوء دون أن يرش فيها قاتل البعوض . وفى حالة أخرى راغ زورق صغير من زوارق الصيد من المخافر الصحية البحرية ، فنقل البعوضة الغازية عدة أميال على طول الساحل .

على أن المحاربين لم يجزعوا ، بل حصلوا فى سنة ١٩٤٠ على ميزانية قدرها ١,١٣٠,٠٠٠ (منها هبة من مؤسسة روكفلر مقدارها ٢٣٠,٠٠٠ ريال) فزيدت القوة المكافحة إلى ٤٠٠٠ ، ونقحت الخطط ، وأعلن محاربو البعوض إعلان الواثق بما يقول أن : « هذه السنة ستكون قضاء مبرماً على الغزاة » .

أجل لقد بدأت الجامبيا العنيدة تتقهقر ! ففى أواسط زمن الأمطار — وكان أغزر مطراً مما يعهد — أخذت التقارير تنثال تترى من صقع بعد صقع : «طهرت المنطقة

لادليل على وجود بعوض أو بيض أو يَرَق». لقد كان ينتظر أن يكون هذا الوقت وقتاً مباركا على الجامبيا ، ففى منطقتين لم يتخذ فيهما الإحتياط الواقى ، وتركتا لأغراض البحث العلمى ولتكونا أساساً للمقارنة ، استطار شر البعوض ، ولكن حيثما دأبت فرق السموم الكيميائية على عملها ، استؤصلت شأفة العدو .

واعتزم محاربو البعوض أن يقوموا باختبار حاسم ، فما إن أعلن خبراء الميدان أن إحدى المناطق قد طهرت من العدو حتى وقفت جميع الوسائل الكيميائية المستعملة فى كفاح البعوض ، ولكنهم ضاعفوا القوة الكشافة لتكون بالمرصاد لما يمكن أن يعاود الظهور . ومرت الشهور الطويلة المقلقة ببطء ، ولم تظهر الجامبيا من جديد .

وظل محاربو البعوض يقظين قلقين ، لأنهم خبروا الجامبيا فألفوها عدوّاً غداراً شديد المراس . وقد كان ، ونزل بهم ما روعهم ، فقد عثر على مكمن ناء استكنت فيه الجامبيا على بعد حوالى ٥٠ ميلا من أقصى ما بلغته حدود الوباء ، ولم يمكن تعليل ذلك قط ، ولكنه طهر قبل أن يؤدى إلى ضرر .

وظلت هيئة كبيرة من رجال مدربين ، أكثر من سنة ، تجوس خلال البرازيل الشمالية الشرقية فلا تعثر على جامبيا واحدة . وقد أرصدت مكافآت مالية لكل من يأتى ببيضة أو يرقة أو بعوضة ، ولكن لم يعثر على شىء من ذلك . وعلى أن العلماء البرازيليين يترددون فى القطع بأن الجامبيا قد أبيدت وقطع دابرها من البرازيل ، فإن ظفرهم قد أحدث أثراً عميقاً فى نفوس كل علماء العالم ، إذ أن هذا القاتل المجنح لم ير فى البرازيل منذ نوفمبر سنة ١٩٤٠

إن البرازيل يوم محقت هذا الخطر الذى يهدّد صحة الأمريكيين جميعاً وسلامتهم ، قد علمت سائر الأمريكيين شيئاً يعسر على السلطات الصحية أن تتناساه . إن الملاريا لا تزال تستشرى فى كثير من بقاع الشق الغربى من الأرض ، فهى ما فتئت تصرع الملايين فى كل عام فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة . أجل إنها ليست من النوع الضارى كالذى جلبته الجامبيا إلى البرازيل ، كما أن بعوض الأنوفيل الذى ينقلها ، ليس كالجامبيا فى الصراع حيلة وبأساً . وهو أبسط طبيعة ، والسيطرة عليه وإبادته أهون وأيسر وأقل نفقات .

لقد أثبتت البرازيل أن الملاريا مرض يمكن أن يجتثّ من أصوله ، فينبغى إذن أن تعد منذ اليوم ثكالا لا يجوز أن تكابد بطشته أمة من الأمم ، وأنها على جبين المدينة — حيثما وجدت — وصمة عار .

صورة أسرة أمريكية

ت . ا . مرحي • ملخصة عن مجلة "الغد"

في أحد الشوارع الهادئة في بلدة هرتفورد — بولاية كونكتكت — تعيش أسرة لها قصة ، تبدو لأول وهلة كأنها من القصص البسيطة المألوفة . فهما رجل وزوجته ، هاجرا إلى الولايات المتحدة ، ثم أخذا نفسيهما بالجد حتى يكونا أمريكيين خالصين . وقد وصلا الليل بالنهار لكي يستطيعا أن يعولا أطفالهما — وقد أصبح عددهم على مضى الزمن تسعة — ويوفرا لهم خير الطعام وخير الثياب وخير التعليم .

واليوم قد التحق ابنهم الأكبر جورج بالكتيبة الكيميائية الحادية والثمانين ، بعد أن أوشك أن يتم دراسته العليا في الكيمياء العضوية بالمعهد الهندسي في ماساشوستس . أما ابنتاها مرجريت وجلادس فقد تعلمتا التمريض . وقد تزوجت مرجريت رجلا سريا من أصحاب المتاجر الكبيرة في شيكاجو ، وصارت جلادس عضواً ممتازاً في الهيئة الإدارية بمستشفى هرتفورد . أما كنث ، وعمره ١٨ سنة ، فقد التحق بسلاح الطيران الأمريكي ، وأما أخوه هارولد ، وعمره ١٧ ربيعاً ، فهو يجد في إتمام دراسته الطبية في جامعة شيكاجو . أما أليس فهي تتولى عملا مهما في أحد المصانع الحربية ، وأما « ماى » فتساعد أباها في عمله ، وأما الصغيران فلهما مشاركة في الصحافة ، ولم يزالا بعد في المدرسة الثانوية .

فهذه قصة تجرى مطابقة للتقاليد الأمريكية ، أما الشيء الذي يصونها أن تبلى أو تبتذل ، فهو أن هذه الأسرة كانت تواجه عقبات هائلة لابد من تذليلها ، فاسم الزوج «جون ماه» ، واسم الزوجة «ونج شى» !

منذ ثلاثين عاماً وقف جون ماه ، وهو إذ ذاك شاب في الثانية والعشرين ، ومعه زوجه الحسناء ، وعمرها تسعة عشر ربيعاً ، على سطح الباخرة منجوليا ، وهي تدخل ميناء سان فرنسسكو . وقد لاحت لهما جبال كاليفورنيا من خلال الضباب ، فضمت المرأة طفلها الصغير إلى صدرها ضما شديداً ، فقد بدت لها أمريكا شيئاً عظيما هائلا . ولكن زوجها جون ماه — الذي ولد في أمريكا وعاد إلى الصين ليتزوج — أخذ يهدئ روعها ويقول لها : « إن أمريكا مكان جميل ، وهي أرض الحرية . ويستطيع أبناؤنا أن

يبلغوا فيها الغاية التي يطمحون إليها » .

كان جون ماه على ثقة بأن زوجته ستواجه هذا العالم الجديد بجرأة وشجاعة . وقد اصطفاها من بين جميع الفتيات الفاتنات اللاتي قابلهن ، لأنه رأى عينيها يشتد بريقهما حين أخبرها أن التعليم في أمريكا ميسر للأطفال جميعاً ، حتى البنات . ذلك أن ونج شي لم تذهب إلى مدرسة ، وهكذا كان شأن بنات الصين يومئذ ، ولكنها كانت تتحرّق شوقاً إلى الحرية والتعليم . ولقد أراد شيخ من رجال القرية أن يحذر جون ماه وينصحه ، فقال له : « إنها أبت ، حتى وهي طفلة ، أن تُكَفَّتَ قدماها (توضع في قالب) . وهي تزعم أنه من السخف أن تنتظر المرأة لا تأكل حتى يفرغ زوجها من طعامه » . ولكن هذا لم يزد جون ماه إلا عزماً على أن يتزوج ونج شي . وبعد الزواج بسنة أبحرا إلى الولايات المتحدة.

اشتغل جون ماه خادماً في منزل بسان فرنسسكو . وكانت ساعات العمل طويلة ، والأجر زهيداً ، فلم تكن الحياة أول الأمر هينة على الزوجة الشابة . وخرجت يوماً تتمشى ، وقد لبست ثيابها الصينية ، من معطف حريري مطرز بالأزهار ، وسراويل حريرية سوداء ، فتعرض لها امرأتان أمريكيتان ، وعنفتاها على لبس هذا الزى الأجنبي ، فزلزلها ذلك زلزالا شديداً . وقد قال مستر ماه : « لقد اضطررت أن أخرج من فوري ، فأشترى لها ثوباً أمريكيا » . ومنذ ذلك اليوم لم تلبس الثياب الصينية ، واقتصدت بعض المال لتشترى آلة للخياطة ، وظلت بعد ذلك عشرين سنة تخيط الثياب لبناتها جميعاً .

وبعد قليل عزم مستر ماه على أن يرحل بأسرته إلى شرق أمريكا ، كي يغادر ذلك الحي الصيني في سان فرنسسكو . ولم يلبث أن وجد عملا في أحد المطاعم في بلدة سالم بولاية ماساشوستس ، وسكنت الأسرة شقة صغيرة مؤلفة من غرفتين . ودخلت مرجريت المدرسة ، وهي أكبر الأطفال سنا . وحرصت الأم على أن تقص على أطفالها سيرة جدهم الأكبر ، وكان من كبار رجال العلم وأكبر أعيان القرية ، وأن الواجب عليهم هم أيضاً أن يصبحوا علماء .

وقد استطاعت الأسرة ، على فقرها ، أن تقتصد قليلا من المال ، ثم جاء يوم سعادتهم ، يوم صار في ملك المستر ماه مطعم في مدينة بسطن . وقد سماه ، والفخر يملأ صدره : « مطعم الحرية » .

كان العرف القديم في الحي الصيني في بسطن ، أن لا تسير امرأة مكرّمة في الطريق وحدها ، فاستسخفت ذلك مسز ماه ،

وجعلت تخرج وحدها لتشترى حاجاتها . وكانت لاتكف عن تقريع النساء الصينيات وإرشادهن ، وتسألهن لماذا يقضى على المرأة الصينية أن تأكل بعد زوجها ، بدلا من أن تأكل معه ؟ ولماذا يكتب عليها أن تجثم فى غرفة خانقة ، وفى وسعها أن تتنزه فى الحدائق؟ واستطاعت أن تستميل جماعة منهن أن يخرجن معها إلى أكبر الحدائق العامة فى بسطن ، حيث كن يجلسن وجلات حييّات على العشب الرطب ، فأعجبهن ذلك ، فلم يلبثن أن أخذن يتجولن فى الحديقة حيث شئن . فكان ذلك انتقاضاً ثم نصراً لمسز ماه .

ولكن هنالك أشياء منعت أن تكون الحياة فى بسطن نصراً مطرداً لمسز ماه . فإن الأحداث المتمردين قد نغصوا عيش أطفالها ، فهم يسخرون بهم وينبزونهم بالألقاب ، ويعتدون عليهم . وليس هذا فحسب ، فقد ساءت حالة المطعم أيضاً ، يوم افتتح بإزائه مطعم صينى أكبر منه وأفخم ، فاضطر المستر ماه أن يغلق مطعمه . فكان يوماً عصيباً ، وقال المستر ماه : « عرفنا اليوم أن من الممكن أن يخفق المرء فى أمريكا ثم يبدأ من جديد . وعذرنا أننا لم نبن أمرنا على الثقة » .

وترك أسرته فى بسطن وانطلق إلى مدينة هرتفورد فى ولاية كونكتكت . وانقضت شهور طويلة حتى اقتصد المال الكافى لاستدعاء أسرته من بسطن . وقد رضى الأطفال عن السكن الجديد فى هرتفورد ، مع أنه لم يكن سوى شقة موحشة . وكانت الدار تجاه مركز الشرطة ، فلم يلبث رجال الشرطة أن أنسوا بهؤلاء الصغار الصينيين ، الذين كانوا دائماً على جانب عظيم من النظافة ، ويفرحون بأن يقضوا لرجال الشرطة ما يكلفونهم .

وفى ليلة من ليالى عيد الميلاد دهش أفراد أسرة ماه حين سمعوا طرقاً على الباب ، وعلى أثر ذلك دخل طابور من رجال الشرطة يحملون شجرة عيد الميلاد ، وعليها التحف والهدايا لكل فرد من أفراد الأسرة . قال المستر ماه : «كان عملا من ألطف الأعمال» .

وفى مدينة هرتفورد لم يلق الأطفال ما كانوا يلقون من التعصب والتمييز ، وكانوا جميعاً متفوقين فى مدارسهم . وقد قال أحد المدرسين مرة : « إذا كان فى فصلك فرد واحد من أسرة ماه ، ضمنت لنفسك تلميذاً يبجلك ويوقرك ، ويصغى لما تقول ، ويجنى منه ولا شك بعض الفائدة » .

ويقول المستر ماه اليوم : « من حسن الحظ أننا أخفقنا فى بسطن ، ذلك أننا لو بقينا فى الحى الصينى فى مدينة بسطن ، لحرم الأطفال فرصة التقدم التى أتيحت لهم بالعيش

فى بيئة غير صينية » .

وصار مستر ماه من الأثرياء على مر الزمن ، وأصبح يملك متجراً عظيماً لبيع الأغذية بالجملة . وأتمت مرجريت دراستها الثانوية والتحقت بمعهد لتدريب الممرضات . وفاز جورج بالمجانية فى كلية أوبرلن . وسعد الأب والأم سعادة عظيمة ، فقد كان أبناؤهم ماضين فى طريق النجاح .

ثم نزلت بهم كارثة جديدة ، فقد أفلس أحد المصارف ، وفقد جون ماه كل ما يملك . ولكن الضربة كانت فى هذه المرة أخف وقعاً من الأولى . وهو يفتخر ويقول : « لقد كان فى وسعى أن أستدين من أى بنك فى هرتفورد ، لأنهم يعلمون صدق كلمتى » .

ولكن مسز ماه بادرت إلى إنقاذه ، فقد كانت لا تزال تدخر مبلغاً من المال منحها إياه أبوها يوم زفافها ، فقدمته اليوم لزوجها لكى يبدأ عمله من جديد .

واليوم يمتلك جون ماه مطعماً صغيراً ناجحاً فى شارع ملبرى فى هرتفورد ، وهناك امرأة صينية حسناء تجلس هادئة وراء الخزانة ، وإذا دخلت حيتك فتاة بلسان إنجليزى فصيح . وفى منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر يدخل المطعم فتيان يصيحان يطلبان الطعام ، وعندئذ تسمع ثرثرة وبهجة وضحكا كثيراً ، فإن آل ماه جميعاً أقرب الناس ضحكا ، ذلك الضحك الحار الذى يصدر عن قوم يكدحون ، ويعيشون لغاية وهدف ، ويجدون لذة فى تحقيقهما .

وفى سنة ١٩٤٢ استطاعت الأسرة ، بعد أن قضت ثلاثين عاماً وهى تعيش فى ربوع وتدخر الملاليم ، أن تشترى داراً ذات ثمانى غرف ، حيث تعيش الأسرة معيشة أمريكية خالصة . وقد عدلت مسز ماه طريقة طبخها كى تلائم الأذواق الجديدة التى اكتسبها أطفالها .

ولا يزال أفراد أسرة ماه يلقون من المجتمع الأمريكى شيئاً من النفور ، وهم يتظاهرون بالضحك من هذا . ومع ذلك فإن الحياة الاجتماعية للبنات ليست أمراً سهلا فليس فى الحى شباب صينى من لداتهن ، وإذا ذهبت إحداهن إلى السينما أو إلى المرقص فى صحبة فتى من البيض ، نظر الناس إليهما نظرة التعجب . ومع ذلك ، فقد قضين وقتاً سعيداً فى العام الماضى ، يوم نزلت قوة من الطيارين الصينيين الشبان فى قاعدة جوية قريبة . وقالت أليس : « إنى أظن أن بعضهم سيعود إلينا بعد الحرب » .

ومسز ماه امرأة تجمع بين القوة وخفة الروح ؛ ولها آراؤها الخاصة ، ولا تتردد فى التعبير عنها بكل صراحة . وإليها يرجع الفضل فى تربية الأطفال ، فإنها تناقشهم ساعات فى أمور مستقبلهم وحياتهم .

وأفراد أسرة ماه ، على اعتزازهم بأصلهم الصينى ، أشد اعتزازاً بأنهم أمريكيون . ولعل هذا هو الذى يفسر لنا ما فعله رجال الدولة المشرفون على الترويج لسندات الحرب ، فقد بحثوا عن شخص يمثل الروح الأمريكية أحسن تمثيل ، فلم يقع اختيارهم على أحد أفراد الأسر الأمريكية القديمة ، بل وقع اختيارهم على جلادس ماه ، فاستأذنت أن تتخلف عن عملها فى قسم الجراحة فى المستشفى ، لكى تبين للأمريكيين — فى ولاية كونكتكت — أن شراء سندات الحرب أمر عظيم الخطر .

لقد كنت مع أسرة جون ماه يوم اجتمعوا حول المذياع ليستمعوا إلى جلادس . كان صوتها ، حين انبعث من بوق الإذاعة ، عذباً هادئاً ، ينم عن الفهم والذكاء ، تسرى إلى بعض كلماتها نغمة خفية من التأكيد . قالت : « إن لأمريكا فضلا كبيراً علىّ وعلى أسرتى ، إذ منحتنا الحرية ، والعدل والمساواة ، والعلم ، والمعرفة » .

ونظر جون ماه إلى زوجه وابتسم — كما ابتسم إليها منذ ثلاثين عاماً فى سان فرنسسكو — ثم قال : « أرأيت ؟ ألم أقل لك إن الحياة فى أمريكا جميلة جدا ؟ »

كل هذا والجحيم

مات أمريكىّ من الطراز القديم ، بعد حياة حافلة بالنصب والعمل ، وكان أول من لقى فى العالم الآخر خادماً أخذ يريه حجرة ضيوف كأنها مقصورة فى قصر فخم وقال له : « هذا جناحك ياسيدى ، والقاعدة الوحيدة هنا ، هى أن تقرع الجرس فآتيك بما تريد . ما عليك إلا أن تضغط الزرّ » .

وبعد شهر جلس الأمريكى فى مقعد مريح ، تحيط به زجاجات الشراب وعلب السيجار والبنادق وأجهزة صيد السمك وراديو ، وكلّ ما يصبو إليه الرجل . ولكن عينه كانت تنفجر بالغضب . فضغط الزرّ كأنه يطعن بخنجر ، فظهر الخادم فقال : تعال يافتى . أريد شيئاً أعمله . أريد عملا . فقال الخادم : يؤسفنى يا سيدى . أننا لا نستطيع أن نلبى ، فالعمل هو الشىء الوحيد الذى لا نستطيع أن نتيحه لنزّالنا . فقال الأمريكى : ماذا تقول ؟ لا أستطيع أن أجد عملا أعمله ! ؟ إنى لأفضل أن أكون فى الجحيم

— ولكن ياسيدى أين أنت ؟ !

آخر معارك المدمرة "بورى"



جون هيرسى ... ملخصة عن مجلة "لايف"

في ليلة حالكة السواد ، عاصفة الريح ، من ليالى شهر أكتوبر كانت المدمرة الأمريكية القديمة « بورى » تمخر عباب المحيط الأطلسى مضطربة حائرة ، بسرعة ١٧ عقدة ، إذ كانت قد فرغت من إغراق إحدى الغواصات وراحت تبحث عن غواصة ثانية .

وسرت هزة كالكهرباء على ظهر المدمرة « بورى » المعتم ، عندما صرخ صارخ يعلن اتصالهم بسفينة مجهولة النسبة . وكذلك بدأت معركة من أعجب معارك البحر بين سفينة ملتحمة بسفينة .

لم يكد قبطان المدمرة « بورى » — وهو الملازم تشارلز هتشنز ، فى الثلاثين من العمر — يعلم نبأ هذا الاتصال بالسفينة المجهولة حتى نكس رأسه وأرسل ذراعه بحركة اعتادها ، كمن يمسك بيده عصا يوشك أن يهوى بها على غريمه ، ثم أصدر أمره بزيادة السرعة . والمدمرات من السفن الدائمة البلل ، فلم تكد « البورى » تدرك سرعة ٢٧ عقدة حتى كان الماء يضرب أعلى أبراج السفينة . وبلغ من شدة عباب البحر أن تهشمت أربع طاقات من البرج يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدماً فوق سطح الماء .

وبعد وقت قصير انقطعت صلة «البورى» بالسفينة المجهولة على سطح البحر . فأمر الملازم هتشنز بإدارة جهاز التسمع تحت سطح الماء ، وإذا الاتصال يتم فى أسرع من اللمح ، حتى إذا أصبحت المدمرة فوق الهدف مباشرة ، أمر الملازم هتشنز بإلقاء « قنابل الأعماق » ، وإطلاق مشعل عائم لتمييز نقطة الهجوم . وأصابت قنبلة الأعماق

ولد جون هيرسى فى الصين . وتلقى علومه فى جامعتى ييل وكمبردج . وعلى أنه لم يبلغ الثلاثين بعد ، فقد صار مراسلا لمجلتى « تايم » و « لايف » منذ ست سنوات . وقد اشتهر بعد نشوب الحرب بتصويره الرائع للمعارك التى تقع فى كلتا الجبهتين الكبيرتين .

هدفها ، وأرغمت الغواصة على الصعود إلى سطح الماء .

ونسى أول رجل شاهد الغواصة أسلوب الخطاب البحرى التقليدى وصاح : « ها هى ذى — إلى يمين الضوء ! » . ورأوها على مسافة ٤٠٠ ياردة ، ضخمة تكاد تكون بيضاء . وعندئذ أمر الملازم هتشنز بتوجيه الأنوار الكشافة نحو الهدف .

وطاشت أول طاقة ، ثم راحت جميع مدافع « البورى » تصب نيرانها وهى تسير سيراً حثيثاً إلى الغواصة ، ثم انحرفت حتى إذا أدركت العدو واجهته عن عُرُض ، وكانت مبارزة المدافع من جانب واحد . وطاحت الطلقة الثالثة من مجموع مدافع « البورى » ببرج مدفعية الغواصة وألقت به فى البحر .

ورأى قائد الغواصة أن لا قبل له بمبارزة المدافع ، فاستدار ثم سدد أنابيب الطربيد الخلفية نحو المدمرة فأخطأتها . ثم عاد الملازم هتشنز بحركة دقيقة فجعل المدمرة فى محاذاة الغواصة . وراحت مدافع «البورى» فى الدقائق التالية تدق الغواصة دقاً هائلا . ثم تعطل تيار الضرب الكهربائى فى المدفع الأمامى ، فأطلقه ضابط المدفعية كنيث رينولدز بأن شد الحبل ، ولكنه انقطع . فأخذ يدفع مسمار الإطلاق بيده ، ولكنه لم يستطع أن يبتعد فى الوقت المناسب ليتجنب ارتداده إلى الخلف مسافة ٢٥ بوصة ، فتهشم ساعده ومعصمه تهشما شديداً حتى تورما فيما بعد وصارا فى ثلاثة أمثال حجمهما .

وظلت أمواج البحر الصاخبة تهدر وتتحطم على المدفع ، وقد أدركوا بعض الرجال مرتين ، والماء يجرفهم ويكاد يلقى بهم فى الخضم .

وأدركت المدمرة الغواصة الألمانية ، وبدأت تسبقها حتى تهيأت لشطرها بالنِّطاح وطالما كان من أحلام رجال « البورى » أن يبقروا جوف غواصة . بل إن الملازم هتشنز راح قبل ذلك بثلاثة أيام فحسب ، يلهو على كوة عجلة القيادة ، أمام ممسك الدفة تماماً ، ويرسم ثلاث دوائر حول مركز واحد وخطين يمران بالمركز . وسمى هذه الكوّة : منظار التوجيه للنِّطاح .

نكس الملازم هتشنز رأسه ورفع ذراعه وصاح بممسك العجلة : « هيا يا إيكنهد ، حاذها ، وجهها للنطاح » .

فأدار إيكنهد عجلة القيادة وقال فى صوت هادىء : «حسناً . يا سيدى ، لقد أدركتها»

وكان يبدو على الألمان أنهم ماضون فى طريقهم ، كأنهم لا يدركون ما يحدق بهم من خطر ، وبدا أن صدمة محكمة توشك أن تتم . وهيأ رجال المدمرة أنفسهم للنشوة

والصدمة ، ثم استدار الألمان فجأة وكسروا إلى اليسار ، وارتفعت « بالبورى » موجة ضخمة عاتية .

وهكذا جاءت الصدمة مخيبة للآمال ، فلا رجة ولا قعقعة ، وشالت الموجة مقدم « البورى » ثم هبطت به فى رفق على ظهر الغواصة ، أمام برج الدفة تماماً . وسكنت السفينتان ، وسقط مقدم إحداهما على مقدم الأخرى فى زاوية ، واشتبكتا فى وضع رهيب على صورة حرف V .

وسرعان ما زالت خيبة الأمل ليحل محلها جنون الفرح حين رأى رجال المدمرة أنهم سمروا الغواصة الألمانية فى مكانها . وزمجر الملازم هتشنز : « النار ! النار ! أطلقوا النار ! » . ثم أخذ يصيح مرة بعد مرة . وراح البحارة على ظهر المدمرة يتعانقون ويرقصون ويتصايحون .

وغمرت الأنوار الكشافة برج القيادة ، وراحت جميع المدافع الصالحة تفتح نيرانها على مرمى نطاق ثلاثين قدماً . ولم يعدم الألمان ضروباً من الشجاعة الخارقة ، فظلوا يخرجون من برج القيادة محاولين الوصول إلى مدافعهم ، وكان منظراً مروّعاً . وقد أصيب أحد الألمان إصابة مباشرة فى صدره بقذيفة قطرها ٢٠ ملليمتراً ، فطارت رأسه وكتفاه فى ناحية، وطار سائر جسمه فى ناحية أخرى . وظل أحد رجال الغواصة واقفاً مكانه لحظة ، بلا رأس .

وكان أثر الموقف مختلفاً باختلاف الأشخاص . فضابط الأهداف كارل بانكس وهو فتى خجول وديع الطبع ، ظل يصيح « اقتلوا الأنذال ! اقتلوهم ! » . ومساعد رئيس المدفعية ريتشارد وينز لم يشأ أن يضيع وقته فى البحث عن مفتاح غرفة الأسلحة الصغيرة ، فحطم الباب بجميع يده ليحمل البنادق إلى البحارة . وفى غرفة تخطيط السير أكبّ الملازم فيليب براون على رسم تطور المعركة ، ثم ذهب فى إبان المعمعة إلى القبطان قائلا : « لقد أنجزت التصميم يا سيدى . سحقاً لمهمة الرسم فى هذه المعركة . إن جميع الحقائق الأساسية التى يقتضيها الرسم ، قد أصبحت تحتنا تماماً ! » وعندئذ تناول الملازم براون بندقية ، ووقف هادئاً حتى صعد إلى ظهر الغواصة أحد الألمان ، ثم رفع بندقيته كما يرفع المدرس مؤشراً على السبورة ، وقتل رجلا آخر ! .

وكان بحار المطافىء ديفيد سوثويك واقفاً على سطح المدمرة على مسافة ١٥ قدماً فقط من برج القيادة ، فجرد خنجراً طوله خمس بوصات من غمده ، ورمى به ألمانيا كان يهرول إلى أحد المدافع فأصاب بطنه

وسقط فى البحر . وتناول والتر كيرتز ، مساعد ضابط المرساة والقوارب ، صندوقاً فارغا من صناديق القنابل طوله أربع بوصات ، وانتظر حتى رأى ألمانيا يتسلل من برج القيادة وقذفه بالصندوق ، فهوى إلى البحر . ولم يجد البحار إدوارد ماليني سلاحاً فاطلق رصاصة من رصاص الإشارات التى لاتقتل ولكن لهيبها يسبب حروقا شديدة !

ولم يكن من المستطاع إطلاق بعض المدافع الرشاشة ، لأن بينها وبين الغواصة دروعاً من الصلب، ولكن البحارة خاطروا بحياتهم وأطلقوها خلال تلك الدروع فمزقوها . فاتسع المجال للمدافع ، ورأى الطاهى الزنجى كريستوفر كولومبس شبرد ، المكلف حشو المدفع رقم ٤ ، أن الذخيرة لا تصله بسرعة كما ينبغى . فجرى إلى مخزن القنابل ، وحمل قنبلة ثقيلة ووضعها فى المدفع وتسلق إلى مكان ضابط الرماية ، الذى كان قد عمى ، وأطلق القنبلة ، وهبط من مكانه ثم جرى ليحضر قنبلة ثانية ، وظل يطلق مدفعه على هذا النحو . وقد استمر هذا الصراع المتصل وجهاً لوجه عشر دقائق ثم انفصلت السفينتان

وقد بلغ عدد القتلى من الألمان ما لا يقل عن خمسة وثلاثين ، ولم يقتل أحد على ظهر « البورى » ، ولكن جاء نبأ من قلب المدمرة بأن غرف الآلات أخذت تمتلىء ماء ، ولم يكن ذلك من فعل الألمان بل من فعل الجو . فإن أمواج البحر الهائج ظلت تصدم أنف السفينتين بغير انقطاع ، واستطاعت الغواصة — لأنها أعدت لمقاومة ضغط الماء الهائل تحت سطح البحر — أن تحتمل هذا الطحن دون المدمرة التى لا يزيد سمك غشائها عن ١٦ر٣ من البوصة .

وقد تسرب الماء إلى غرفة الآلات الأمامية حتى غمر البحارة إلى صدورهم . ولما كانت الآلات فى مأمن من تسرب البخار من الداخل فقد كانت كذلك آمنة من دخول الماء إليها ، ولهذا ظلت تعمل دون أن تتعطل . وكلما ترنحت السفينة وتمايلت طاح الماء بكل شىء متحرك ، وسرعان ما بدأ الماء يجترف البحارة حول الغرفة مع الألواح الأرضية وغيرها من الحطام . فأصدر كبير المهندسين الملازم موريسون براون أمره إلى الجميع بأن يغادروا الغرفة ، وبقى وحده ليعمل ما فى استطاعته .

واستمرت المباراة المدهشة فى الذكاء والحيلة ، فنشطت الغواصة إلى الأمام ثم دارت إلى الشمال لتجعل مؤخرتها مرة ثانية نحو المدمرة وترميها بالطربيد، فدارت « البورى » أيضاً إلى اليسار . وراحت الغواصة تدور دورة صغيرة متجهة إلى اليسار ، وكذلك فعلت « البورى » .

ولكن قطر دائرة الغواصة كان أصغر من قطر المدمرة ، ولم يدر الملازم هتشنز كم دارت السفينتان قبل أن يفكر في حيلة للخروج من هذا المأزق ، فأطفأ الأنوار على أمل أن تلوذ الغواصة بالفرار .

وقد كان . فلما أضاء النور وجد العدو قد مرق بمسافة ٤٠٠ ياردة إلى الشمال ، وعندئذ أصدر أمراً ساعده على كسب المعركة ، وهو تركيب قنابل الأعماق على نحو يسير .

وعلى الرغم من إخفاق المحاولة الأولى في مصادمة الغواصة ، فإن شهوة إغراق العدو بمصادمة ظلت متحكمة في النفوس على ظهر المدمرة ، ولهذا أصدر الملازم هتشنز أمره بمصادمتها . ولكن قائد الغواصة في هذه المرة لم ينحرف ولم يفر بل عزم على أن يصادم المدمرة ، وبهذا تعرضت « البورى » بنشأتها الرقيق للتحطيم .

وفى لمحة خاطفة من لمحات العبقرية في النضال ، أمر الملازم هتشنز محرك الدفة أن يدور إلى أقصى اليسار ، وأن يسكت آلات الجانب الأيمن ، مع إدارة آلات الجانب الأيسر بأقصى قوتها . وكان من جراء ذلك أن وقفت السفينة دفعة واحدة مع استدارة مؤخرتها إلى الغواصة القادمة . وفي اللحظة الملائمة تماماً صاح بضابط قنابل الأعماق لورنس كوين : « هيا يا لارى ، صب عليهم بطارية الجانب الأيمن » .

وطاحت ثلاث قذائف مستديرة في الهواء ثم سقطت على مقربة من الغواصة — اثنتان من جانب ، وواحدة من الجانب الآخر ، فطفرت الغواصة من الماء ثم هبطت تكاد تمس « البورى » . وقد قال رجال السفينة إنه لو زاد طلاء إحدى السفينتين طبقة واحدة لحدث بينهما التصادم في تلك اللحظة ! .

واستطاعت الغواصة على نحو ما أن تعود إلى النضال ، فكانت كالثور الأسبانى الذى يأبى أن يسلم بأنه يعالج سكرات الموت . فتسللت نحو مؤخرة « البورى » وأطلقت نيرانها من زاوية . ثم حدث فى حين غرة أن طاح برج الغواصة كله في البحر ، ومعه كل من فيه ، بطلقة مدفع من المدافع كنيث رينولدز ، فتدفق الماء وارتفع أنفها فوق الماء ، ثم هوت إلى الأعماق ، وسمع لها انفجار هائل تحت سطح الماء . وقد استغرقت المعركة ساعة ودقائق أربع .

وساعتئذ كانت « البورى » في محنة خطيرة ، فلم يعد يعمل من آلاتها سوى آلة واحدة . وظلت السفينة تعب الماء في مقدمتها والمولدات مكشوفة عارية . وبرغم ما بذل الملازم هتشنز من جهد اليائس حتى

تدرك السفينة موعدها فى الفجر مع سائر مدمرات القافلة ، لم تستطع أن تفعل . وفى محاولة يائسة للتخفيف من عبء السفينة ، ألقى فى البحر كل ما يمكن أن يلقى من الأشياء.

وطلع الفجر قاتماً غير أبلج ، فكان من العسير على طائرات الحاملات التى ترافق المدمرات أن تعثر على « البورى » ، ونفد الوقود من مولد الغاز الاحتياطى الذى يدير آلة الراديو ، وبذلك صمتت « البورى » ولم تستطع أن تتصل بها . وجلس الضباط حول غرفة الراديو فى حيرة ماذا يصنعون ؟ إنهم يعلمون أن « البورى » لو استطاعت أن ترسل إشارات لاسلكية لازداد الأمل فى العثور عليهم . وأخرج أحدهم سيجارة أشعلها من قداحته ، فتذكر الملازم روبرت لورد أنه رأى وقوداً للقداحات على مكتب ضابط آخر ، وأذيع عندئذ بين جميع من بالسفينة أن يرسلوا وقود قداحاتهم إلى غرفة الراديو ، وبذلك دار المولد مدة كانت كافية حتى يرسل عامل اللاسلكى هذه الرسالة : « نستطيع أن نسير ساعتين أخريين . وقد بدأنا نغرق » ، وفكر أحدهم فى استعمال الكحول الخاص بالمرضى ، وأمكن خلطه بالكيروسين لإدارة المولد بما يكفى لترديد علامة النصر V بغير انقطاع — ثلاث نقط وشرطة . فالتقطت إحدى الطائرات هذه الإشارة وعثرت على « البورى » .

فلما ظهرت سفينة الإنقاذ حوالى الظهر طلب الملازم هتشنز أن يسمح له ببضع ساعات : « لأنقذ هذا الدلو إن استطعت » ولكن الحالة تطورت من سىء إلى أسوأ . فلما عادت السفينة قبيل الغسق حال هياج البحر دون محاذاتها للبورى ، ولم يسمح الوقت بنقل البحارة بعوامات الإنقاذ ، فلم يكن لهم بد من النزول إلى الماء القارس والتعلق بالأطواف .

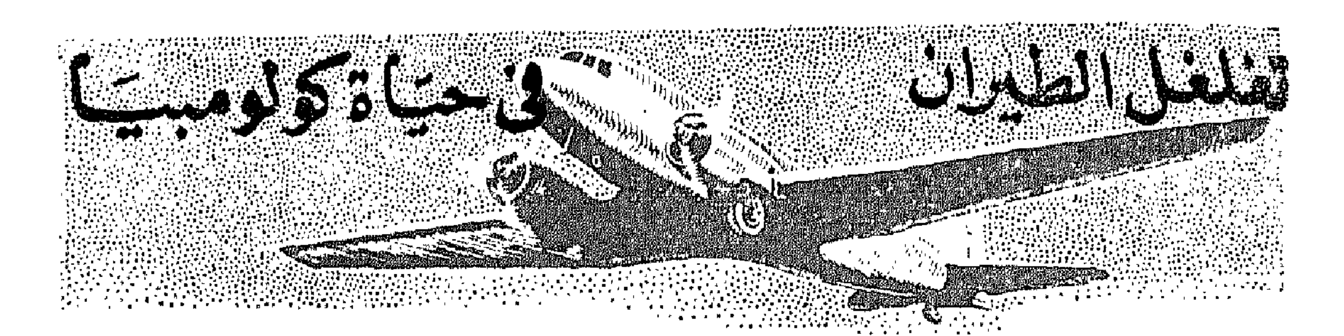
كانت حرارة الماء لا تزيد على ١٢ درجة فوق درجة التجمد ، فقضى نحبه ٢٧ رجلا وبينهم الملازمان براون ولورد . وقد ظلوا طوال المعركة الحامية التى دارت قبل ذلك بساعات قلائل لم يمسهم سوء .

وبعد أن غادر المدمرة جميع رجالها ، تناول الملازم هتشنز مشعلا وذهب ، وحيداً منقبضاً ، يتفقد مختلف الغرف المهجورة فى أول سفينة يتولى قيادتها . كان الظلام والسكون يخيمان فى كل مكان فلم يبق على ظهرها أحد سواه ، فصعد القبطان على ظهر السفينة ، متأبطا علم « البورى » ، واتجه إلى جانبها ونزل إلى الماء .

وبعد لحظة ، شاهد من برج لم يألفه ، سفينة ترفع مقدمها محتجة حانقة ثم تغوص فى أعماق المحيط .

« إحدى بلاد أمريكا اللاتينية تعرض لمحة عن مستقبل الطيران بعد الحرب »

تغلغل الطيران في حياة كولومبيا



فرنك . ج . تايلور • ملخصة عن مجلة « زى پان أميريكان »

أصبح أهل كولومبيا اليوم أكثر شعوب الأرض تشبعاً بفكرة الطيران ، لأنهم طفروا بوسائل النقل ، من العربات التي تجرها الثيران إلى الطيران ، في عشر سنوات . وقد أحدثت خطوط الجو الجديدة الباهرة انقلاباً في اقتصاديات كولومبيا ، ومهدت سبل الاتصال بالسهول الساحلية الاستوائية ، والأودية الخصبة ، والنّجاد المرتفعة . وأصبح أهل كولومبيا ، وهم ثمانية ملايين ، شعباً واحداً بعد أن فصلتهم قروناً عدة ، الجبال الهائلة ذوات السفوح الهاوية . فكولومبيا اليوم معرض لما سيكون عليه أمر الدنيا بعد الحرب ، يوم تغير الطائرات أحوال بلاد أخرى لم تزل مخلدة إلى الأرض .

لم تكن أفيانكا ، شركة خطوط الجو في تلك البلاد ، تملك سوى عشرين مطاراً منذ أربع سنوات . أما الآن فتمتد خطوطها ٨٠٠٠ ميل ، وتصل بانتظام إلى ٨٢ مكاناً آهلا بالسكان ، سوى عشرات أخرى تطير في رحلات خاصة . وستصل عما قريب إلى ضعف هذا العدد . ومن أبرزها مثالا بلدة مناجم تسمى أوتو ، كانت أقرب مدينة إليها على مسيرة ثلاثة أيام ، بالسكة الحديدية ثم على ظهور البغال ، أما اليوم فهي منها على ساعتين ونصف بفضل طائرة الصباح .

وتعد خطوط شركة أفيانكا الممتدة في برارى تربية المواشي الفسيحة الواقعة جنوب شرق هذه البلاد ، من عوامل النشاط التي ليس لها مثيل . فإن المزارع الذي يريد السفر أو يريد شحن بضاعته ، يبسط ملاءة بيضاء على طرف مهبط للطائرات : على الطرف الشرقي إذا كان يريد الشرق ، وعلى الغربي إذا أراد الغرب . فإذا مر بها أحد طياري شركة أفيانكا فرآها ، هبط بطائرته إن كان طريقه حيث يريد هذا المسافر .

وأول من يهبط من الطائرة أحد العمال ، ليبيع التـذاكر وطوابع البريد الجوى ، ويزن البضاعة المنقولة جواً ، ريثما يختبر الطيار المساعد أجزاء الطائرة ، أما الطيار فيتولى بيع الجرائد . وهكذا أصبح أهل كولومبيا يقرأون جرائد المدن الكبرى يوم صدورها ، بعد أن كانت الأخبار تصل إليهم على ظهور البغال .

وتقع غابات أعالى الأورينوكو فى جنوب البرارى حيث تهبط طائرات شركة أفيانكا إلى ميادين صغيرة مهدت فى جوف الغاب ، وعلى الجزر الرملية فى مجرى الأنهار ، فتحمل المطاط وقشور شجر الكينا وغيرها من المواد ذوات القيمة الحربيـة ، فتدفعها إلى سفن الملاحة النهرية فتنقلها هذه إلى المخابىء التى أعدتها الولايات المتحدة للمواد الحربية فى البحر الكاريبى . وتقوم طائرات أخرى بنقل المعادن والأسماك والفواكه والزهور والآلات من مراكز كولومبيا النائيـة جيئة وذهاباً .

وتعـد الخطة التى دبرها الكولومبيون لأمريكيون للاستيلاء على أول خطـوط كولومبيا الجوية ، وهى شركة سكادتا التى كان يسـيطر عليها الألمان ، من أعجب مفاجئات السنين الأخيرة ، إذ وصل شباب من « السـياح » الأمريكيين قبل تنفيذها بأسبوعين ، وظلوا يستقلون خطوط شركة سكادتا كأنهم ركاب ، غير محدثين أى إزعاج ، ملصقين وجوههم بالنوافذ . وجاء يوم فسلمت ظروف مغلقة إلى جميع الطيارين والموظفين والميكانيكيين الألمان ، وهم يغادرون مكاتبهم أو قواعدهم الجوية ، وفى كل ظرف رسالة رقيقة تعبر عن تقدير حكومة كولومبيا . للخدمات التى أداها الألمان فى هذا الميدان البكر ، ومعه حوالة مكافأة للاستغناء عن خدمتهم ، ومقدارها مرتب شهر عن كل سنة مضت له فى العمـل . وفى الصباح التالى ظهر « السـياح » الأمريكيون الشبان فى بزة طيـارى شركة « بان أميركان » ، وقادوا طائرات شركة سكادتا ، لم يعقهم عائق . أما الطيارون السابقون ، وجميعهم من الضباط النازيين الاحتياطيين ، فقـد أخرجوا من البلاد على عجل . وهكذا حيل بين قناة بناما وبين تهديد نازى عظيم . وفى ليلة واحدة أدرك أهل كولومبيا مطمحهم فى امتلاك خط جوى قومى .

وستقسم ملكية شركة أفيانكا ، تبعاً للتنظيم الجـديد ، إلى ٤٠ ٪ لحكومة كولومبيا و ٢٠ ٪ لمساهمة أهل كولومبيا و ٤٠ ٪ لشركة خطوط « بان أميركان » ، أما الإدارة فهى فى أيدى الكولومبيين برياسة مارتن دل كوال ، وهو مهندس تخرج فى

الولايات المتحدة . ويزداد عدد الكولومبيين فى وظائف الطيران والوظائف الفنية تبعاً لسرعة تدريبهم ، أما الميكانيكيون وموظفو الحركة فجميعهم كولومبيون .

وقد صرح موظف كولومبي مسئول فقال : « إن أفيانكا من مشاريع الاستثمار الأمريكية التى نريدها ، إنها اشتراك صادق بين الكولومبيين والأمريكيين ، ونحن فى حاجة إلى المزيد من مثلها لاستغلال مواردنا » .

وعلى أن شركة أفيانكا لا تنال إعانة من الحكومة ، فهى تعطى المساهمين أرباحهم بانتظام ، حتى يوم كانت تستبدل بالمعدات الألمانية طائرات أمريكية حديثة من صنع شركات دوجلاس ولوكهيد وبوئج . ولم تزل الطائرات الألمانية المائية تستخدم على امتداد نهر مجدلينا — وهو بمثابة مهبط فسيح ، طوله ٧٠٠ ميل ، وهناك أيضاً طائرات فورد القديمة ذوات المحركات الثلاثة لنقل المطاط . ويرتقب الكولومبيون أن يستخدموا بعد الحرب، الطائرات التى تصعد فى الجو صعوداً عمودياً ، للهبوط بها فى قرى الجبال والغابات ، وهم يرتقبون اليوم أمر نقل لحم البقر المبرّد من البرارى إلى المدن التى تحتاج إليها فى ست ساعات ، متبعين نفس الطريق الذى تقطعه الدوابّ فى ستين يوماً . ويصبح فى وسعهم أن يعرضوا فى الأسواق الأمريكية زهرة الأركيد ، التى تنبت من تلقاء نفسها فى أوديتهم ، وكل اثنتى عشرة زهرة منها تساوى عندهم قرشين ، وأن يعرضوا فيها أيضاً الأناناس الطازج والسفرجل وغيرها من أطايب الثمرات التى لا تحتمل السفر بحراً . وهم يرجون أن تعود الطائرات محملة بالمحصولات الأمريكية، وبالأمريكيين الذين سيجدون فى جبال الأندس العالية المنيعة ، مصطافاً لا تنقطع عنه النسمات البليلة . وليس هناك ما هو أوضح فى تصوير هذا التغير من هذه الكلمات التى قالها أحد الكولومبيين :

« عندما صعدت جدة زوجى ، أول مرة ، فى نهر المجدلينا فى رحلة إلى مدينة بوجوتا ، ركبت طوْفاً مسقوفاً بالقش ، واستغرقت ثلاثة شهور . فلما قامت أمها بتلك الرحلة فى سفينة ذات مجداف بخارى مستدير كالعجلة ، استغرقت ثلاثة أسابيع . فلما طارت زوجى إليها من مدينة برّنكويلا ، استغرقت أقل من ثلاث ساعات » .

اختلف الناس فى نطق اسمه ولكنهم
لم يختلفوا فى أنه أمكر فصيلة الذئاب

"الكيوت" الماكر

لويس نورديك
ملخصة عن
"ناينشر مجازين"

لقد طورد الكيوت أكثر مما طورد أى حيوان أمريكى آخر ، واستخدمت فى مطاردته كل وسيلة أو خدعة يعرفها الإنسان — بمعاونة الحكومة المحلية وحكومات الولايات والحكومة المتحدة — فى معركة لا تنقطع لاستئصال شأفته ، فيقتل منه فى كل عام ما يربى على ٥٠٠,٠٠٠ فى الولايات المتحدة . ومع ذلك فلا يزال هذا الذئب الصغير الماكر محتفظاً بمكانته ، إذ يوجد منه اليوم عدد لا يقل عن ٢,٠٠٠,٠٠٠ وقد انتشر من موطنه الأصلى فى البرارى والجبال الغربية إلى مناطق كثيرة جديدة مأهولة .

ويستطيع الكيوت أن يرتد إلى البقاع الخالية فى المزارع الواسعة والأراضى البور حيث يعيش ناعم البال بعض الشىء ، ولكنه لا يرضى بمثل هذا العيش ، فهو يحب أن يبقى بين أعدائه يخاتلهم ويصاولهم ملتهماً طعامهم وأرزاقهم .

ولقد قال حديثاً أحد الصيادين الذين تستخدمهم حكومة الولايات المتحدة ، يوم وجد أن الطعم قد سرق من جميع مصائده ، وهى ست وثلاثون مصيدة : « إن الكيوت هو أرشق محتال حى » . فيوم اتخذت بقعة من موطنه فى ولاية تكساس لتدريب قاذفات القنابل هجرها مؤقتاً ، ولكن سرعان ما رجع إليها يتحسس أحوالها ، فوجد أن الأمور ليست بالغة من السوء مبلغاً جسيما فبقى بها . وهو يقيم الآن فى منطقة التدريب تماماً ، ولكنه قليل الحفل بالقاذفات أو بالقنابل التى يرجع إليها الفضل فى إبعاد الصيادين وكلاب الصيد عنه .

والكيوت أربد اللون ، أشبه بكلب صغير من كلاب الرعاة الألمانية ، وقلما يزيد وزنه عن ثلاثين رطلا ، وهو سريع العدو ، وقد قدرت سرعته فكانت ٤٠ ميلا فى الساعة . ويعده العلماء جنساً دنىء الرتبة من فصيلة الذئاب ، ومع ذلك فله من شدة الدهاء ما جعله يكثر ويتكاثر فى بقاع قد انقرض منها « اللوبو » الذى كان يفوقه قوة وشراسة .

لم يروَ أن الثعلب الخبيث ، الذى يتردد ذكره فى قصص الأطفال ، أتى بخدعة باهرة كالتى أتى بها « تيبى » وهو ذلك الكيوت الذى استأنسته إحدى أسر تكساس وربته فى منزلها . فقد ظل « تيبى » مولعاً بالدجاج حتى بعد استئناسه، فجعل يسطو عليه. فسلسلوه فى ركن من أركان المنزل ، وأطعموه فتات الطعام . ولكن سرعان ما ذهب ينثر هذا الطعام على مد قيده ، ثم عاد واختفى خلف الركن . فاندفع الدجاج بحماقته يلتقط الفتات، فتلقف « تيبى » طعامه من لحمها الغض .

ويندر أن يكون الكيوت بديناً ، فهو على وفرة ما يأكل يظل رشيق القوام، ليكون على أهبة لما لابد له منه من عدو وقتال ، وهو فى القتال كالبرق الخاطف . ومن خبثه المنكر أن ينشب أنيابه فى جسم عدوه ثم يجريها فيه . وهو لا يقاتل إلا فى الضرورات لأنه يؤثر المكر والدهاء .

وإذا خرج أحد الرعاة يطوف بأرضه راجلا أو ممتطياً جواده ، غير مسلح ، فقد يشاهد هذه الذئاب قريبة المرمى . فيعود فى المرة التالية ومعه سلاحه ، فلا تقع عينه على ذئب ما ، ويقول الصيادون الذين يعملون فى قسم الحياة البرية بالولايات المتحدة إن الكيوت لحدة شمه يستروح رائحة البندقية . أما العالم المواليدى ستيوارت إدوارد هوايت فيخالفهم ويظن أنها ترجع إلى نوع من حاسة « قراءة الأفكار » التى لا يعرف الإنسان عنها شيئا .

ويمتاز الكيوت بالمهارة الفائقة فى أن يحصل على صيده ولم يتعب فيه تعباً . فهو يترصد زبزباً غافلا (حيوان لاحم بين الكلب والسنور) ينبش جحر حيوان صغير ، ثم ينقض على هذا القارض الذى كدح الزبزب حتى أثاره من جحره . ويرقب الطيور الجوارح ويختطف منها فريستها أو الغذاء الذى تعثر عليه ، ولكنه يعرف الحدود التى لا يتجاوزها كيلا يعرض نفسه للهلاك . ويقول الصيادون ذوو الخبرة إنهم لم يسمعوا قط أن الكيوت قد أكل من فريسة سبع الجبل

ويتقمم الكيوت طعامه من الطرق الزراعية ، فقد علم أن المسافرين ينبذون بقايا الطعام وأن السيارات تدهم القوارض والطيور فتقتلها. وهو يؤثر الدجاج والخراف وإن كان يأكل كل طعام ينتجه البشر ، وكثيراً مما يعافه الناس كالحيات والسحالى والحشرات، فإذا وجد الفاكهة جعلها حلواه.

وقد قام فيرنون بالى العالم المواليدى الخبير بقسم الحياة البرية بفحص ما تحتوى معدة ٤٠٥٠ كيوتاً أتى بها من ولاية أوريجون ، فوجد أن ١٧٧ منها كان غذاؤها الأرانب البرية على اختلاف أنواعها ، وأن ١٣٧ قد

التهمت أنواعاً مختلفة من القوارض الأخرى. وكانت نتيجة أبحاثه أن الكيوت «قد يكون ذا منفعة كبيرة فى الحد من تكاثر الأرانب البرية والأرانب الأمريكية ، والسناجيب الأرضية ، ونقار الشجر ، وفيران الجبال ، وفيران المراعى وسائر القوارض الصغيرة ».

ويعيش الكيوت فى وجار يحفره فى سفح تل أو تحت صخرة ناتئة أو تحت جذع شجرة . وهو يتخذ فى الغالب وجارين أحدهما للأم وصغارها والآخر للأب ، ويعتقد الباحثون فى قسم الحياة البرية أن الكيوت يلازم أنثاه سنة على الأقل ، وقد لا يفترقا طول الحياة ، فقد رأوا أزواجاً بعينها يعاشر بعضها بعضاً أزماناً طويلة . وقد رأوا أيضاً بعض حروب طاحنة قد دارت رحاها من جراء تهجم العزّاب على حياة الأسر .

والمألوف أن تجرى حرب دامية بين الخطاب من أجل استمالة الأنثى التى لم تتزوج بعد ، ولا يمضى وقت طويل حتى تصاحب أحدهم وتنطلق ، وينصرف سائر الخطاب . وليس من دأب الأنثى أن تستأثر بأشد المحاربين بأساً ، فإنها قد تختار من تلقى منهم أوجع الضربات .

وتضع إناث الكيوت مرة واحدة فى السنة ، فتنسل ما بين أربعة جراء إلى عشرة فى بطن . وللكيوت فى بيته نظام قاس ، فأول درس يتلقاه الصغار أن الخطر قريب فى أية لحظة ، وقد حرّم عليهم ، مهما يكن من شىء ، أن يتعدوا نطاقاً محدوداً يحيط بالوجار . وقد شاهد بعض علماء التاريخ الطبيعى رب أسرة يركض إلى منزله ، فرآه الصغار فأسرعوا للقائه وهم يعدون يسقط بعضهم على بعض ، ولكنهم يقفون عند حدّ محدود يبعد عن الوجار حوالى ٥٠ ياردة ، مهما كانت المسافة التى تفصلهم عن أبيهم .

ويستغرق دور الحضانة أسبوعين ، ثم يأخذ الوالد صغاره واحداً بعد واحد إلى خارج الوجار ، كى يعلمه الصيد ، فيبدأون بصيد الحشرات الكبيرة كالجنادب ، ثم يتدرجون إلى صيد الفيران والأرانب . وبعد ذلك يرقب الوالدان هؤلاء الصغار وهم يتقاتلون ، وكثيراً ما يدخلان بينهم لإرشادهم كيف ينبغى أن يكون القتال .

ويحمى الوالدان صغارهما أتم حماية حتى يبلغ عمرهم عاماً ، وقد اشتدت سواعدهم . ويظهر أن الكيوت على علم ببعض المبادئ الصحية ، فقد شاهد أحد رجال قسم الحياة البرية اثنين منه يمرغان صغارهما فى الرمل ، فلما فرغا لم يرجعا إلى الوجار القديم ، بل حفرا وجاراً جديداً غير بعيد عن الأول . فذهب يفحص الوجار المهجور فإذا هو ممتلئ بالبراغيث

وقد يرمى الذكر بنفسه على الكلاب الكاشرة ليذودها عن وجاره ، وكم زمرة من كلاب الصيد المطاردة قد تحيرت وأضناها تناوب زوجين من الكيوت فى الطراد ، فيستطرد لها أحدهما مدة من الزمن ، ثم يسكن ويستريح ، وينوب الآخر عنه فى طرادها . وهما يعدوان فى كل اتجاه ثم يخفيان أثرهما عند جداول الماء ، وكثيراً ما تنتهى كلاب الصيد ، حتى المدربة منها ، بأن تعدو فى دوائر ، على حين يهرب الكيوت ، وربما خيل إليك أحياناً أنه إنما يمتع نفسه برياضة ملؤها الجرأة .

والكلاب السلوقية المدربة هى ألدّ أعداء الكيوت ، فى الأراضى المنبسطة من غرب الولايات المتحدة ، وذلك لأنها تستطيع أن تقضى عليه بسرعة إذا ما رأته ، ولكن الكيوت قد تعلم شيئاً من فن التنكير ، وذلك أن د.م. بنتلى ، الذى طارد الكيوت بالكلاب السلوقية سنوات عديدة فى سهول تكساس ، قد شاهد فى الشتاء الماضى بعض هذه الذئاب تتمرغ فى الأعشاب حتى اصطبغ وبرها تماماً باللون الأخضر ، فإذا طوردت بعد ذلك توارت فى الأعشاب . وكثيراً ما ضلل هذا التنكير الكلاب السلوقية التى لا تعتمد فى صيدها على حاسة الشم . ومما يؤثر عن الكيوت أنه يثب على ظهور السيارات هرباً من الكلاب المطاردة ، فهو إذن قادر على أن يستنبط وسيلة جديدة للدفاع ، كلما استحدثت طريقة جديدة للهجوم .

هذا وللكيوت أسلوبه فى تبليغ الرسائل ، إذ يعوى أحدها عواء حاداً فيتناقلونه واحداً بعد واحد ، فهل هو عواء نصر أو نداء إلف أو نذير خطر يقترب ؟ ذلك ما يفهمه الذئاب الآخرون ، أما الإنسان فليس فى استطاعته أن يحل رموز هذه الرسائل .

هنرى فورد يصحح

منذ زمن غير بعيد أسندت إلى إحدى الصحف القول التالى : « إن التقدم العلمى خلال الخمسين السنة المقبلة سيفوق التقدم العلمى خلال الألف السنة الماضية» . فلم يرقنى هذا الاقتباس لأنه محرف ، إنما قلت «خلال الخمس والعشرين السنة المقبلة » .

[هنرى فورد فى « ذى أميريكان مجازين »]

ولاية مشيجن تمهد الطريق كي يكون نقل الدم في متناول الجميع

بول دى كروف
ملخصة عن مجلة "سيرفى جرافيك"

نقل في العام الماضي عامل أصيب في حادث سيارة إلى إحدى المستشفيات بولاية مشيجن ، وكانت حالته تتطلب السرعة فى حقنه بمصل الدم، ولكن المستشفى، اتباعاً للنظام المعتاد ، سأله أولا عن ضامن بوفاء الثمن ، فذكر عمدة بلدته وصاحب مصرفها . وتعذر الاتصال بكلا الرجلين بالتلفون ، وأدركت الجريح الغشية (الصدمة) ومات .

وتركت هذه المأساة أثراً عميقاً فى نفس الدكتور س . س . يونج ، مدير معامل الصحة فى ولاية مشيجن لقد أدى غلو ثمن المصل إلى حالة يمكن أن يموت فيها الناس من الغشية ريثما يتحقق مما لهم من رصيد . فكل وحدة من المصل التى تكافىء أكثر قليلا من نصف لتر من الدم الكامل، يبلغ ثمنها فى الإنتاج التجارى خمسة جنيهات ، وقد يستدعى إنقاذ حياة واحدة ثمانى وحدات أو أكثر . وعرضها للبيع بأقل من هذا الثمن يحول دونه غلو الدم الذى يجب أن يشترى شراء من الواهبين .

ومع ذلك فقد كان الدكتور يونج يعرف أن هذا الانهيار المعروف بالغشية هو من أكبر أسباب الموت ، لا فى ألوف من الإصابات فحسب ، بل أيضاً عقب الجراحات الخطيرة التى كان يتوقع لها النجاح ، وأنه هو الذى يضرب الضربة القاتلة فى كثير من الأمراض المعدية ، ويقضى على كثير من ضحايا الحروق ، وأنه أحياناً يقتل الأمهات فى الولادة الطويلة العسرة ، وأنه يفزع الجراح وهو يكافح نزف الدم .

ومعظم الثقات متفقون على أن مرجع هذه الحالة المبهمة المخوفة المسماة بالغشية ، إلى تضاؤل مقدار الجزء السائل من الدم أى المصل . فإلى أين يذهب ؟ إن نزفاً خفيا يحدث من تلك الأنابيب الدقيقة ــ الشعريات ــ التى تصل الشرايين بالأوردة ، فيتحلب منها المصل إلى الأنسجة المجاورة ، ولا يجد القلب ما يكفيه من الدم ليقوم بعمله فى دفع الدم فى

الجسم ، فيشتد جوع الجسم للأكسجين الذى لا يزال الدم يحمله . ولو تيسر أن يعاد المصل إلى الدورة الدموية بنقله من شخص إلى آخر لتيسرت المعجزات فى إنقاذ الحياة .

يقول الأطباء إن استعمال مصل الدم لاتقاء الغشية يمهد السبيل إلى دنيا لم تزل حرَماً ممنوعاً . وكثير من العمليات الجراحية الخطيرة فى المخ والصدر كانت مخافة الغشية تجعلها مستحيلة على الجراح ، ولكن التقدم بالمصل قد ينفث فى الدورة الدموية من القوة ما يهيئ للجريح فرصة كفاح تنجيه سالماً من الخطر .

إن سحر المصل — والفضل للصليب الأحمر ولمن وهبوا له من دمائهم — ينقذ حياة ألوف من جرحى المعارك ، وهذا ما جعل الدكتور يونج يتساءل : لم لا ييسر مثل ذلك لجمهور الناس ؟ ها هى ذى معامل مشيجن توزع سنوياً أكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ جرعة من المصل والطعوم وغيرها من المركبات الحيوية على الأطباء بلا ثمن ، حرصاً على أرواح سكان الولاية ، فلم لا يوزع مصل الدم مجاناً ؟ ولكن من أين يستطيع الحصول على دم يكفى معمله ليستخلص منه السائل المنقذ للحياة ؟ .

لقد كان واثقاً من أن ثمة ينبوعاً هائلا ولكنه مهمل . إن الصليب الأحمر الأمريكى فى تموينه للمحاربين بالدم يحصل على كل النصيب المفروض على ولاية مشيجن من منطقة أربعين ميلا حول ديترويت ، فهل ترضى هيئة الصليب الأحمر المحلية أن تؤسس جماعة من المتطوعين يجودون بدمائهم لسد حاجات السكان فى مشيجن ؟ . .

وشجعه الصليب الأحمر المحلى أقوى تشجيع وأيدته جمعية الولاية الطبية ، ووقف مبلغ من المال لاستخلاص المصل من الدم فى معامل الولاية ، واستجاب سكان مشيجن فى أسرع من اللمح ، ووجدت كتائب الصليب الأحمر المحلية واهبى الدم ، وسجلتهم ، وأسست عيادات للفصد فى المدارس والكنائس ، وأمدتها بمتطوعين وممرضات ومطاعم للواهبين ، ووفرت السيارات لمن هم فى حاجة إليها .

وطفق أطباء عيادة الفصد وممرضاتها يطوفون الأقاليم واحداً بعد واحد ، وينظمون فى كل مكان طريقة الفصد جملة بحيث يفصد كل أربعة معاً ، وبحيث يهب ٢٥٠ شخصاً دماءهم فى الأسبوع . وفى مغرب كل يوم يرسل الدم المحفوظ فى الثلاجة بسرعة إلى معامل لانسنج عاصمة الولاية ، حيث يبدأ العمل الفنى ، فتختبر نماذج الدماء خشية الزهرى ، وتفصل كرات الدم الحمر ، ويرشح المصل ، للوثوق من خلوه من

الجراثيم الخطرة .

ومن ثم يعبأ المصل فى قوارير ، ويؤسس فى كل إقليم جاد بدمه مصرف للمصـل ، يساوى رصيده مقادير المصل الموهوبة من قبـله ، إلا عشرة فى المائة تدخرها إدارة الدفاع المدنى للطوارئ ، والباقى يختزن فى المستشفيات مهيأ للاستعمال فى الحال، ويصرف مجاناً لـكل المحتاجين إليه بأمر من أطبائهم .

وما إن بدئ فى تنفيذ هذه الخطة حتى لاقت نجاحاً أى نجاح ، واندفع الصـناع ، وهيئات المدنيين والعمال ، وسائر سكان الولاية من أغنياء وفقراء ، والأطباء أنفسهم ، اندفع هؤلاء وهؤلاء ينافس بعضهم بعضاً على الجـود بالدماء ، وسرعان ما عجزت معامل الولاية إلا عن تجهيز بعض الدم الموهوب .

وفى الخـريف المـاضى كانت عيـادات الفصد تنتج المصل بمعدل ١٢٫٠٠٠ وحدة سـنويا ، على حين يقـدر المطلوب لإنقـاذ الأرواح المشرفة فى ولاية مشيجن بخمسين ألف وحدة فى العام . وقد اقتضى تيسـير المصل للناس عامة بناء معمل آخر ، وزيادة الأجهزة والموظفين . ومن أجل ذلك لجأ قادة المشروع إلى المحافظ هارى ف . كيلى ، وقد أضاف عمله الضخم صفحة مجيـدة إلى تاريخ الصحة العامة .

وها هى الطريقة التى ينظر بها المحافظ كيلى إلى الحياة البشرية ، عندما يصبح من الضرورى أن تقـدر — كما هو الحال فى مصل الدم — بلغة المـال :

« إن ما تتطلبه الولاية من المصل يقدر بـ ٦٢٫٠٠٠ جنيه فى العام الأول ، وبحوالى ٥١٫٠٠٠ جنيه فى كل عام بعد ذلك . ويقدر الدكتور يونج أن منح مصل الدم مجـاناً سيعنى إنقـاذ ألف حيـاة فى كل سـنة على الأقل ، وسأدفع لـكل حياة ٦٢ جنيهاً لأنقذ الجميع » .

وقد وافق مدير ميزانية ولاية مشيجن على مشروع المصل بكل تفاصيله ، كما أقرته لجان من كلا المجلسين التشريعيين .

وقد نفذ اليوم مشروع منح مصل الدم لـكل محتاج إليـه فى ولاية مشيجن ، وفى نهـاية هذه السنة لن يقضى نحبـه والدة ولا وليد ولا عامل ولا سائق سيارة أصيب بأذى بليغ ، ولن يقضى الموت على رجـل ولا امرأة ولا طفل ، من أجـل أن مصل الدم فاحش الثمن أو غـير متيسر . إن كل ولاية ، بل كل أمـة ، فيها ذخيرة عظيمة من الدم السليم الجـارى فى العروق ، يسر الناس أن يجودوا به إذا تحققوا من نفع هذا المشروع فى ولاية مشيجن .

بطولة الكذب

هذه حكايات وقع عليها اختيار أوتيس هاليت رئيس نادى الكذابين المشهور فى برلنجتون ، من أعمال ويسكولسن ، على أنها أحسن أقاصيص (الفشر) التى قدمت فى مسابقات النادى السنوية.

من وشنطن : رضت أحد بغال الركوب أحسن رياضة حتى أصبح يطيع كل أوامرى أحسن طاعة . وحدث ذات يوم أن ركبته وذهبت أصطاد أرنباً بريا . ولكن يفلت الأرنب منى وثب من أعلى منحدر يبلغ عمقه ألف قدم ، فانطلق البغل فى إثره بلا تردد .

وأيقنت عندئذ أن حتفى قد حان ، ولكنى تذكرت كيف دربت بغلى أحسن تدريب ، فما كان منى إلا أن ظللت فى مكانى على السرج ، حتى أصبحنا على مسافة خمس أقدام من قعر الهوة ، وعندئذ صحت به : « ها ! » فما كان منه ، على عادته دائماً فى طاعتى ، إلا أنه ثبت مكانه فى الحال وترجلت عن ظهره سليما لم أصب بسوء !

***

من البرتا ، كندا : تنكر ثلاثة من وحدة حرسنا الوطنى، أثناء مناورات الصيف الماضى ، فى شكل أشجار ، وظلوا طول يومهم فى أحد الحقول يرجون مفاجأة « العدو » وأخذه على غرة . وقد بلغ من إتقانهم فن التنكر أن هاجم السوس أحدهم ، واكتشف الآخر أن أحد الناس نحت على ركبته قلبين متصلين وكتب تحتهما « توم يحب مارى » ، وقيل إن الثالث قد قطعه أحد الحطابين ، وهو الآن عمود تلفون فى طريق ألاسكا !!

***

من مسيسپى : أرض هذه الولاية أخصب أرض فى العالم . خذ بلدتنا مثلا ، فالأرض خصبة ، حتى أننا حين نلقى بحبات القمح للدجاج ، فإما أن يلتقطه وهو فى الهواء ، وإلا أكلته فى سنابله !

من بنسلفانيا : كان جدى يملك أقدم ساعة فى هذه البلاد . والحق أنها بلغت من القدم مبلغاً بعيداً حتى أن ظل البندول أبلى ظهر صندوقها فثقبه !

***

من تكساس : بينما كنت أصطاد فى أحد الأنهار رأيت بطة عائمة ، فوضعت خرطوشة وأطلقتها ، فغاصت البطة من فورها ونجت . وحاولت مرة أخرى ، فكانت العاقبة لا تختلف . وعندئذ أسندت البندقية إلى شجرة ، وجلست ، وحشوت غليونى أدرس الموقف . فلما أطلقت أول نفس من الدخان غاصت البطة الخبيثة مرة أخرى تحت الماء ، وظنت أن الدخان خارج من البندقية ، فغاصت لتتفادى الطلقة . فعولت على أن أخدعها ، وجلست ودخنت حشو غليونى ست مرات . وبذلك أغرقت البطة اللعينة !

***

من ويسكونسن : وجدت فى الشتاء الماضى عملا فى قطع الأخشاب ، فى يوم هبطت فيه درجة الحرارة إلى ثلاثين تحت الصفر . ولما وصلت إلى الغابة كان دمى قد تجمد من شدة الزمهرير ، ولكى أحس بالدفء أخذت أقطع الخشب بسرعة جعلت فأسى تحمى . ولا يكاد حدها يستقر . فاستعرت فأساً أخرى ، وفتحت ثغرة فى الجليد على مقربة منى وواصلت عملى أبرد فأسا فى الثغرة ، وأشتغل بالأخرى . فلما كان الظهر اضطررت إلى أن أترك عملى . لأن ماء الثغرة أصبح فى ذلك الوقت ساخناً لا يصلح لتبريد الفأس . ثم إن البقاء فى الغابة بعد ذلك لم يعد مأموناً . لأن شظايا الخشب التى تطايرت من فأسى بدأت تتساقط من السماء !

«قصة لقطة مباركة وما فعلت فى نفس شاب خجول»

ورقة بألف دولار

مانويل كومروف

ملخصة عن مجلة «كوزموبليتان»

فيرفيو مدينة صغيرة نظيفة حسنة التنسيق، غير أنها ظلت حتى الأسبوع الماضى مستغرقة فى سبات عميق. وقد هبت اليوم صاخبة بالنشاط لأن الشاب هنرى أرمسترونج عثر على ورقة مالية قيمتها ألف دولار.

كان هنرى سائراً فى طريقه إلى عمله حينما التقطها من الأرض، يقدم رجلا ويؤخر أخرى، لأن أعمال شركة فرنش وجونز للتأمين كانت فى كساد، فاستغنت فى الشهر الماضى عن عدة موظفين. وكان هنرى يشعر بأن منصبه فيها لم يكن منصباً يطمأن إليه كل الاطمئنان.

، ، ، ، ، ، ، ،

مانويل كومروف قصصى بارع دقيق فى وصفه وتحليله. وقد اكتسب شهرته ١٩٢٩ بروايته التاريخية «كورونيت» التى قرأها مليون قارىء. وهو أديب ذو مواهب متباينة. فقد كان ناقداً فنياً ومعقباً سينمائياً ومحرراً، ثم رئيساً للتحرير. واليوم، وهو فى الخمسين من عمره، يغذى المجلات الرئيسية بمقالاته.

وإننى لعلى يقين أنه عند ما يكتب سجل للأمراض الحديثة سيجد الناس بينها نوعاً من تآكل العقل الناشىء عن الحيرة، فالحيرة تحمل المرء على الخوف وعدم الثقة بنفسه وبغيره. هى حمض ينخر فى جوهر الإنسان ويجعله إنساناً آخر لا ينبغى أن يكون. وقد صنع ذلك بهنرى، فكان خجولا عزوفاً عن الناس يفزعه ظله.

أما الآن وفى جيبه الورقة المالية ذات الألف دولار، فهو يسير شامخ الأنف جرىء الخطوات. فلما وصل إلى المكتب تهادى فى أرجائه كأنه أصبح ملكا له. ولما وجد أن المدير لم يصل بعد صاح آمراً: «أخبروا مستر فرنش بأنى سأعود حالا، وأن لى كلمة معه».

ثم انطلق مسرعاً إلى صحيفة «فيرفيو كرونيكل» حيث كتب إعلاناً عن عثوره على الورقة المالية وقال فى ختامه: «وعلى صاحبها أن يتفضل بالاتصال بهنرى أرمسترونج». وكانت أجرة الإعلان

دولاراً و ٦٠ سنتاً . ولم يكن مع هنرى حتى هذا المبلغ الضئيل ، فأراد أن يؤجل الدفع . وكان على الموظف المختص أن يرجع إلى مستر يونج صاحب الصحيفة ورئيس تحريرها .

قال مستر يونج : « هل عثر على ورقة بألف دولار ؟ سأتحدث إليه » .

ثم ذهب إلى هنرى وقال له : « أصغ إلىّ أيها الشاب ، إذا ذكرت لنا تفاصيل الحادث فسأنشرها فى صفحة الأخبار ، فلا تكلف نفسك مشقة الإعلان . هل وجدت الورقة فى حافظة للنقود ؟ » .

قال هنرى : « كلا . ولم أعثر على شىء يهدى إلى حقيقة صاحبها . سأطلعك على الورقة المالية يا مستر فرنش » .

فقال له رئيس التحرير على الفور : « لا أريد أن أراها ، فلا سبيل إلى الاهتداء إليها إلا برقمها المسلسل . ونصيحتى لك ألا تعرضها على أحد ، لأن أى إنسان يستطيع أن يحفظ رقمها فى ذاكرته ، ثم يرسل إليك من يدعى أنه صاحبها . وأين عثرت عليها ؟ » .

« فى شارع مين . ولعلها طارت من سيارة عابرة » .

« وماذا ستصنع بهذه النقود إذا لم يطالب بها أحد ؟ » .

« سأتزوج الآنسة دوللى سامرز . لقد صبرنا زمناً ، ولكننا نستطيع الآن أن نشرع فى الزواج » .

قال مستر يونج : « إنها لقصة طريفة — وهل ولدت فى فيرفيو ؟ » .

« أجل ، ولكننى لا أريد أن أضيع عمرى هنا » .

« وما يسوءك من فيرفيو ؟ » .

« إنها مدينة الشيوخ ، ويدير شئونها مجلس من أصحاب الآراء العتيقة الذين يظنون أن كل ما يفعلونه هو عين الصواب . ولكننا نحن الشبان لنا تفكير آخر . ولن يبقى أحد منا هنا إذا استطعنا أن نهاجر إلى مكان يفسح المجال للأعمال النافعة » .

« وما ذا تعنى بالأعمال النافعة ؟ » .

« حسن . إن جريدة الكرونيكل نفسها لا تشجع الأعمال النافعة . فإذا قلت لك إنه ينبغى عليك أن لا تطلق سيارات صحيفتك فى الطرق دون أن تؤمن عليها ، لقلت إننى أحاول أن أخدعك لأعقد صفقة رابحة ، ولكنك مخطىء فى تركك هذه السيارات تجرى دون أن تؤمن عليها جميعاً » .

« ومن أين تعلم أن سياراتنا غير مؤمن عليها » .

« لأن مكتبنا — أعنى شركة فرنش وجونز للتأمين — عرضت عليك ذلك

مراراً ، وكان جوابك دائماً أنك تعلم كيف تصونها » .

فقال رئيس التحرير : « أتظن هـذا صحيحاً أيها الفتى » .

« كنت أعلم أن كلامى لن يرضيـك ، ولـكنك أنت الذى طلبت أن تسمعه » .

وما هو إلا أن ولى عنه وانصرف .

وخطر بباله أن يفاجىء دوللى بالخبر ، فانطلق إليها وروى لها القصة مسرعاً حتى إنها لم تستطع أن تدرك ماذا حدث، ولم تملك إلا أن صاحت فى دهشة : « ماذا ألمّ بك ؟ لم أرك فى مثل هذه الحال أبداً » .

« إنك لم تعلمى شيئاً بعـد يا حبيبتى ، فحين أعود إلى المكتب سأتحدث إلى مستر فرنش . لقد آن الأوان ليعلم حقيقة الأمر . وأنا ذاهب لأخبره » .

« هنرى ! ستفقد وظيفتك ! » .

« إن وظيفتى أتفه من أن تفقـد ، إلى اللقاء يا دوللى » .

ولما بلغ هـــنرى مكتبـه اندفع إلى غرفة المدير .

قال : « اسمع يا مستر فرنش لقد أتيت لأخبرك أنى لم أعد بعد أعمل فى خدمتك ، فقد عثرت هذا الصباح على ورقة مالية قيمتها ألف دولار ، وسأبحث عن عمـل آخر أفضل من عملى هذا . إننى لا أطيق أن أظل هنا على هذه الحال من الحيرة . وبودى أن أشرح لك ما يعانيـه أمثالى هنـا فى عملهم إذا كان يعنيك أن تعلم » .

فقال مستر فرنش: «تحدث يا أرمسترونج إنه ليروقنى أن أصغى إلى ما تنطق به ، ورقة فيها ألف دولار » .

« إننا هنا جميعاً نعيش ونحن نترقب ، أسبوعاً بعد أسبوع ، أينا الذى حل وقت فصله . وهـذا التوجس يورثنـا الخوف والحياء ، مما يضر بعملك ضرراً بالغاً . إن جميع موظفيك يعيشون بأعصاب متوترة ، وعملاؤنا يدركون ذلك ، وأنت نفسـك ثائر منزعج من هول الخسـارة ، ولـكنك مع ذلك لا تبالى أن تروج أعمالنـا ، وإن أعمالنا لتلاقى نجاحاً إذا شعر كل واحد هنا بالاطمئنان التام » .

«هذه هى قصتى يا مستر فرنش ، فاغفر لى صراحتى ، ولك الشكر على ما أسبغت علىّ من فضل ، وأرجو أن لا تحقد علىّ » .

فقال المدير: «فلتجلس يا هنرى لحظة» .

وعندئذ دق التليفون وكان رئيس تحرير «الكرونيكل» يسأل عن هنرى فقال له : « مســتر أرمسترونج ، أريد أن أذكرك فى المقالة التى أكتبها الآن بعنوان (فيرفيو مدينة الشيوخ) فهل لك أن تتناول معى الغداء ؟ » .

« نعم ولك الشكر سأقابلك فى الساعة ٣٠ : ١٢ » ثم قال رئيس التحرير شيئاً نأجابه هنرى بقوله : «أجل إن مستر فرنش يسره أن يبعث إليك بعقود التأمين » .

ثم وضع السماعة والتفت إلى مستر فرنش: « حين ذهبت لكتابة الإعلان عن الألف دولار التى وجدتها ، أطلعت مستر يونج على رأيى فى سياراتهم التى لم يؤمن عليها . وإنه ليسره أن ترسل إليه بعقود التأمين» .

« وهل لك أن تأخذها معك اليوم؟ » .

« ألا فلتعلم يا مستر فرنش انى لا أعمل لحسابك منذ اليوم ، ولكن يسرنى أن أفعل ما تريد » .

فقال له مستر فرنش : « إذا مضيت يا هنرى بهذه الثقة التى كشفت لى عنها هذا الصباح ، فسأتعاقد معك ثلاثة أعوام ، ولك جُعل كامل على كل صفقة تعقدها للشركة وسأمنحك علاوة قدرها ٢٥ دولاراً من الآن ، وعلاوة مثلها كل عام » .

أخذ هنرى يفكر لحظة ثم قال : « أشكرك يا مستر فرنش ، لقد قبلت » .

وفى اليوم التالى نشر فى الصفحة الأولى من صحيفة « الكرونيكل » قصة الألف دولار وفى وسطها إطار جاء فيه: «مايسوءنى فى مدينة فيرفيو ؟ نقد صريح يتطلب رداً انظر ص ٥ » .

وفى ذلك المساء عقد مجلس المدينة جلسة دعى إليها هنرى ليبسط آمال شبان مدينة فيرفيو ، ثم نشرت صحيفة الكرونيكل يوم الاثنين أقوال هنرى ومعها كلمة من المحرر تثنى على هذا الشاب ، وتزكيه ليعين عضواً فى مجلس المدينة .

وكان لهذه الدعاية أثر فى نجاح أعمال هنرى وشركة فرنش وجونز . وأقبل على هنرى بعض الأهالى الذين لم تقع عينه عليهم منذ سنة أو سنتين يطلبون مقابلته ، وأخذ نجاحه يطرد . وفى يوم الجمعة ، بعد مضى أسبوع على عثور هنرى على الورقة ذات الألف دولار ، حدث حين كان هنرى ودوللى يعدان قائمة بأثاث المنزل الذى وضعا تصميمه ليقضيا حياتهما فيه ، أن أخرج هنرى الورقة المالية من حافظته ، وقال : « أظن أننا سنضطر أن ننفق من هذه الورقة المباركة ، ولكن كان من الخير أن نحتفظ بها » ، وأخذ ينظر بإمعان لأول مرة فى الورقة المالية .

ثم صاح قائلا : « انظرى يا دوللى ! ههنا شىء غريب ! إن هذه الخيوط التى فى الورقة ليست حريرية ، إن هى إلا خطوط حمر مطبوعة » ، ثم أخرج ورقة قيمتها دولار ، وجعل يقابلها بدقة بالورقة ذات الألف دولار . لم يكن ثمة شك فى أن

الورقة التى عثر عليها هنرى كانت مزيفـة .

جلس هنرى ونظر إلى الورقة ثم ابتسم بعد هنيهة وقال: « لقد انطلت علينا الخدعة، يجب أن نمزق قائمة الأثاث الذى نعـده للمنزل . لقد كان من الخير لنا يا دوللى أننا لم نصرف الورقة وإلا أصبحنا أضحوكة المدينة » .

فقالت دوللى : « إننى مسرورة يا هنرى لأن الورقة مزيفة ، فلن يطالب بها أحد ، ويمكننـا أن نحفظها فى إطار لتكون لنـا خـيراً وبركة . صحيحة كانت أم مزيفـة ، ما الفرق ؟ إن هـذه القصاصة من الورق جعلتك تعتدّ بنفسك ، ومهدت لك السبيل إلى مستقبل حقيقى ، فقد حصلت على علاوة وقمت لشركتك بخدمات جليلة لم ينجز مثلها أحد فى أسبوع ، وربحت شهرة تزيد قيمتها على آلاف الدولارات ، وأصبح لك كرسى فى مجلس المدينـة — بل أنت أصغر عضو فى تاريخ مدينة فيرفيو . وفوق ذلك ، لقد أيقظت قصتك المدينة بأسرها . ألا ترى ؟ إن الورقة المالية قد حققت غايتها كما لو كانت صحيحة » .

فجلس هنرى صامتاً وهو يحدق فى أرض الغرفة ثم قال فى النهاية : « أنت على صواب يا دوللى . لنمض فى إعداد قائمـة الأثاث ، وعليك أن لا تنسى أن يكون فيها إطار لورقة الألف دولار ! » .

هرج

فى الصيف ، أرسل الكاتب بوب ديفس زوجَهُ إلى الريف ، وأقام هو فى نيويورك منقطعاً إلى عمله . وفى إحـدى الأمسيات القائظة عاد إلى داره ومعه رزمة من المخطوطات ، وعمد ، لثقته بأن أحداً لن يقطع عليه عزلته ، إلى نزع ملابسه جميعاً إلا خفّيْـه ، ووضع مصباحاً كهربائياً على مائدة الطعام ، يعلوهُ غطاء يمنع ضوءه عن كل مافى الغرفة إلا عن البقعة التى جلس بوب أمامها لينصرف إلى عمله . وكان بوب قد نسى أن هذا اليوم هو عيد ميلاده ، ولـكن زوجُهُ لم تنسَ ، فأعطت مفتاح الشـقة لفريق من أصدقائهما ، فأقبلوا يحملون الطعام المبرد والشمبانيا وتسللوا إلى الدار ، وإذا بوب ... !

[اليس وليمسون : الطريق المعتم]



أيها الرّواد!

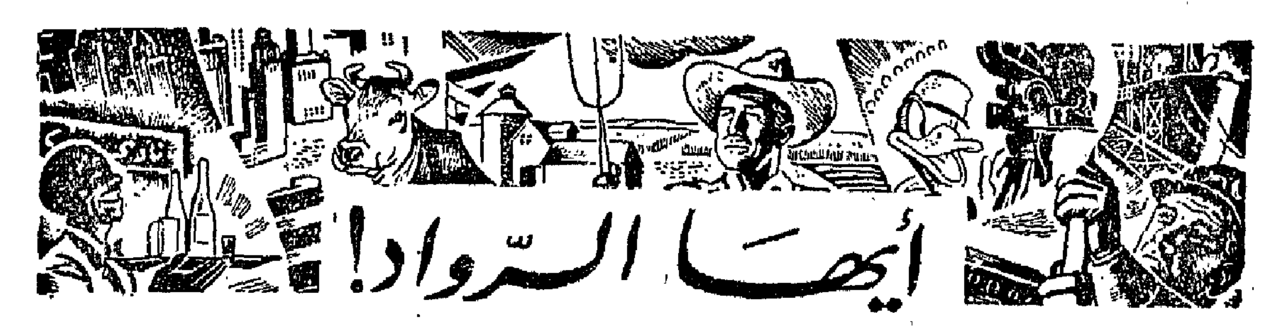
هيلارى سنت چورج سوندرز
ملخصة عن كتاب وشيك الظهور

اختير هيلارى سنت چورج سوندرز لكتابة ستة من كتب الحرب الرسمية لوزارة الأخبار البريطانية. وقد أصابت كتبه « معركة بريطانيا » و « قيادة القاذفات » و « العمليات المشتركة » رواجاً منقطع النظير فى إنجلترا .

وعلى أثر ذلك قام المؤلف بأول زيارة للولايات المتحدة ، فاطلع على ما فى أمريكا بإعجاب وحماسة ، وقد استطاع أن يحتفظ لنا بسحرما رأى لأول مرة.

فهذه أمريكا فى زمن الحرب كما يراها زائر إنجليزى، بما فيها من عواطف ودية، ومواطن ضعف إنسانى ، وجرأة إنشائية ، وقوة لا حد لها . وقد اقتبس عنوان كتابه من أبيات للشاعر والت ويتمان

كل الأيام الباهرة ، وجميع الليالى الغامضة ،
العامرة بالأحلام
أيها الرواد



أيها الروّاد!

كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلا حين هبطت على المعبر المظلم للسفينة ، وألفيت نفسى فى سقيفة كبيرة ليس فيها ضوء كاف . فأين أنوار نيويورك التى كنا نسمع بها ؟

وقلت للحمال الذى أخذ حقيبتى : « لقد كنت أحسب أن نيويورك ستكون أبهى وأضوأ » .

فقال بلهجة المزهو : «إنه إظلام» وأضاف إلى ذلك : «تدريب ليس إلا» وخيل إلىّ أن فى صوته ما ينى بالتفكير .

وليس للإظلام قيمة عندى بعد أربع سنوات من الحياة فى لندن ، ولكن صدرى انشرح لما أضيئت الأنوار ، وأقبل التاكسى .

وسألنى السائق : « إلىّ أين ؟ » وقبل أن أجيبه قال : « أنت انجليزى ؟ » .

فهززت رأسى أن نعم ، ولم أزد ، فقد كنت أنظر إلى الأنوار ، ووقعت عينى على بناء عظيم غير واضح المعالم يبلغ عشرة أضعاف أكبر ما رأيت فى أوربا .

وقال السائق : «أحسب أنك لا تريد أن تنفق أكثر مما يجب ، وسأمضى بك إلى فندق لا يتقاضونك فيه أكثر من خمسة ريالات . وأظنك تستطيع أن تدفع هذا القدر » .

قال هذا وهو يلقى نظرة على البذلة الحسنة الوحيدة التى عندى ، والتى ارتديتها إكراماً لأمريكا .

فوافقت ، ومضينا فى طريقنا ونحن نتحدث ، وكان يتخلل الحديث من جانبه وصف لحياته المنزلية ، وهى على ما يظهر رضية جدا ، وأسئلة عما أعمل لكسب رزقى ، ولما قلت له إنى كاتب طلب منى أحد مؤلفاتى ، فبعثت به إليه فى اليوم التالى .

وذكر لى أسماء الشوارع التى اجتزناها ، وسرعان ما تبينت أنه فخور بأنه ابن مدينة ليست بالضئيلة الشأن . وقد عرجنا على فندقين قبل أن يقتنع بأنه وجد الفندق الذى يحسن أن أنزل به . وقال « ستكون مرتاحاً هنا » فأنقدته أجره — وأبى أن يأخذ أكثر من حقه — وتصافحنا ثم

مضى . وكان هـذا أول صديق استفدته في أمريكا .

* * *

وما كدت أستيقظ في الصباح حتى تناولت التلفون وطلبت أن يبعثوا إلى بجريدة، فوصلوني بالموظف الموكل بالمهمات ، وهو موظف ذو شأن في جميع الفنادق الأمريكية ، صرت أثناء رحلاتي وأسفاري وثيق الصلة بطبقته من الناس . وهو « طير » زاهي الريش ، إلا أن ألوانه تتفاوت وتختلف جداً تبعاً للمناخ والعادات. وقد لقيت من هـذا الفريق من يرتدي ثياباً زرقاً مذهبة ، أو ذات ألوان قرمزية وخضراء، أو رمادية ذات خطوط مفضضة ، أو سوداء وحمراء . وهذا الموظف البراق الثياب تحت إمرته جيش من الفتيان ، غير أن أمريكا الآن قد دخلت في الحرب واحتاجت إلى كل فتى من أبنائها ، فصار هذا الجيش من الأطفال أو الشيوخ .

وظللت راقداً أنتظر الجريدة ، ثم دق الباب دقا شديداً ، ولبث هذا الدق يتوالى بعد فترات حتى ألهمت أن أنهض عن فراشي وأفتح الباب . والعادة في أمريكا أن لا يدخل عمال الفندق غرفتك ، بل عليك أنت أن تفتح لهم الباب . وقد فعلت ، فرأيت عاملا يناهز السبعين واقفاً وعلى يده الممدودة ما خيل إلى أنه « دليل تليفون » ضخم ، وما كان الذي معه إلا نسخة من جريدة « نيويورك هرالد تريبون » وفيها من الورق ما يكفي إحدى صحفنا اللندنية التي تباع ببني (نصف قرش) شهراً كاملا على الأقل بحجمها الحالي . وقد قرأت فقرات منها على فترات وأنا أرتدي ثيابي ، وسرعان ما تبينت أن من أمتع ما فيها ما يوافيها به الكتاب النقاد المعقبون .

ويؤدي هؤلاء النقاد — أو هكذا خيل إليّ — مع الذين يذيعون التعليقات بالراديو، إحدى الوظائف التي يؤديها أعضاء البرلمان في إنجلترا . وهـذه الوظيفة هي توجيه الأسئلة إلى الحكومة عن المسائل المهمة ، فليس في الكونجرس وقت معين للأسئلة ، لأنه ليس ثم وزراء مسئولون مباشرة أمامه . ومن هنا صار المعقبون والمعلقون يتولون توجيه الأسئلة إلى الحكومة، إما في الاجتماعات الصحفية الشهيرة التي يعقدها الرئيس ، وإما في الأعمدة التي يكتبونها في الصحف ، أو الكلمات التي يذيعونها بالراديو .

وهـذه المهمة التي يتولونها هي إحدى الأسباب الرئيسية التي تجعل من المستحيل على أيّ رجل عام في أمريكا أن يهمل

الصحافة أو يستهين بها ، فإن هؤلاء المعقبين والمعلقين — الذين ارتفعوا بالرغبة الطبيعية فى الاطلاع ، إلى مرتبة الفن — يسألون من شاءوا عما شاءوا ، ولا بد من أن تكون ملماً بموضوعك ليتسنى لك أن تجيبهم ، فإنهم محيطون بامور كثيرة « ليست للنشر » ، ومطلعون كأعضاء الوزارة على البواطن والخفايا ، والذين رأيتهم منهم جادّون مستقيمون جداً .

وللمعلقين فى الراديو عادة ثقيلة هى أن يلقوا عليك الأسئلة ارتجالا أمام جهاز الإذاعة ، فإذا أعجب المعلق أسلوبك فى الجواب أشرق وجهه ، ورفع يديه وبسط راحتيه وحركهما بسرعة من تحت إلى فوق ، أما إذا ترددت وكنت فاتراً أو كليلا ، فإن وجهه تغشيه سحابة من خيبة الأمل ويلقى عليك سؤالا آخر .

وثم نقطة أخرى لها محل وشأن . فقبل أن يبدأ هذا الامتحان يقول المذيع بصوته السريع ، للعالم المستمع إن هذا البرنامج إنما أتيح بفضل « كلوكس كاندى » أو « لولو المسهل اللطيف » ، أو غير ذلك مما يجرى هـذا المجرى . وما استطعت قط أن أعتاد هذه البرامج التى تتولاها وتكفلها الشركات ورجال الأعمال .



قضيت عدة أيام فى وشنطون . وهى مدينة غريبة أقيمت لسبب ما ، على أرض غمقة ، وقد سمعت من يصفها بأنها جميلة طويّة ، وهذا الوصف ليس إلا من الحسد ، فإن جمالها مجلوب ، فقد خططت وبنيت ، وقد كان وقعها فى نفسى أنها ذات سنى متجمد إلا أنه عظيم ، والأمريكيون يحبون السعة والرحابة ، فإذا لم يتح لهم ذلك ، كما هو الحال فى نيويورك ، فإنهم يستخدمون الهواء ويتوسعون عموديا ، أما إذا رحبت الأرض كما فى وشنطون ، وفى لوس أنجلس ، فإنهم ينتفعون بالسعة غير مبالين بالامتداد .

وجلست فى الكابيتول ساعة فى شرفة الأجانب أشهد مناقشة دائرة فى مجلس النواب ، فبدا لى أن ما يؤثر الأمريكيون من الحرية والبساطة لا يمكن أن يتجاوز هذا المدى ، فقد رأيت أعضاء الكونجرس الذين كانوا فى المجلس ، قاعدين على كراسى مريحة ، وقد عددت منهم سبعة يدخنون ويقرأون فى الصحف ، فكأنما كانوا فى غرفة التدخين بناديهم يسترون وجوههم بالصحف عن عضو ممل ، ينوب عنه ويمثله فى هذا المجلس العضو الذى كانت له الكلمة .

وكان الخطيب يتكلم باقتناع عظيم أمام الميكروفون ، وقدامه رجل عاكف على ورق أمامه يدون فيه ما يسمع ، وهناك عدة غلمان يعدون من مكان إلى مكان ومعهم رسائل ، وفى الجانب الآخر من المجلس ، بعيداً منى كانت كلير لوس — وهى من أعضاء الكونجرس — ترفع رأسها الجميل عن بعض الأوراق فى يدها ، ثم تتحدث إلى لفيف من زملائها . وكان الرئيس المستر سام ريبورن على منصته المشرفة على المجلس ، مرتدياً ثيابه العادية وفى يده مطرقة يعبث بها ، وكان الجو إذا قورن بجو مجلس العموم ، عجيباً فى خلوه من الطقوس والرسميات ، ولعل هذا كان مقصوداً .

إلى لوس أنجلس

وكانت هناك عاصفة وأنا أتخلع فى طريقى إلى شيكاجو ، وهى محطة فى الخط الجوى عبر القارة الأمريكية إلى لوس أنجلس ، وكنت أقصد إليها ، وقد أفاضت الفتاة الموكلة بالمسافرين فى الطائرة — فما أدرى كيف أسميها — من جمالها وفتنتها على الرحلة . ولما وجدت راكباً إنجليزيا قد أضمره الإعياء حتى لا يستطيع أن يأكل شيئاً من الطعام الشهى الذى وزعته على الأمريكيين الأشداء ، سقتنى عصير البرتقال والحديث الحلو ، وقد استطعت بما بقى لى من عقل أن أدرك أن هذا بعض ما تؤديه من الواجبات المنوطة بها ، وإن كان قد بلغ من حذقها وبراعتها فى أدائه أنه كان يخيل إلىّ أحياناً أن موقفها حيالى عسى أن يكون بفضل من الله أكثر من المعونة المألوفة والترويح العادى عن الركاب الذين يوشك أن يصيبهم دوار الجو . ثم وقعت عينى على خاتم الخطبة على أصبعها ، فحييتها فى سرى ، وأكبرت تمثيلها البارع المقنع .

وفى مطار شيكاجو أنزل الركاب المدنيون جميعاً ، فذهبوا إلى فندق ، على حساب شركة الطيران على ما يظهر — إلا أنا فقد كانت لى أولية وتقديم ، وقد جاهدت عبثاً أن أنزل عن حقى فى ذلك ، فقد كنت متعباً ، وكنت أتلهف على حمام أنعم بالاغتسال فيه ، وسرير أرقد عليه ، غير أن موظفى الخط الجوى كانوا غاية فى اللطف والرقة ، وغاية فى الصلابة . وصحيح أن الجو كان رديئاً ، ولكنه كانت هناك طائرة ذاهبة إلى مدينة « صولت ليك » وفيها مكان لى .

وكانت الصحراء ونحن نطير فوقها ، تبدو هائلة رائعة فى وحشتها ، وسكينتها ، وجمالها ، ولم يسبق لى قط أن أطير ساعات فوق أرض عراء خواء كهذه لا تعرف

الإنسان ولا تعبأ به شيئاً . فألقيت على هذه السمكة الفضية البراقة التى تمرق فى الجو بسرعة مئتى ميل فى الساعة ، نظرة احتقار رصين للجنس الإنسانى كله .

وكان للصحراء روعة مستكرهة فى نفسى ، ثم جاءت الأرض المعشاب فخففت من الدوار ، وكنت إلى ذلك الوقت قد قضيت أربع عشرة ساعة فى الجو ، مع فترات وقوف فى المحطات ، فتعبت ، واحتجت إلى كل ما لى من إرادة وقدرة على ضبط النفس ، والمعونة واللطف والابتسام من موظفة أخرى جميلة ، لأخرج من الرحلة بسلام . وقد بلغت لوس أنجلس وأنا أفهق قليلا ، ولكن « كل ما فى معدتى بقى فيها » كما قال رفيق مسافر .

ملائكة هوليوود

وفى لوس أنجلس وضاحيتها هوليوود لقيت من الحفاوة والإكرام « ما يليق بأمير » كما كانت عمتى نِل تقول . أما المدينة نفسها فلا أنيقة ولا حسنة النظام ، وكل ما فيها يبدو عليه أنه لم يتم ، وهناك عمائر برمتها خالية أو مخصصة لإعلانات عن « الكوكا كولا » أو « بيبسى كولا » وغير ذلك من السلع التى يظهر أنه لا غنى عنها للسعادة فى الحياة . وكانت وجوه الأطفال الصبيحة أو الفتيات الحسان ــ مكبرة خمسين مرة ــ تحدجنى بعيونها ونحن نجتاز الطريق خطفاً ، وفى أفواهها الموز تأكله ، أو فى أيديها علب السمك المحفوظ أو أنابيب لتنظيف الأسنان . وهذه الصور تمثل إيثار أهل المدينة للضخامة والجسامة فى كل شىء . وقد أخبرنى مدير الفندق أن الشارع الرئيسى فى هذه المدينة يبلغ من الطول ٤٨ ميلا ، وقد ألفيتنى ميالا إلى تصديقه بعد أن قطعت منه خمسة عشر ميلا ، وكان كل شىء يبدو لى على هذا النحو من العظم .

ولم يبلغ الجسم الإنسانى ــ للذكور والإناث ــ من الكمال والاستواء فى الخلق فى أى مكان مبلغه فى هوليوود ، إلا على الأرجح فى أثينا على أيام براكستليز . والجمال الناصع ، فى الشارة والقد شائع عادى كالمليون فى شهر مايو . والحسن من الكثرة حتى ليخيل إلى المرء أن « كل ثلاثة بقرش » . وجمال الأمريكيات هو إحدى المفاجآت السارة ــ وقد كدت أقول المسكرة ــ التى يلقاها الأوربى فى زيارته لأمريكا ، فمهما تكن سنهن أو طبقتهن فإنهن يحتفظن بمسحة من الجمال كأنه فيهن طباع ، وهو على أصفى صوره فى هوليوود . ولا عجب فإن له هناك لسوقا ؟

وفى هوليوود عدد من الممثلين الإنجليز والممثلات ، وهؤلاء يقومون بعمل نافع ويحاولون أن يقدموا للسينما صورة صحيحة من الحياة الإنجليزية ، غير أن هذه المساعى كثيراً ما يحبطها من يزعمون أنهم خبراء ، وينحلون أنفسهم هذه الصفة ، وهم نفر عجيبون تختارهم وتعينهم الشركات الكبيرة ، وكثير من هؤلاء الخبراء ذوو معرفة واسعة بالحياة الإنجليزية والمناظر الإنجليزية — إلى سنة ١٩٣٧ أو حوالى ذلك ، ولكنهم لم يزوروا إنجلترا بعد هذا التاريخ . ولهذا لا يزالون ماضين على سننهم يعرضون سيارات الرولزرويس والقصور القديمة بمن فيها من الخدم والحشم !

ولو كان هؤلاء الخبراء قد رأوا إنجلترا عن كثب فى الأعوام الأربعة الأخيرة ، لارتدت السيدة مينيفر مثلا ثياباً أخرى ، ولسارت فى حياتها على نسق مختلف ، ولما ظهر الفدائيون وهم يقومون بعملهم ليلا دون أن يدهنوا وجوههم بالسواد .

وسأظل أذكر كثيرين من الذين لقيتهم فى هوليوود ، وأولهم « ولت دزنى » الذى لا يسعنى إلا أن أطلق عليه ذلك الوصف العتيق المبتذل — أعنى العبقرية — وهو يفيض على صناعة السينما فتنة وسحراً ، ويخلق فنا قوامه الحركة واللون والصوت ، ليس لاحتمالاته آخر يعرف . ولست أرى ما يدعو إلى الشك فى أن ولت دزنى قد يستطيع فى عالم الصور المتحركة أن يبلغ ما بلغه شكسبير على المسرح ، فإن كلا الرجلين يستطيع ، حين يشاء ، أن ينقل الإنسان وروحه إلى عوالم مجهولة وأرض سحرية .

ويختلف عنه — وإن كانوا لا يقلون عنه اقتداراً — أولئك الذين يمثلون عالم السينما العادى ، وهم رجال عمل وأهل حصافة وحذق ، مطلبهم الثروة والشهرة ، وإن كنت لا أدرى لماذا يعد هذا الطموح من عيوبهم أو ذنوبهم ؟ فليس النجاح مما يعاب فى عالم المسرح . فلماذا إذن يحتقر السادة لويس ماير ، وسام جولدوين ، وبن جويتز ، وسيسيل دى ميل ، لأنهم أثروا فى السينما ؟ وإنهم لصريحون فى هذا الموضوع ، ولهم الحق ، قال لى بن جويتز : « إن آخر ما أفكر فيه هو المال » ولمعت عينه وهو يضيف إلى ذلك : « قبل أن أنام ! »

حتى فى أيام الحرب يرى الأمريكى أن الريال رمز للتقدم الشخصى ، لا وسيلة إلى غاية ، وهو لهذا سخى فى آرائه وفى سيرته ، ويعد ما يملك مظهراً محسوساً لرغده يراه ويشاركه فيه الجميع . وهو يحب منك أن تبدى إعجابك ببيته وأثاثه وفخامة ناديه ، وقد اشتهر دائماً بكرمه ، وعلى الرغم من ثقله

ضرائب الحرب ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، والخوف الحقيقي من هبوط قيمة العملة ، فإن مظاهر كرمه مما لم أر له مثيلا في أوربا . ولما كان يعيش على هذا النحو فإنه يتوقع من غيره حين يكونون في بلاده أن يحذوا حذوه — وهذه هي الصعوبة .

وقد تحدث معي بن جويتز في موضوع الأفلام حديثاً صريحاً منعشاً ، فقال إن من الممكن تربية الجمهور وتثقيفه ، ولكن من الخطل والقسوة أيضاً محاولة التعجيل بذلك والإسراع فيه بلا موجب . وقال عن إدخال عنصر الحب في قصة محبوكة الأطراف ، إن عنصر الحب ضروري لمن لها صديق ، أو له صديقة ، ولمن ليس له على السواء ، وكلا الفريقين يستمتع بذلك ، أما كلمة « الأفلاطوني » فإن كل ما ينبغي أن يكون لها من معنى ، هو اللهو للفتى وإنعاش النفس للفتاة .

وتجتاز صناعة الأفلام في هوليوود إحدى أزماتها العديدة الدورية ، فقد حملت عليها الصحافة بعنف لأنها في رأيها تعيش في عالم وحدها ، عالم من الخيال والأحلام والأوهام . إذ لماذا — مثلا — لا تخرج أفلاماً حربية جادة ؟ على أني أوثر أن تظل هوليوود ماضية في نهجها الحالي وهي فرحة مرحة ، فإن الترفيه عمن يقوم بعمل تقتضيه الحرب ، وعن الجندي المقاتل على الخصوص ، لازم لزوم الطعام والسلاح . وما عليك إلا أن تذهب إلى أية محطة بحرية منعزلة ، أو أي معسكر ، أو أي مركز للقوات الجوية ، حيث يعيش كثيرون من الشبان عيشة تقرب من الرهبانية ، وانظر أي ضرب من الأفلام يؤثر هؤلاء . إن القصص الفكاهية والهزلية هي التي يطلبونها ويحبونها ، وهم يبغون أن يروا وجوه حياة تكون أبعد ما يمكن عن حياتهم ، ولا سبيل إلى هذا الفرار الوقتي الضروري من بيئتهم وتناسيها قليلا إلى حين إلا بواسطة الأفلام .



غادرت لوس أنجلس عصر يوم مشمس من أيام مايو ، وقصدت إلى المطار مجتازاً طريقاً بديعاً يعد نموذجاً للطراز الأمريكي في تعبيد الطرق ، والأمريكيون يشبهون الرومانيين فيما يتعلق بالطرق ، فإنهم يستخدمون لتمهيدها أحسن المواد الميسورة ، ويتوخون في تخطيطها أن يمكنوا الناس من الانتقال من مكان إلى مكان في أوجز وقت . ولا بد من أن يرى المرء الطرق الأمريكية ليقدر ذلك قدره ، فإنها

لا تدور وتلف كما هو الحال فى كثير من طرق أوربا . وعلى مقربة من هوليوود مثلا ، يوجد واد ضيق هو أحد الشعاب الرئيسية فى سلسلة الجبال الساحلية ، وقد شق السابقون إلى استيطان هذه الرقعة طريقاً يتلوى ويتعرج فى الوادى ، فلما جاء عهد السيارة رفع بناة الطرق أرض الوادى عدة أقدام ، وعبدوا عليها طريقين للسيارات . ومن الأساليب الأمريكية المألوفة أن يأخذ القوم من القمم العالية ليملأوا الأودية .

وبلغت سان فرنسسكو عند دخول الظلام ، وبينما كانت الطائرة تدور لتهبط نظرت من النافذة فرأيت ما خيل إلىّ أول الأمر أنه سحابة كثيفة من الدخان تحجب جانباً كبيراً من المدينة ، أفترى شبت فيها مرة أخرى نار كالتى دمرتها وأتت عليها بعد الزلزلة فى سنة ١٩٠٦ ؟ ثم تبينت أن هذه السحابة الدخانية ليست إلا ضباباً يجىء من المحيط الهادى فيحجب رقعاً كبيرة من المدينة ، على حين يبقى سائرها مشمساً أو مقمراً . وهذه الظاهرة الطبيعية تكسب سان فرنسسكو منظر المسرح المهيأ . ويخيل إليك وأنت تنظر إلى المدينة من الجو أنها وشيكة الزوال ، أو أنها مزيج من الأحلام والخيال والسحر .

وتساءلت أترى هنا أحد يعمل عملا ؟

وتلقيت الجواب فى اليوم التالى ، فقد ألفيت نفسى قبل الغسق بساعة على منصة خشبية صغيرة ، وأمامى عدد كبير من الرجال والنساء فى ثياب العمل المثنية الملوثة ، ومن ورائهم هياكل ضخمة لسفن تبنى ، وكانت لا تزال على الاسناد ، ولكن مقامها هذا لن يطول . وكانت الساعة وقتئذ السابعة مساء ولكن هذه على ما يظهر كانت ساعة الغداء وستنتهى بانطلاق صفارة تجارية . وهؤلاء العمال هم النوبة الوسطى فى مصانع كيزر للسفن بأوكلاند بولاية كاليفورنيا .

واستولت الرهبة على نفسى وأنا أتكلم ، وخفت أن لا أستطيع أن أقول لهؤلاء العمال ماهم واقفون هناك ليتعلموه فى ساعتهم القصيرة — كيف تدور الحرب ؟ وما هى الوسائل الكفيلة بإحراز النصر ؟

وسواء أوفقت أم لم أوفق ، فإن الذى أريد بيانه هو أنهم كانوا صامتين وعلى وجوههم أمارات الجد والاهتمام والعزم الصادق . فليت هتلر يراهم ، أو الأميرال دوينتز ... ولم يحدثوا صوتاً ، ولما فرغت تنهدوا ، ثم انطلقت الصفارة تدعوهم إلى العمل كرة أخرى .

الأمريكيون يعالجون بناء السفن فى يسر وبغير ضجة ، وهو عندهم ليس ثمرة تقاليد طويلة تلقاها جيل عن جيل من مهرة

البنائين وحذاقهم ، وإنما هو وسيلة مهمة إلى النصر . وقد استعانوا فيها بالعقول التى أنتجت السيارات بالجملة ، ولما كان اللحام أسرع من البرشمة فإن اللحام أولى بالاتباع فى البناء ، وإذا كان أى جزء من السفينة — مثل غرف الربان والضباط — أكبر من أن يضم بسهولة إلى هيكل السفينة ، فإن هذا الجزء يقسم بمشعل الإسيتيلين إلى أجزاء أصغر ثم يعاد تركيبه على ظهر السفينة ، ومعظم السفينة يبنى مقلوباً ليكون العمل أسهل وأسرع . ولما كانت التصميمات المرسومة على الورق الأزرق لا يفهمها إلا الأقلون ، فإنهم يتخذون نماذج مجسدة للسفن إذا نظر إليها العامل عرف الجزء الذى هو موكل به وأدرك شكله وشأنه ومكانه من السفينة ووظيفته فيها .

ولا ينقطع العمل أو يتوقف فى دور الصنعة ، والعمال يتخذون مساكنهم على مقربة من هذه الدور ليجرى العمل مجراه بلا عائق ، ومن أجل هذا بنى « كيزر » مدينة بقرب دور الصنعة — مدينة كبيرة بيوتها من خشب وشوارعها واسعة نظيفة يلعب فيها الأطفال وتغرس صغار الأشجار ، ولم يصده عن ذلك أو يعقه أن الأرض المجاورة لدور الصنعة كانت غميمة ، وكان يشرف عليها تل مجدب . وأقول « كان » فقد عملت فيه المجارف الآلية ونقل ترابه وردمت به الأرض السبخة ، فارتفع السطح العام للأرض مقدار قامة رجل .

وقد حادثت كثيرين فى سان فرنسسكو — عمال سفن ، وبحارة ، وجنوداً وصحفيين ورجال أعمال وغيرهم ، ووجدتهم على العموم يلهجون بالاعتذار والأسف ، ذلك أن بعدهم عن الحرب فى أوربا وعدم معاناتهم متاعبها الثانوية مثل الإظلام والجراية الدقيقة ، ومراقبة الحرائق وما إلى ذلك — هذا كله أورثهم شعوراً ثقيل الوطأة على النفس ، واعتقاداً مخلصاً بأنهم لا يبذلون جهداً كافياً لكسب النصر ، لا لشىء سوى أنهم لا يقاسون ما يقاسى غيرهم فى أوربا . وقد لفتنى هـذا الشعور خاصة بين أهل سان فرنسسكو والأقاليم الغربيـة على العموم — خجلهم من أن حياتهم رضية منتظمة والراحة فيها متوفرة ، وإدراكهم أن الطريق إلى اليابان يمر بألمانيا . وهذا موقف مشجع جداً للإنجليزى الذى كان يتوقع العكس .

وهـــذه اللهفة على مشاطرتنا متاعب الحرب راجعة إلى ذلك العنصر القوى الصافى فى معـدن الشخصية الأمريكية التى جعلت من الأمريكيين أعظم الرواد فى العالم ، وهذا العنصر أقوى من كل المؤثرات السيئة التى

تهاجمه كل يوم . وعلى رأسها وفى مقدمتها صحافة هرست وهى ذات قوة عظيمة فى تلك البلاد المشمسة . ولا يزال هذا الشيخ الهرم الذى يقيم فى واد عال من أودية كاليفورنيا يصل إليه المرء بخط حديدى خاص ، ينفخ فى بوق العزلة بقوة لا يكاد يوهنها ما يحمل من عبء السنين .

وقد تغير نسق النغمات ولكن اللحن بقى كما كان على الجملة فى الحرب الماضية ، وفى أثناء مؤتمر الصلح ، وفى زمن عصبة الأمم التى كانت حياتها قصيرة شقية . والنغمة الرئيسية هى أمريكا أولا وآخراً وفى كل وقت ، والعودات الجديدة التى تتوالى عليه الآن هى أن الخطة فى الحرب الحالية خطأ فى خطأ ، وأن الأمريكيين يضيعون وقتهم سدى فى أوربا ، وأن الواجب عليهم هو أن يحصروا همهم فى القضاء العاجل على اليابان .

ومتى تم ذلك فإن على أمريكا أن تتراجع إلى ما وراء أبوابها ، وتنظر من حصونها التى صارت ممتنعة بسحق العدو الوحيد الذى يعنيها ، إلى بقية العالم الذى لا يزال يخبط فى الحمأة التى أوجدها . أما ماذا يخول المستر هرست الحق فى مناقشة خطة هذه الحرب ، فلا يزال يحتاج إلى بيان ، ولكن صوته من العلو والقوة بحيث يكون من الحماقة تجاهله . على أن المستر هرست ليس من نزاهة الغاية بالقدر الذى يكفى لإقناع المواطنين الذين يقفون لحظة ليفكروا ، والذين يجدون عوناً كبيراً على هذا التفكير من المعلقين فى الراديو بسان فرنسسكو ولوس أنجلس . وهؤلاء يقومون بمهمة نافعة لأنهم منصفون ومطلعون ، ولا تفتر لهم همة . وللراديو فى حياة الأمريكيين أكثر مما له فى حياتنا من الأثر ، فإن هذه الشباك العظيمة الحادة التنافس ، لا يقتصر عملها على الترفيه والتسلية ، بل يتجاوز ذلك إلى التعليم والتثقيف . وفى هذا الميدان يستطيع المعلق فى الراديو أن ينافس الصحفى بنجاح فى توجيه الرأى العام وصوغه .



وبارحت سان فرنسسكو كما دخلتها ، فى أول الليل . ونظرت ، والطائرة تصعد فى الجو ، إلى آلاف الأنوار اللامعة ، ومن ورائها إلى وهج بعيد خافت كان قبل نصف ساعة ساطعاً يغمر البوابة الذهبية . وبعد أربع عشرة ساعة كنت فى شيكاجو ، وسناها العظيم الصاخب .

وكان التوقيت يقضى بأن تصل الطائرة إلى شيكاجو فى الساعة ٣ والدقيقة ٤٤ بعد الظهر . ففى هذ الوقت تماماً — لا فى

الدقيقة ٤٣ أو ٤٥ — وقفت الطائرة أمام مبانى الإدارة فى المطار ، وقد قطعت بها الليل وبعض الصباح التالى ، وهبطنا فى مواضع شتى فى الطريق ، ومن بينها دِنفر حيث كان الفجر مسفراً يغمر نوره أرض المطار العظيم ، فأحسست بالسعة إحساساً زاده وقواه الهواء الصافى المنعش ، وخيل إلى أنى واقف على سطح ناطحة سحاب هائلة ، وأن قمم الجبال الصخرية البعيدة المتوجة بالثلج هى شرفاتها .

ولم يخامرنى مثل هذا الشعور فى شيكاجو حيث كان الهواء المرطوب يحف بالبنى الشامخة ، وركد حول المساكن القذرة الفظيعة وراءها ، ثم هبت الرياح من جانب البحيرة فنظفت الجو ولطفته مرة أخرى ساعة أو نحوها . وجو شيكاجو جهم كالح — فى الصيف على الأقل ، وقد أيد ذلك ما كنت قد ذهبت إليه من رأى ، وهو أن الأمريكيين فى الصيف يعيشون معظم الوقت فى جو استوائى ، وهم لا يدرون ، أو هم يؤثرون أن يتجاهلوه .

والأمريكى يتلقى الحرب بالبشر ، أما الأوربى فيتعذب ، فإذا أردت أن تشعر بشىء من الراحة فإن عليك أن تغير قميصك ثلاث مرات أو أربعاً فى اليوم ، وليس هذا بالهين لمن كان مثلى يطوف فى أمريكا وليس فى حقيبته ما يزن أكثر من أربعين رطلا . وأخلق بهذه الثياب فى حر الصيف وعرقه أن يصبح غسلها مشكلة كالكابوس . فالذين يشتغلون بغسل الثياب كانوا أعظم الجميع إقبالا على الالتحاق بالجيش .

ولقد لقيت فى شيكاجو كثيراً من الرجال والنساء لا يريدون أن يواجهوا ما يحتمل من أن تنزل بالجيش الأمريكى خسائر عظيمة قبل أن يتسنى كسب الحرب . ولعل من الأسباب التى تجعل أهل شيكاجو لا يبدون كأنهم لا يحسون بدواعى العجلة فى هذه الحرب ، أنهم على مسافة كبيرة منها ، ولابد من مجهود عظيم للخيال ليستطيع المرء أن يتصور المنطقة المخربة حول كنيسة القديس بولس فى لندن أو المساكن المدمرة فى بليموث ، إذا كان لا يرى بعينيه إلا جلال واجهة شيكاجو المشرفة على البحيرة .

وشيكاجو أكثر تناقض من أى مدينة أخرى زرتها ، ففيها شوارع رحيبة ، وعمائر شامخة من المكاتب على شاطىء البحيرة لا تمتد إلى الداخل إلا مسافة قصيرة ، ثم تجىء أميال مربعة من المساكن الزرية ، وهى كأسوأ ما يرى فى حى إيست إند بلندن ، أو حى ڤيليت بباريس ، أو منطقة موابيت ببرلين . فلا عجب إذا كانت ضاحية سيسرو بشيكاجو قد « أنجبت » كل هؤلاء

الأشرار الذين يعملون فى العصابات . وإنى لآنس من نفسى استعداداً لارتكاب جريمة كبيرة لأخرج من هذه البيئة .

ويبدو رونق العمارة فى شيكاجو وتعاستها أيضاً فى روح الأهالى ومزاجهم ، فما سمعت فى مكان آخر مثل هـذا الثناء المسرف على الرئيس روزفلت ، أو مثل هـذا الذم له والطعن عليه . ولم أر شبيهاً بهذا الاهتمام بالحرب والجدل حولها ، ولا لتجاهلها وإهمالها كأنها غير دائرة الأرحاء . ولم أر فى مدينـة غيرها أعظم من هـذا الإكبار لإنجلترا أوأشد من الاحتقار لها والزراية بها.

ولقيت فى مأدبة عشاء كثيرين من محررى جريدة « شيكاجو تريبون » — وهى جريدة الكولونيل ماك كورميك — غير أن الكولونيل الشهم لم يحضر المأدبة . وقد كنت أحب أن أقابل الرجل الذى اقترح أن تبتغى إنجلترا الوسيلة إلى الأمن والحكم الصالح بأن تتخلى عن ملكها وتصبح الولاية التاسعة والأربعين من « الاتحاد الأمريكى » .

وفى خلال المأدبة تحدث مساعدو الكولونيل بحرية وطلاقة فى كل شأن غير ذى شأن . وقد اتقينا الموضوعات التى تثير الجدل والخلاف ، وكنا ظرفاء مهذبين ، بل كنا نفيض مودة . ولم يحدث سوى مرة واحدة أن لمح أحـدهم إلى ما يدور فى نفوسهم ، وذلك حين عرض ذكر مطعم يمكن الحصول فيه على طعام ألمانى فقال أحدهم : « لو ذقته لأحببته ، لو كنت تستطيع أن تطيق شيئا له صلة بألمانيا » . ولم تكن للألفاظ ذاتها قيمة ، ولكن اللهجة التى قيلت بها كانت ذات معنى ، فكأنه قال : « أيها الأوربيون السخفاء ، لماذا تحاربون بلاداً متمدينة رائعة مثل ألمانيا ؟ »

وقضيت فى شيكاجو صباحاً فى زيارة مصنع كبير لتعبئة اللحوم وحفظها ، فرأيت ما يكفى لإدراك مبلغ ما نحن مدينـون به لأمريكا فيما يتعلق باللحوم المحفوظة التى هى جزء كبير من طعام القوات المسلحة ، والتى تساعد على زيادة جراية المدنيين . ويا له من منظر دموى عميق الوقع فى النفس ! فقـد رأيت خنازير مشدودة إلى عجلة تنتقل منها إلى حزام تحويل ، فتتـدلى ورءوسها إلى أسفل ، وهى تصرخ ، ثم تطعن فى حلوقها وتموت ، كما يموت كل ما يؤكل لحمـه ، فى نهر من الدم يجرى إلى خزانات حيث تستخدم كل قطرة من الدم للإخصاب . وبعـد أن تموت الخنازير تدخل فى مكان صغـير مصخود حيث تغمس فى حوض من الراتينج المغلى ، ثم تخرج وعليها طبقة سوداء تكسو سطحها كله ، وهى طبقة تجف بسرعة

فينزعها رجال يلبسون قفازات من الجلد ، فينزع معها الشعر ، وتبــدو الخنازير عارية شاحبة مهيأة للتقطيع الذى يجرى فى حجرة مجاورة. ولن أنسى بسهولة منظر هذه الأجسام السود التى تحولها إلى بياض الجثــة أيدى عمال مهرة بسامين لا يحفلون ما يصنعون .

وكأن الذى وقع من نفسى على وجه الخصوص هو هذا البشر فى كل ناحيــة . وكان كل واحد منا ، المدير فنازلا ، يعرف كل واحد آخر ، ويعرف اسمــه الأول ، وكان عدد كبير من العمال ــ حتى فى الأقسام الدموية ــ من النساء ، وكن ذوات عزم وحزم وراضيات على ما بدا لى عن حظهن ووجهن إلىّ أسئلة عن الحرب ــ معظمها يدور على الطعام . هل طعام العمال الإنجليز طيب أو ردىء ؟ وهل صحيح أنه ليس فى إنجلترا طعام يسمح بأكثر من وجبة واحدة فى اليوم ؟ ولما أخبرتهن أن الأمر على النقيض وأن ثمانين فى المئة من السكان أعربوا حديثاً عن استعدادهم لتقبل نظام الجراية بعد الحرب ، حتى يطعم المتضورون من أهل أوربا ــ لما قلت لهن ذلك تأثرن وتعجبن وقلن : « سنزودكم ونزودهم أيضاً بما تحتاجون إليه جميعاً » وما أشك فى أنهن يعنين ما يقلن .

ولم أر شيئاً يذكر من صناعات الحرب فى شيكاجو ، فإن هذه يطوف بها صديق لى هو الكولونل ماك ألبين الذى قاد الوحدة السادســة من الفــدائيين البريطانيين والأمريكيين معاً فى شمال أفريقية . وهو رجل مديد القامة له سمت ، يرتدى الزى الأسكتلندى ويجيد الخطابة . ولست أعرف من أمر الفــدائيين إلا ما يحكى عنهم ، أما هو فمنهم وقد قادهم فى الميــدان . وقد زار أحد مصانع الصلب وكان العمال ، وعدتهم إثنا عشر ألفاً ، قد أضربوا قبل حضورى بساعة . ولم يكن يعــلم ذلك حين وقف يخطب جمهوراً كبيراً منهم ، ولــكن ما كاد ينتهى من خطبتــه التى وصف فيها عمل الفدائيين فى الجزائر وبون ، حتى هتفوا له وعادوا إلى العمل جميعاً . ولم استغرب هذا حين سمعته ، فقــد كان الذى تبينته فى كل مكان ذهبت إليــه هو أن العامل الأمريكى إنما يحتاج أن يعرف على أى وجه تستخدم الأسلحة التى يصنعها ، وما ذا يصنع بها الجنود فى سبيله ، ليضاعف جهوده .

وسهرت ليلة بديعة فى شيكاجو مع اثنين من زعمــاء العمال ، فى مقتبل العمر ، وقد تقابلنا فى منتصف الساعة التاسعة ، فائتلفنا ونادى بعضنا بعضاً باسمــه الأول قبل أن تنتصف الساعة العاشرة ، وافترقنا أخــيراً والفجر يطلع ويسفر على المدينة الغائمة الرائعة.

وهما شابان إلا أن كلا منهما قد جاهد عشر سنين فى سبيل اتحادات العمال فى أمريكا ، وعملا فى مصنع بعد مصنع ليبثا فى نفوس زملائهما العمال روح الاتحاد والإيمان بفائدته وحريته ، وما أكثر ما أوسعهما زملاؤهما العمال ، أو وكلاء أصحاب الأعمال ، ضرباً ، وما أكثر ما جاعا وتناهى بهما سوء الحال .

ولم أر قط من قبل مثلهما رجلين لم يهن عزمهما عثرات الحظ وضربات القدر ، فقد كانا فرديين وعلى جانب عظيم من الصلابة وشدة المراس وقوة القلب ، وكانت القضية التى يجاهدان فى سبيلها مقدسة فى نظرهما . وعسى أن يكون هذا العنصر — عنصر الفردية القوى الذى هو من خصائص الشخصية الأمريكية — هو الذى يجعل النمو الرشيد لاتحادات العمال صعباً . فإن كثيرين جدا من الأمريكيين الذين لقيتهم كانوا كأنما يعملون بالمبدأ القائل « كل رجل لنفسه » ويعدونه غير قابل للجدل أو النقض ، ويرون أنه عمود الحياة الأمريكية ، وأن نقضه مؤداه الفناء .

وقد تطوع هذان الزعيمان ليريانى المدنية كما ينبغى وينتظر أن يراها رجل من القوات المسلحة فى إجازة اثنتى عشرة ساعة . وما لبثنا أن ذهبنا نقطع بالسيارة شارعاً رئيسيا تسطع فيه الأنوار من أوله إلى آخره ، وكانت أنوار « نيون » الحمراء والصفراء تستطير عند زاوية كل عمارة ، ونوافذ الدكاكين شعلة من النور ، وما رأيت من قبل حتى ولا فى زمن السلم فى بيكاديللى أو باريس — مدينة النور — ما يشبه هذا الضياء أو يقاربه .

ثم وقفت أمام مسرح هزلى علقت على جدرانه صور ملونة للفنانات ، وهن فيما يبدو للعين وسمات ومطواعات أيضاً ، فلما دخلنا وجدنا المكان غاصّا بالرجال وأكثرهم فى الزى العسكرى .

واشتريت من بائعة السجاير علبة من سجاير شسترفيلد ، ففضحتنى لهجتى الإنجليزية ، فأقبلت تسألنى باهتمام عن الحياة الليلية فى لندن أثناء الحرب ، فوصفت لها لحظة كنت أجتاز فيها بيكاديللى فى ظلام دامس تشقه وتثخن فيه سيوف من ومضات القنابل المنطلقة ، فسمعت انفجار القنبلة التى قتلت كثيراً ممن كانوا يرقصون فى مقهى بشارع كوفنترى . ففهقت ولكنها لم تقل شيئاً ، وبعد هنيهة ضغطت كفى ومضت عنى تبيع السجائر .

وتلفت حولى فسمعت نوتيا ورائى يقول إن الآنسة فلانة — تلك الراقصة اللبقة الرشيقة من بنات سنسناتى — يوشك أن تظهر . وانطلقت جوقة الموسيقى تعزف لحناً

عالياً ظلت تعيده بعد فترات كلما آن أن تظهر فنانة على المسرح .

وبعد حوالى ثلاثين أو أربعين دقيقة قال رفيقاى إنى رأيت بعض ما تستطيع الفنانات البيض أن يصنعن ، فيحسن أن نرى السوداوات . فركبنا إلى مقهى ساطع الأنوار صافحت آذاننا لما اقتربنا منه موسيقى الرقص ، وجلسنا إلى مائدة على مقربة من فرقة موسيقية حزينة الأصوات صاخبتها مؤلفة من ٣٥ عازفاً ، وكان تسعة أعشار الحضور من السود ، وتسعة أعشار هؤلاء يرقصون . ولا يستطيع من لم ير هذا الرقص يؤديه الزنوج تحت تأثير موسيقاهم أن يتصور كيف يكون — ولعل أقرب ما يشبهه رقصات القبائل فى « الساحل الذهبى » أو « الكونغو » . وكانت وجوه الراقصين تلمع ، وقد ارتسمت فى عيونهم وعلى أفواههم ابتسامة ثابتة كأنها بعض ما يقتضيه الرقص ، وكان المنظر كله عبارة عن حركة سريعة مرنحة ، فى مكان مزدحم حار ، على أنغام موجات من الأصوات تعلو وتهبط ولا تخفت أو تنقطع أبداً .

ولم يكن هناك رئيس للفرقة ولكن الإيقاع كان مضبوطاً إلى حد لا أعرف له مثيلا ، وكان أحد الضاربين بالصنج أو الزامرين ، ربما وثب إلى قدميه ، وعيناه تدوران ، وذهب يطرّب بكلمات من وحى الساعة وفيض الخاطر ، وكان صوته ربما علا كالصراخ فوق جملة الأصوات المنتظمة . وكان يخيل إلىّ أحياناً أن كل واحد يعزف على هواه ، ولكن الجملة كانت مزيجاً من أنغام مفردة تؤلف فيما بينها لحناً متناسقاً .

وبدا لى أن لهذه الموسيقى فعل السحر فى نفوس سامعيها جميعاً . وإنى لا أعرف من ذات نفسى أنى ، على بدانتى وكهولتى ، لو بقيت أستمع إليها لحظة أخرى — لحظة قصيرة جداً — لنهضت وجذبت واحدة من هؤلاء الفتيات ، وحاولت أن أرقص هذه الرقصة المعقدة ، ولكن ردنى إلى عالم الحقيقة صوت شاب طيار يجلس مع فتاته إلى منضدة مجاورة ، وكانت عيناه ، وعيناها ، تومض جداً ، وكان هو يقول : « زمّى شفتيك يا حلوة ، فإنى آتٍ إليك على شعاع من النور — والنار » ثم قبلها قبلة حارة !



وزرت ذات مساء مصانع هنرى فورد القائمة على ١٣٠٠ فدان فى « ويلو رن » . وتبعد « ويلو رن » أربعة آلاف ميل على الأقل من أقرب قاعدة جوية ألمانية ، فلا حاجة إلى نظام الإظلام . وهذا التحرر من

مثل هذا القيد المعطل للإنتاج هو أحد الأسباب التي يسرت للمصانع الأمريكية أن تنتج كثيراً في وقت وجيز . والعمل في ويلو رن يجري تحت الأنوار الساطعة بالليل كما يجري بانتظام واطراد بالنهار ، فلا ريث ولا عجل ولا تردد .

وقدموا لي سيارة كهربائية أطوف بها مكان «التجميع» ، ولكنهم قالوا لي إن اطلاعي على العمل يكون أوسع وأشمل إذا مشيت ، فنزلت على رأيهم . ولن أحاول وصف الأثر الذي تركته الزيارة في نفسي عندما انتهت . ولقد قلت وأنا أنظر إلى القاذفات الضخمة وهي تخرج واحدة في إثر واحدة إلى المطار : « أترى هذا الصف سيمتد إلى يوم الساعة ؟ » فقال عامل يتكلم بنبرة تشيكية واضحة : « نعم ، إلى ساعة هتلر ! » .

ولا يسعني إلا أن أعتقد — بعد الذي شاهدته في ويلو رن — أن ساعة هتلر لن تتأخر كثيرا . وظل هذا هو رأيي وأنا أطوف بالمصانع الأخرى في ديترويت حيث تصنع سيارات جيب والدبابات والمحركات . وقد رأيت هنا قدرة الأمريكيين على معالجة المسائل المعقدة المرتبطة بتنظيم المصانع وتدريب العمال غير الحاذقين ، فقد رأيت النساء ، ومعظمهن فتيات ، يقمن بغاية المهارة والاطمئنان « بتجميع » أعقد محركات الطائرات ، وما مضى على أكثرهن في هذا العمل أكثر من ستة أشهر . ومع ذلك جاز إنتاجهن اليومي أدق الاختبارات ، بغير خطأ ، أو بغير خطأ ذي قيمة .

وقد تحولت صناعة السيارات إلى خدمة الحرب ، وتم هذا التحويل على ما أعتقد بعد كلام طويل وضجة كبيرة ولكن هذه هي الطريقة الأمريكية ، وهي تزيد الكفاءة في العمل ولا تنقص منها . وقد احتجت إلى وقت حتى أدرك هذا ، ولكني أقتنعت به بعد إتمام طوافي ، فإن الأمريكيين لا يحجبون نورهم تحت المكيال كما يقول المثل ، فإذا اعتقدوا أنهم قاموا بعمل حسن ، قالوا ذلك ، ويسمع أندادهم قولهم فإذا وافقوا عليه صفقوا . فليس ثم تواضع كاذب ولا شيء من ذلك الحياء الذي لا يزال يوجد في إنجلترا الحديثة .



ولما كنت في طريقي إلى شيكاجو من سان فرنسسكو ، طرت طول الصباح فوق سهل شاسع كله حقول مزروعة . فهاهنا تحتي توجد المنطقة الزراعية الأمريكية الهائلة — ميل بعد ميل من الخصب المنظم — وفيها فلاح الغرب الأوسط الذي

سمعت فى لندن ونيويورك الكثير عن عزلته وضيق نظرته وأنانيته .

واشتهيت أن أرى عن كثب هذا الشخص الذى يكاد يكون خرافيا ، فهل يكون معقود اللسان أو جافياً ، أو يكون شراً من ذلك — متكلفاً اللطف والبشر ؟ لذلك كان من دواعى اغتباطى أنى قضيت الصباح فى مزرعة قرب « دى موين » ، وكانت الحقول الواسعة على كل جانب من جوانب البيت الخشبي النظيف المرتب ، تمتد وتترامى — وهى أكبر من الحقول الإنجليزية — وفى بعضها محصول وافر من البرسيم ، وفى البعض الآخر نبات البسلى .

وكان المسترموريس وزوجته فى السبعين من عمرها . وهما ، بمعاونة ابنهما الذى يناهز الثلاثين ، يقومان بأمر هذه المزرعة التى تبلغ مساحتها ٢٤٠ فداناً ، وليس ثم غيرهؤلاء فقد ذهب الآخرون إلى الحرب .

ولقد لبثت ثلاث ساعات أستمع للوالد والولد وهما يتحدثان . وكثير مما قالاه عن الخصب والإنتاج فى هذه الأرض التى يباهى أهلها بأنها جديدة ، سمعته من المستأجرين فى قريتى بإقليم سسكس ، ويرجع عهد آبائهم باستئجار هذه الأرض إلى القرن الخامس عشر ، فإن فلاحة الأرض وتربية الماشية أقدم بما لا يحصى من السنين ، من بناء السفن وصناعة الطائرات .

واستمعت باهتمام خاص إلى مناقشة بينهما فى طريقة جديدة للحرث . فاما الإبن فنال درجة فى الزراعة من جامعة ولاية « أيووا » فهو يعرف هذا الأمر حق معرفته ، وأما الأب فقد زاول الزراعة — على حد قوله — «جيلين» . وكانت الزوجة الهرمة الكريمة كما يقولون فى أمريكا « ذات إبهام أخضر » ، وقد غرست الأزهار الإنجليزية الطويلة السوق أمام بابها ، وقد قطفت لى بعضها بينما كانت المناقشة تحمى وتفتر بين الولد وأبيه ، وصافحت أذنى من الجملة الأخيرة ، وكان الذى قالها هو الأب : « إذا كانت طريقتك أكفل بأن تكسبنا الحرب .... »

وما كنت لأستطيع أن أنطق بكلمة فى تلك اللحظة ، فإن كلمة « الحرب » على لسان هذا الشيخ الكريم الوقور كانت كأنها الكفر على لسان قسيس . فإن من السهل أن يفكر الإنسان فى هذا المكان فى سخافة الحرب . وكثيراً ما أنحيت على الحظ والمقادير لأنى ولدت فى زمن كتب فيه على الإنسان أن يشهد حربين ، ولأنى رزقت أطفالا سيقضون حياتهم فى إصلاح ما أفسده آباؤهم وأجدادهم . وقد تزاحمت هذه الخواطر فى ذهنى مرة أخرى وأنا أرى هذا الفلاح الهرم الحكيم يتقبل الرأى الجديد

فى سكينة وهدوء . وأحسبه قد فطن إلى ما يدور فى نفسى فقد التفت إلىّ وقال ببساطة : «سماء صافية ،ومطر كاف ، وأرض طيبة — لو أن كل إنسان أوتى هذا — لكان خليقاً أن يبيت قانعاً » .

وقد غادرت هذه المزرعة وأنا أشعر كأنى كنت أتحدث إلى أشخاص منتزعين من كتاب « العهد القديم » ، وقد قوى هذا الشعور بعد ذلك حين تحدثت إلى والد الأومباشى كونز وأمه ، وهو أول جندى فى جيش الولايات المتحدة قتل ألمانياً فى هذه الحرب . وأبواه فخوران بهذا ، ولكن فخرهما أعظم بأنهما ما زالا قادرين على النهوض للعمل فى الخامسة صباحاً ، والقيام على خدمة المزرعة التى سيعود إليها ابنهما .

وكان المستر كونز وزوجته يبدوان غريبين فى ردهة الفندق الكبير الذى لقيتهما فيه ، وقد جاءا من « مدينة سوى » التى يصفها المستر كونز بأنها « أصغر من أن تعد مدينة » فإن سكانها سبعمائة ، وقد جىء بهما لمقابلتى لأنى رأيت ابنهما وحادثته بعد أن قاتل العدو لأول مرة .

وجلسنا مرتبكين قليلا إلى مائدة فى حجرة الطعام ، وزادنا ارتباكا نشاط أحد المصورين وما يلقيه علينا من الضوء ليصورنا ، وسرى عنا لحم الخنزير والبيض وقلت شيئاً عن اللذة المستفادة من أكل طعام يكاد يتعذر الحصول عليه فى لندن إلا مجففاً ، ففتحت السيدة كونز عينيها جدا وقالت : « إنى أجمع من البيض كل يوم ملء ثلاث سلال ، وأحلب البقرات أيضاً ، فلست أوافق على حلبها بالآلات » .

وقد ولدت هذه السيدة الجميلة الوجه لزوجها ستة أحدهم « فرانكلين كونز » وسرعان ما استطردنا إلى الكلام عن أعماله فى دييب . وقد كان فرانكلين أومباشيا ، وهو الآن شاويش ، وقد قلده اللورد لويس مونتباتن بيده نوطاً جزاء له على ما أبدى من شجاعة فى تلك الغارة ، وأرانى أبوه صورة للاحتفال بتقليده النوط . ولكن ماذا فعل على وجه الدقة ؟ هذا ما سألتنى عنه أمه ، لا أبوه الذى قال ، لما سمعها تسأله ، إن ابنهما اعتاد الإيجاز وعدم الإبانة فى رسائله .

فوصفت لهما الغارة على قدر ما أستطيع ، وحمست ، فرسمت الشاطىء على غطاء المائدة بدلا من الورق ، فأدهش السيدة عملى هذا فليس يجوز لى أن أسىء استعمال غطاء نظيف وأوسخه ، ولكنها كانت تتلهف على سماع أخبار ابنها وما فعله ، وألحت علىّ فرسمت الصورة مرة أخرى على رقعة ، وأخبرتها أن فرانكلين تلقى أمراً بأن يقنص رجال الدفعية فى بطارية ألمانية ، فاستتر

لهذا الغرض فى إسطبل بمزرعة ، وجعل يطلق النار على الألمان من ثقب فوق المذود ، وبذلت كل ما فى طاقتى لأصور لهما المنظر كما صوره لى ابنهما لما قص علىّ الحكاية فى مساء يوم كالح من أيام أغسطس على رصيف ميناء جنوبى ، وحولنا جنود سود الوجوه يروحون ويجيئون .

وكان المستر كونز وزوجته يصغيان بعناية وفى صمت تام ، ولما فرغت لم تقل السيدة كونز شيئاً ، ووجه الرجل إلىّ سؤالا واحداً : « هل كانت الخيل قد أخرجت من الإسطبل قبل أن يستخدمه فرانكلين ؟ » فقلت إنى لا أدرى ، ففكر لحظة ثم قال : « لابد أن تكون قد أخرجت ، فقد كان الفجر قد طلع منذ ساعة » .

وقبل أن نفرغ من الغداء كنا نتكلم فى غير تكلف عن تربة « أيوا » وعن مدارس الأطفال وما يأكلون ، وعن حاجة إنجلترا الشديدة إلى اللبن ووفرته فى الولايات المتحدة ، أما الحرب فكان رأى المستر كونز فيها حاسماً فقد قال قبل أن نفترق : « إن العالم يدلف إلى الكهولة والحجى فلا محل فيه للحرب ومثلها من السخافات . ويجب أن يوضع لها حد فى هذه المرة . وأمثال ابنى من الشبان هم الذين سيضعون هذا الحد . وقد عرفنا معنى السلم هنا ، ولكنى أحسب أننا لن نفوز به فوزاً ثابتاً إلا إذا عرفتم فى أوربا معناه » فسألت الله مخلصاً أن يكون على صواب .

وقد تكون هذه الآراء مصدرها روح العزلة ، ولكنى مقتنع بأن تفسيرها على هذا الوجه ليس فيه إنصاف لأمثال المستر موريس وزوجته ، والمستر كونز وزوجته ، والفلاحين فى الغرب الأوسط على العموم . ويخيل إلىّ أنهم يتهمون بالأنانية وضيق النظرة لا لسبب سوى أنهم يختصرون أمور الحياة ويقصرونها على الجوهرى ، فليس عندهم تعقيدات نفسانية أو ما يجرى مجراها مما تجىء به المدنية ، وهم ينظرون إلى الحياة كما ينظر إليها زراع الأرض ويعدونها جهاداً ضد الجفاف والثلج والرياح والمطر والآفات وكل ما تحشده الطبيعة ضدهم ، ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا يعادى الناس أبناء جنسهم أيضاً ، « فإن هذه ليست سوى سخافة صرف » ومع ذلك بعثوا بأبنائهم بعشرات الآلاف ليقاتلوا الألمان واليابانيين الذين لا يشبهون بقوات الشر ، بل هم قوات الشر نفسها .

وقد خرج آباء هؤلاء الفلاحين وأجدادهم من أوربا لسبب بسيط ، هو أنها كثيراً ما تصبح ساحة حرب . وقد عقدوا الآن العزم على إقامة عالم جديد بعد أن تضع الحرب

أوزارها ويضمر أوربا الإعيــاء . وهم لا يدرون كيف يتسنى إقامة هذا العالم ، ولكن إذا عجز زعماء الأمم المتحدة وأخفقوا فى السلم ، بعد أن ينجحوا فى الحرب ، فإن فلاحى الغرب الأوسط خليقون أن يصبحوا فيما أرى دعاة عزلة إلى حد لم يحلم به حتى الكولونيل ماك كورميك . أما الآن فإنهم يخوضون الحرب ، وفى عزمهم ، على قدر ما تبينت ، أن يشهدوها إلى ختامها .

تحية المستر هيجنز

ركبت القطار من سنت لويس إلى نيوأورلينز قبل أن يقوم بنصف دقيقة . وأرى أن مهندسى الولايات المتحدة قد أطلقوا لخيالهم وعقولهم العنان فيما يتعلق بمحطات السكك الحديدية ، فإنها عناوين تقدم وآيات جلال . ومحطات نيويورك شاسعة وجوانب منها تحت الأرض ، وليست محطات المدن الأخرى ولا سيما شيكاجو وديترويت ، بأقل منها . وكلها غاصة بأمكنة للتذاكر والصحف والمجلات والسجائر والفول ، والمركبات الكهربائية التى تحمل أمتعة الناس جميعاً . وفى كل منها لوحات هائلة تدعو هؤلاء المسافرين المسرعين ، أن يشتروا سندات الحرب ، وليس فى محطة منها علامة ترى وتدل المرء على مكان القطار .

وليست محطة سنت لويس بشذوذ عن هذه القاعدة . ولم يكن المسافرون أوفر عددا فقط منهم فى غيرها ، بل كانوا أيضاً قد صفوا صفوفاً متلاحمة تتحرك حولى ببطء ، وأخيراً استطعت بعد العناء وبعد أن تصببت عرقاً من الحر والزحام أن أصل إلى مكانى وهو مجهز بما يبرد الهواء ، وذهبت أنظر من النافذة إلى نهر المسيسبى وهو يتدفق .

وقبل أن يصل القطار نيو أورليـنز فى صباح اليوم التالى بزمن طويل ، استيقظت ونظرت من النافذة ، فإذا الريف الأخضر الحافل بالشجر قد حل محله سهل منبسط شاسع ، أرضه حمراء وتتخلله جداول لا يأخذها عد ، وكانت هناك غابات كثيرة ولكنها متوشحة متشابكة هائجة . وكانت الأشجار فى أرض سبخة ذات ملح ونز ، وأغصانها متهدلة ، فكأنها جمع حاشد من الشيوخ يمشون خلف جنازة . وهذا الهدب الذى يتدلى ويسترسل من كل فرع تحت سماء زرقاء صافية لا يوائم مناظر هذه الأرض الجميلة الكثيرة الألوان والشيات .

وكان رسول المستر هيجنز الجبار ينتظرنى فى المحطة فمضى بى إلى فندق «سنت تشارلز» وأقنعنى ، وأنا قاعد على سريرى وفوقى مروحة بطيئة ، أن أتحدث إليه ثلاث من

الصحفيات ، ثم أمهلنى نحـو عشر دقائق لتناول فطور متأخر ، وكانت هذه فاتحة البرنامج الدقيق الذى لا تهمل فيـه ثانية واحدة ، والذى تحكم فى كل حركة لى ، بل فى كل نفس من أنفاسى حتى موعد العشاء .

والمستر أندرو جاكسون هيجنز يصنع زوارق الطربيد على مسافة قصيرة من المدينة ، وقد استخدمت زوارقه في الغارات من النرويج إلى جزر سليمان ، ومن الصعب أن أصف هذا الرجل العجيب ، وهو أبرز من رأيت فى أمريكا . وقد وقف أمام مكتبه لا يطرف ولا يتكلم . ومن الجلى أن عبارات المجاملة وإشاراتها التقليدية تعد من الفضول فى رأيه . وخير ما أستطيع أن أصفه به تلك العبارة المألوفة : « إنه يشع نشاطاً » .

قلت له لأقطع الصمت : « لقد صنعت بعض الزوارق التى استخدمها الفدائيون فى دييب » .

قال : « نعم ، وسأريك كيف صنعتها — بعد أن تتحدث إلى عمالى . فعرفهم من فضلك كيف تستخدم هذه الزوارق » .

وبعد عشر دقائق كنت واقفاً فى شرفة تعلو مقدار خمسين قدماً عن مستوى هذه الزوارق الصغيرة السريعة التى يعمل فيها مئات من البيض والسود ، وقد تعرى كثيرون منهم إلى الوسط . وكان معى ضابط أمريكى شاب عاد أخيراً من « وادى الكنار » وقد أفضى إلىّ ، فى جمل وجيزة مفككة بوصف للحياة ، وللموت ، ومقاتلة اليابانيين — على تلك الجزيرة الكالحة ، وكان يحمل نوطاً سامياً لشجاعته . ولا أستطيع أن أدوّن ما قاله لى ، فما أجرؤ على ذلك . وما من ناشر يمكن أن يطبعه ، وما من رقيب يمكن أن يأذن فى طبعه .

وألقينا أنفسنا على الشرفة نطل على جمهور من العمال من الجنسين يقفون صامتين تحت هذه الشمس الرائعة . وكنت أعرف أن هناك آلافاً آخرين عند الزوارق التى لم يتم صنعها ينتظرون — فى ساعة غدائهم القصيرة — أن يسمعوا من مضخمات الصوت ما سأقوله .

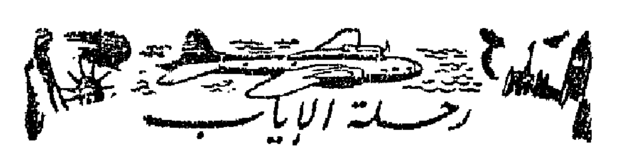
فرويت لهم قصة الغارتين على دييب وسنت نازير ، فأصغوا وهم صامتون ساكنون فى الأغلب ، إلا مرة أو مرتين حين تنهدوا كما تنهد بناة السفن فى أوكلاند . وبعد ساعة من الحديث الذى أفضيت به إليهم أقبل زعماؤهم على المستر هيجنز يعرضون أن يعملوا نصف ساعة أخرى زيادة على ما يعملون ، طول مدة الحرب ، على أن يبذل الأجر عن هذه الزيادة لبعض الخدمات . فههنا رجال ونساء لا يحتاجون إلى أكثر من أن يعرفوا كيف يستخدم الجنود الزوارق التى صنعوها بكدّهم ،

ليقرروا من تلقاء أنفسهم أن يضاعفوا جهودهم . وصحيح أنى علمت ، أنه بعد أسبوع أو نحوه تدخلت اتحادات العمال فى الأمر ووقفت هذا المشروع ، ولكن هذا لا يغض من شأن العمال أنفسهم ، وإنما هو عيب نظام دون نظامنا فيما يختص بالعلاقات بين رأس المال والعمل .

وقد ازددت معرفة بالمستر هيجنز فازددت إعجاباً به وحسنَ رأى فيه . وهو لا يحترم أشخاصاً ، ويقول أى شىء لأى إنسان ، وليس هو من أبناء نيو أورلينز ، فإنه على ما أعتقد من نبراسكا ، ولكنه أثار هذا الجنوب الراقد وبث فيه نشاطاً هائلا . ولست أحسبهم يحبونه حبا جما من أجل هذا ، ولكنهم يعملون كما لم يعملوا قط منذ شبت الحرب الأهلية بين الولايات الأمريكية .

وقابلت المستر هيجنز مرة أخرى فى تلك الليلة فى بيته ، وكان الجو حارا ، وكانت الأبواب والنوافذ كلها مفتوحة ، وكان هو جالساً وعليه قميص قصير الكمين ، فى غرفة الطعام مع زوجته وبعض الضيوف ، فحيونى جميعاً وحادثونى بتلك الرقة والظرف المعهودين فى المجتمع الأمريكى . وكان المستر هيجنز — بعد يوم قضاه فى عمل شاق — قد آثر أن يرسل نفسه على السجية ، فذهب يطرفنا بالحكايات ويقصها علينا بحماسة وبراعة ، ويبرز كل شخصية على حدة ، ويقلد اللهجات تقليداً محكما . وقد تجشم فى ذلك مجهوداً مضنياً ، يزيد فى قيمته أن الرجل ظل يعمل طول نهاره مدة أربع عشرة ساعة بأقصى ما فيه من قوة ، وأنه سيعود إلى العمل بعد ست ساعات .

وقمت فى بكرة الصباح التالى مع الطير ، وقضيت مع المستر هيجنز ثلاث ساعات أخرى فألفيته خفيفاً نشيطاً واسع الحيلة كالعهد به دائماً . وعكفنا على تصميمات ورسوم لمشروعات جديدة كثير منها سيزعج العدو قريباً — ولا سيما اليابانيين . ولقد قابلت كثيرين من رجال الأعمال ، وطائفة غير قليلة من زعماء الصناعة فى أمريكا ، وهم جميعاً يمتازون بالإقدام ، وكثير منهم ذوو بصيرة ، وبعضهم عباقرة ، ولكن المستر هيجنز يمتاز بذلك كله .



ذهبت القاذفة تزأر شرقاً مارقة فى جو لا يزال به شىء من الشفق ، وإن كانت الشمس قد غربت من وقت غير قصير . فانطرحت على مرتبة على الأرض بين أستاذ فى الزراعة وجنرال أقطعنى جانباً غير يسير

من معدات نومه . وكنت محتاجاً إلى ذلك فقد كان الإرتفاع عظيما ، فلم تغن فى اتقاء البرد وإفادة الدفء ، الخوذة المبطنة بالمخمل والبذلة المطرّفة بالفرو ، والحذاء المبطن بالصوف . وكان جهاز الأوكسيجين رطباً مبتلا على أنفى وفمى ، ولكن التنفس كان سهلا وطبيعياً . وكنت أرى من النافذة موكباً بطيئاً من النجوم . وكانت أمريكا ورائى ، فإنى فى طريقى إلى وطنى . وكان علىّ أن أفكر فى أمور كثيرة ، وهذه أول فرصة من السراح والرواح أتيحت لى .

وفكرت أول ما فكرت وأنا ألف الغطاء حولى ، فى السؤال الذى أعرف أن أصدقائى سيوجهونه إلى حين أراهم : كيف رأيت الأمريكيين ؟ ألا إنهم ، فى نظر الإنجليزى ، لشعب أجنبى ، وأعتقد أن أقل من خمسين فى المئة منهم يجرى فى دمائهم دم إنجليزى . أما كونهم يتكلمون لغتنا ، أو على الأصح لهجة قوية منها ، كلها نار وألوان ، فليس معناه أنهم يستعملونها ليعربوا بها عن رأينا نحن فى الحياة . والأمر على نقيض ذلك ، فإنه يبدو لى أنهم يحيون حياة أرحب وأكثر امتلاء من حياتنا ، وخليق بالإنجليزى أن يرى أنهم وهبوا حظاً جزيلا من الحيوية والقوة .

وطلعتهم شديدة ، وهى راجعة إلى فرط شعورهم بالحياة والتذاذهم لها . وهذا الروح هو إلى حد ما ، الذى يجعل من المستحيل على الأمريكى العادى أن يتصور أنه قد يخيب ، فإذا أخفق أحدهم فى عمل فى مينيا بوليس ، فإنه يذهب إلى شيكاجو ، فإذا لم ينجح هنا ، جرب سان فرنسسكو أو سنت لويس ، أو ديترويت . ولا قيمة للمكان لأنه مقتنع فى أعمق أعماق سريرته أنه لا بد ناجح ، وهذا الاقتناع هو الذى يثمر النجاح ، فطلعتهم وروح الرواد فيهم مرتبطان أوثق الارتباط .

على أن الأمريكيين شديدو الوطأة على أنفسهم بالنقد ، وهم يكتبون ويقولون — بعضهم عن بعض — ما كان خليقاً أن يترك كل محكمة فى البلاد دائمة الانعقاد ، لو كان عندهم ما فى إنجلترا من قوانين السب والقذف . وقد كانت هذه الخصائص القومية هى التى دفعت الصحفيين منهم إلى كلام فى غاية الشدة عن هزائمنا العسكرية الأولى — وهو كلام كان له وقع مر أليم فى إنجلترا . فلما دخلت أمريكا فى الحرب كتب الصحفيون أنفسهم عن ميناء بيرل مثل ما كتبوا عنا ، ذلك أنهم يضربون ضربات قوية ويتوقعون أن يتلقوا مثلها . . . .

وقد عدت وأنا مقتنع اقتناعاً عميقاً بأن العلاقات بين أمريكا وبريطانيا على أعظم

جانب من الأهمية لسلام العالم ورخائه ، فماذا نستطيع نحن المواطنين العاديين أن نفعل لتحسين التفاهم المتبادل بيننا وبين أمريكا ؟

وأول شيء وأولاه بالتقديم أن لا نكون عاطفيين فيما يتعلق بالأمريكيين وأن لا نشجعهم على أن يكونوا كذلك معنا ، ولتكن الصراحة أساس التفاهم ، وقد وجدت أن أخلص أصدقاء بريطانيا الذين لقيتهم فى أمريكا هم أصرحهم ، وينبغى أن يكون العكس صحيحاً أيضاً . فإن الألفاظ الشديدة لا تكسر عظاماً بل هى أحرى بأن تمنع ، الكسر ، وليس معنى هذا أن يذهب المرء يلهج بالأقذاء ، أو حتى بالخشبات ، التى فى أعين غيره ، وإنما معناه أن يكون له رأى نزيه فيدلى به فى نزاهة .

وينبغى أيضاً أن نبين بجلاء فى كل وقت أن جماعة الأمم البريطانية تقف إلى جانب أمريكا ، ومعها فى صفها لا فى هذه الحرب فحسب ، بل فى السلام الذى يعقبها كذلك . وقد كان للعهد الذى قطعه المستر تشرشل بأن يحول كل قواتنا إلى قتال اليابان بعد هزيمة ألمانيا وقع عميق فى الولايات المتحدة .

ولا يسع إنجليزياً يجتاز المحيط الأطلسى فى طائرة أمريكية ، بعد أن قام برحلة شاهد فيها كل أنواع المواد الحربية تتدفق ليلا ونهاراً من المصانع الأمريكية ، إلا أن يستعظم مزايا التعاون البريطانى الأمريكى ، فهل ترى تبدو هذه المزايا عظيمة أيضاً للذى يطير من إنجلترا إلى بلاده ؟ أظن أن هذا ممكن ، غير أنه ينبغى أن نتذكر أن أمريكا لم تدخل هذه الحرب إلا بعد أن تعرضت لعدوان وحشى لا مسوغ له .

وأمريكا بلد جديد على التحقيق ، وكذلك الأمريكيون شعب جديد ، وهم يشعرون أن الحاضر والمستقبل لهم ، أما الماضى فيمكن تركه وشأنه . وقد كانت الحياة فى تلك الأيام البعيدة معناها المتاعب والشقاء ، والاضطهاد والعوز لآبائهم لما كانوا يعيشون فى قارة قديمة قاسية بالية ملأى بالحروب وإشاعات الحروب . فلما استطاعوا آخر الأمر أن يخرجوا منها ، وأن يصلوا إلى أمريكا ، أداروا ظهورهم إلى الأبد إلى تلك القارة ، واستدبروا طريقة حياتهم السابقة فيها ، والآن لا يرى أبناؤهم وأحفادهم فى ذلك الماضى سوى حلم سيء غامض .

وهل جاهد الرواد هذا الجهاد الحافل بالرجولة القوية إلا ليحيوا حياة أطيب ؟ أو لم يرفعوا قواعد حياة عجيبة واسعة خصيبة فى أقل من مئتى عام — حياة يحق لكل فرد فى البلاد أن يزهى بها ويفخر ؟ إن الجواب بالإيجاب المحتوم . والأمريكى العادى حين يجيب به ، يرفض العالم القديم سواء أكان

مدركا لذلك أم غير مدرك ، ولا يحب أن يذكره بوجوده مذكر .

وهذه حالة نفسية كان لا بد أن تنشأ في شعب التمس كثيرون من آبائه ما وصفه زعماؤه الحاليون بأنه « الحريات الأربع » فظفروا به في أرض واقعة فيما وراء البحار . ومن سوء الحظ أن أوربا لا يمكن إغفال وجودها ، وقد حدث مرتين أن أراق الأمريكيون دماءهم في الحرب ، لأن أوربا ما زالت في مكانها .

ومن أجل هذا صارت أوربا مبعث نقمة وسخط لكثيرين من الأمريكيين ، ومن العسير أن لا يعطف المرء على وجهة نظرهم ، فإن مما يثير النفس ولا شك أن يضطروا إلى التدخل — مع احتمال عناء كبير وتكاليف عظيمة — في شئون قارة تعمد أجدادهم وآباؤهم أن يهجروها ويخرجوا منها ، لينجوا من اضطرابها وحروبها . وعندي أنه يحسن بنا أن نتذكر هذا حين تحدثنا أنفسنا بأن نذم دعاة العزلة في أمريكا.

وهذا أحد جانبي الصورة . أما الجانب الآخر فإنه ، من وجهة نظرنا ، أبعث على التشجيع . فهناك أولا أنه لا يسع المرء ، حتى ولو كانت نظرته سطحية مثلي ، إلا أن نلاحظ عظم اهتمام الأمريكيين بالعلاقات الخارجية . وقد ظهر هذا من استفتاءات معهد جالوب ، وغير ذلك من الوسائل التي يسبر بها غور الرأي العام ، ومن الرواج الذي لقيه كتاب المستر ويلكي « عالم واحد » . وقد تبينت من ملاحظاتي الخاصة أن الأمريكيين يألفون شيئاً فشيئاً فكرة التعاون ، لا لأسباب خيالية أو مثالية ، بل لأنها سياسة عملية .

ولعل الآراء السياسية التي يذهب إليها الجنود العائدون إلى أوطانهم ، سيكون لها أثر حاسم في أي مشروع بعد الحرب . وقد رأيت ما فيه الكفاية من القوات المسلحة للولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وبريطانيا ، لإقناعي بأن هؤلاء المقاتلة مصممون على أن يترجم ميثاق الأطلسي إلى شيء حاسم مادي محسوس — إلى حياة — يتسنى فيها للشبان أن يتزوجوا وأن يثقوا بأن أبناءهم سيستطيعون أن يكبروا ويعيشوا في سلام .

وهم يريدون أن يقيموا عالماً يكون فيه للمساعي الفردية مجال رحيب واف ، وأعتقد أنهم يتطلعون إلى نظام يسمح بأن تلقى سيرتهم وجهودهم الخاصة عوناً من الدولة دون أن تسيطر عليها . وهذا هو الاتجاه في أمريكا على التحقيق .



تمهد الطريق الوعر ... للجيش

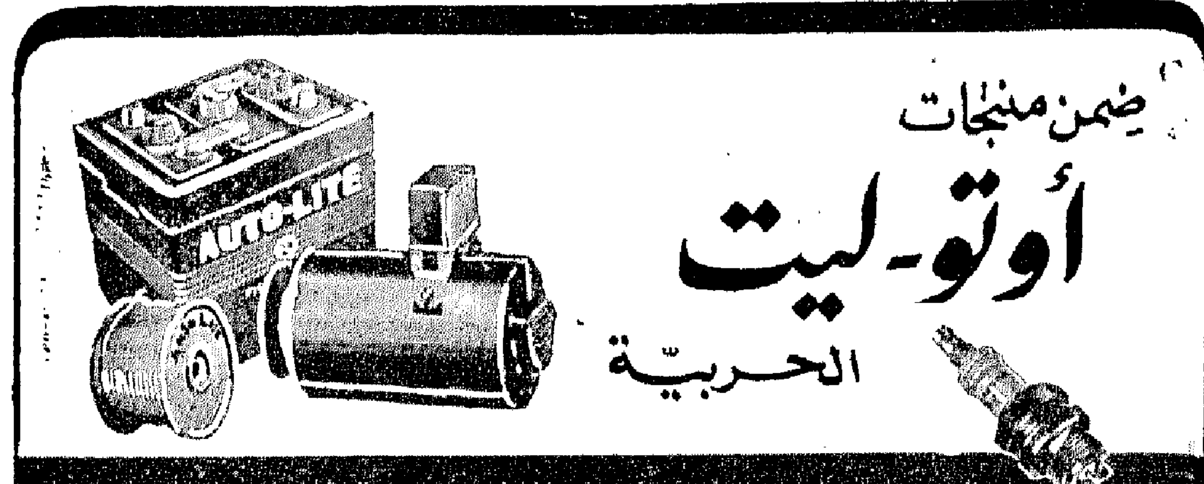
عندما بدأت القوات الأمريكية زحفها من كابتزى لاحتلال راندازو خلال حملة صقلية ، لم تلبث ن واجهت حاجزاً طبيعياً مخيفاً لم يسبق لأي جيش مهاجم واجهته من قبل . فى هذه المسافة القصيرة كان ثلاثة عشر يلا وعدة أنهر . . وكان الألمان واثقين بأنه ليس فى استطاعة ى جيش اجتياز هذه المنطقة فى أقل من شهر .

يد أن سلاح المهندسين الحربى كان يملك سلاحاً لم يقدره لعدو حق قدره — ذلك هو جرارات « كاتربيلار ديزل » . قد استطاعت هذه الجرارات التى يهيمن عليها جنود مدربون شديدو البأس إزاحة الصخور وقطع جوانب التلال الصخرية وإنشاء الجسور فلم تمض ثلاثة أيام حتى كان الطريق معبداً فأخذت سيارات النقل الحربى تسير فى أماكن لم يرتدها من قبل غير قطعان الماعز .

واليوم نعد الجرارات والرافعات والآلات والأجهزة الكهربائية التى تنتجها « كاتربيلار ديزل » من المعدات الحربية ولكنها ستكون على أتم استعداد للقيام بمهام السلم عند ما يبزغ فجر النصر وتستطيع مصانع « كاتربيلار » أن تولى من جديد اهتمامها لحاجات المدنيين .

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار ـ بيوريا ، إلينوى



AUTO-LITE

لو أنك استعرضت نواحي الإنتاج فى الـ ٢٦ قسما من أقسام «أوتو-ليت» العظيمة لرأيت العجب العجاب ، فهنا أجهزة قيادة الطائرات الأوتوماتيكية وهنا آلات أورليكون لمد البنادق بالرصاص وهنا أظرف الرصاص المصنوعة من الصلب وهنا قذائف ومعدات ضبط الأهداف وغيرها من المنتجات الحربية .

ومع ذلك سترى أيضاً شموع الشرارة للسيارات والبطاريات والأسلاك وأجهزة القيام والإضاءة والإشعال وهى حقا من منتجات السلم ولكنها تقوم بدور حيوى فى السير إلى النصر .

وفى الحرب كما فى السلم ، تتمتع منتجات « أوتو-ليت » بشهرة ذائعة لما عرف عنها من صفات الضمان والإمتياز الفنى ، تلك الصفات التى تدعمها خبرة ٣٢ عاماً فى تاريخ الصناعة .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division)
Chrysler Building, New York 17, N. Y., E. U. A.

شموع • بطاريات شحن • اسلاك
اجهزة للقيام والاضاءة والاشعال



إنّ إنتاج الحبوب الجيدة بمقادير وفيرة وأنواع مختلفة تكفى لسد حاجة العالم الجائع إلى الطعام ، لهو تحدٍ عظيم تواجهه الزراعة للآن . . . وهذا التحدى لا يمكن مجابهته إلا باستعمال الآلات الزراعية الحديثة .

وحصادة « اليس — شالمرز » لجميع المحاصيل هى إحدى هذه الآلات العصرية التى تضاعف القدرة البشرية على الإنتاج . وهى عدة تقطع وتدرس وتنظف وتعبئ فى عملية واحدة أكثر من ١٥٠ محصولا مختلفاً كالغلال . والحبوب التى تحفظ خصوبة الأرض ، والخضروات والأعشاب ولا تتطلب للاشراف عليها إلا رجلين أحدهما السائق ، وهى فوق ذلك تقلل نفقات الإنتاج وتحول دون التبذير ، ثم إنها تتيح الحصول على حبوب نظيفة ممتازة بخلاف أية وسيلة أخرى من وسائل الحصاد الآلى .

أضف إلى ذلك أن شركة « أليس — شالمرز » تصنع الآن أنواعاً كثيرة من الجرارات الزاحفة والسائرة على عجلات وأدوات الزراعة ومعداتها القائمة على جرارات وأجهزة الحرث والزرع من كافة الأشكال والأحجام . . . وأغلبها يصلح تماماً لحالة الزراعة فى حوض البحر الأبيض المتوسط . ونحن نرحب بجميع الاستعلامات التى يوجهها إلينا من يقدر الفرص الفريدة التى يتيحها بيع وتوزيع هذه الآلات .

ALLIS-CHALMERS

DEPT. AD 644, TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, U. S. A.

أليس - شالمرز

منتجو الآلات مضمونة منذ سنة ١٨٤٦



لطبع
ه قلمها لهو
إركر
إن النخبة الممتازة فى جميع نواحى الحياة
يعتزون بأقلام الحبر « باركر »
ينخذون من جمالها سبباً للمباهاة والفخر .
انظر كيف أن التصميم الفذ الذى يتمتع به
لم « باركر » ڤاكوماتيك ذو الحلقات
جعل منه قلماً مميزاً فريداً .
أما خزان المداد الشفاف الكبير الحجم
لفيه من المزايا والتيسير ما فيه ناهيك بريشته
ذات الطرف الحريرى الناعم الذى يجعل يدك
« تطير » فى الكتابة .
إن شهرة هذه الأدوات الكتابية
البديعة قد ذاعت اليوم فى جميع أنحاء العالم
وتستطيع أن تعاين عند موردك قلم حبر
ڤاكوماتيك فى ٥ ألوان جذابة طريفة
ولا تنس الماسة الزرقاء على مشبكه فهى
ضمان منا أن يخدمك طول الحياة !
The Parker Pen Company
Janesville, Wisconsin
U S A.
PARKER



يتلقون كل شيء عن لوكهيد من لوكهيد

هؤلاء هم رجال الحربية والبحرية الأمريكية المخصصون للعناية بالطائرات — ويعدون أكثر الفنيين مراناً ودراية في شئون الطيران ، إذ أن تدريبهم لايقتصر على الدراسة والتدريب في معاهد الجيش والبحرية مدى ستة أشهر ، بل يتجاوزهما إلى معاهد « لوكهيد » ذاتها حيث يقضون شهراً حافلا قبل تعيينهم في وظائفهم . وفي مدارس « لوكهيد » وفي حظائر « لوكهيد » يتلقى هؤلاء الرجال تحت إشراف هيئة الجيش والبحرية ، وعلى خبراء الشركة جميع الوسائل الخاصة التي تمكنهم من الاحتفاظ بطائرات « لوكهيد » في خير حال للطيران والقتال .

مهم فيكانيكو الجيش يدرسون طائرة القتال « لايتننج » P — 38 ورجال البحرية يدرسون قاذفة القنابل PV — 1 فنتورا . وتتناول دراستهم كل جزء من أجزاء الطائرة على حدة من مقدمها إلى ذيلها — فالرسومات الهندسية والقطع الميكانيكية الدقيقة للمحركات ونظام الأسلاك وأجهزة اللاسلكي — كل هذه تكون برنامج دراستهم .

وهؤلاء الرجال يعرفون « لوكهيد » تمام المعرفة . . . وفي جميع جبهات القتال — من جزر الوشيان إلى جنوب المحيط الهادي ومن انجلترا عبر القارة الأوروبية — تقوم طائرات « لوكهيد » يوماً بعد يوم بأعمال أبعد أثراً وأكثر امتيازاً بفضل مهارة أولئك الرجال — رجال الخدمة الأمريكيين .

تذكر أن **Lockheed** رمز للسبق والتفوق

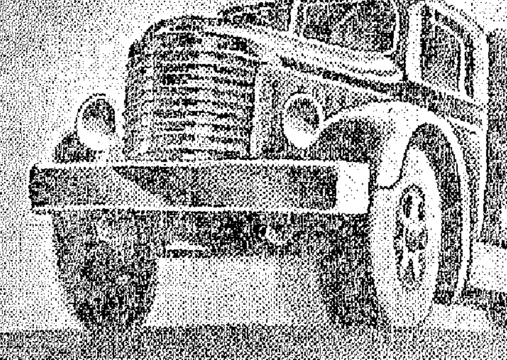
LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S A.





تمد محركات ديزل من صنع جنرال موتورز
قوة فعالة قليلة النفقة للدبابات
وسيارات النقل والجرارات والزوارق
المخفورة والغواصات وكاسحات
الألغام وطرادات الغواصات وبوارج
المدرعات ومولدات القوى الصناعية
وغيرها من الأدوات والأجهزة

وهذه المحركات الرخيصة النفقة
التي تتراوح قوتها بين ١٥ و ٢٠٠٠ حصان
ما كانت تستطاع الا بعد أن طبقت شركة
جنرال موتورز تطبيقا موفقا مبدأ
"الدورتين" على صنع محركات ديزل



ان قدرة مصانع جنرال موتورز على صنع
محركات ديزل متجهة الآن الى استعمال
القوات المسلحة وستكون محركات ديزل
بعد الحرب في متناول الجميع تمد بقوة
فعالة رخيصة النفقة للزراعة
والتجارة والصناعة والمواصلات

شركة جنرال موتورز للشرق الأدنى المساهمة

القاهرة — القطر المصري — الاسكندرية

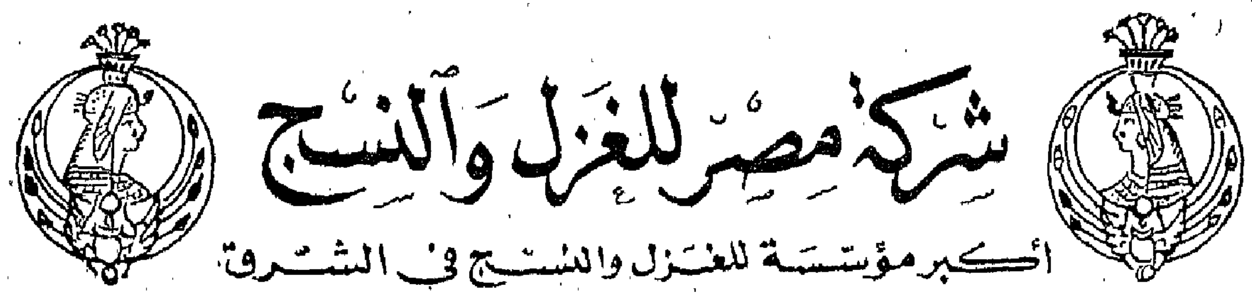


موبيلتوكس
الممتاز
الجديد
موت سريع محقق لجميع الحشرات
يباع الآن بمحطات بنزين
شركة سوكوني - فاكوم

سيكون في حاجة إلى جنود

التعمير والإنتاج عندما يأتي السلام

عندما يستتب السلام ، سينتهي عهد التدمير ويبدأ عهد البناء والإنشاء والإنتاج ، وشركة مصر للغزل والنسج تنتج الآن - بالرغم من الحالة الحاضرة - ٧٥ مليون ياردة من المنسوجات القطنية في العام الواحد بخلاف أنواع المنتجات الأخرى وحين تضع الحرب أوزارها ستكون هذه القدرة العظيمة على الإنتاج في خدمة المستهلك المصري الذي لمس بنفسه كل ما تضم منتجات شركة مصر للغزل والنسج من جودة وامتياز وإتقان



تفيض سحرها علينا حين يفتح صاحبها شفتيه ، وإن كان وجهه عادياً مألوفاً .
فمن هاتين الشفتين تخرج الأقوال الدالة على عقـــل ثقفته المطالعـة وصقلته
مشاهدة الحياة ، ففكر فى شئونها وتأمل ، وبقى على صلة بأحداثها وتياراتها ،
فغدا له نظرة خاصة به ، يعرضها ويجيد عرضها . إنّ أقواله تحفز سامعيه ،
وتظفر بإعجابهم واحـترامهم .

وهذا فيما أرى ، هو ما عناه الشاعر الصينى حين أشار إلى « طعم الحديث » .
وهو يأتى من نوع القراءة التى تتيحها ريدرز دايجست — والمختار . هى
قراءة فيها تنوُّع بغير ابتذال ، وترفق بغير كسل ، وتفكير محكم بغير صلابة ،
ولمعات من الذكاء بغير تصنّع . إن قراءة «ريدرز دايجست» و «المختار» تنشئ
فى القارئ رغبة صادقة فى الاستطلاع المفيد ، وإدراك شئون العالم الحديث .
وهذه الحالة النفسية ، تتجلى فى علاقاته مع سائر الناس ، فالرجل الذى أحسن
القراءة ، يظفر بالإعجاب لأنه يحفز غيره إلى الاهتمام ، لما يبدو من اهتمامه
بما يجرى حواليه وبما يقال . ولن يكون أحد كليلا أو باعثاً على الكلل والسآمة ،
إلا إذا اعتقد أنه يعيش فى عالم غير جـدير بعناية أحد . وكل من يقرأ خير
ما ينشر فى هذا العصر ، لن يضجره هذا العالم الحافل بالأعاجيب .

فإذا كنت يقظاً متحفزاً ، بأن ذلك فى وجهك ، وإذا كنت ضجراً ملولاً
بأن ذلك فى وجهك كذلك . فالشاعر هوانج شانكو أصاب : إن المطالعة
مفتاح الشخصية ، وسرُّ طابعها .



القراءة - مفتاح الشخصيّة

لن يوتانج
الفيلسوف الصيني المعاصر

أعرف نوعين من القراءة ، أما الأول فالقراءة التى يفرضها العمل ، وأما الثانى فالقراءة من أجل المتعة . وليس للأول صلة بألطاف الثقافة ، وأما الثانى ، فلون من الامتياز ، يضيف إلى الحياة ثروة لاتقاس بمقياس ولا تكال بمكيال . إنه ساعة من الرضى ، تقرّ بها نفساً وتفرّ خلالها من سجن البيئة الطبيعية القاسر ، إلى عالم التأمل ، فتصيب نشوة كالنشوة الخفيــة التى تغمر النفس أحياناً . إنه أدنى إلى التنزه فى غابة منه إلى السير فى سوق ، وأنت لا تعود من الغابة بسلّ فيــه علب من الطماطم المحفوظ ، بل تعود بوجه نضّره الخلاء ، ورئتين ملأهما الهواء المنعش النقى .

وهذا النوع من القراءة ، يسبغ على القارئ نفسه سحراً خفياً . وقد قال الشاعر الصينى هوانج شانكو : « إن الأديب الذى يقضى ثلاثة أيام بغير أن يقرأ شيئاً ، يحس أن حديثه غــدا تافها ، ووجهه كريهاً لا يطيق أن يراه فى المرآة » .

ما أغرب ما تصنعه القراءة بالمرء ! وعلى أن القراءة ليست من المطرّيات ، فإنها تسبغ من الجمال ما تعجز عنه مخازن المجمّلين . وكم من وجه جميــل ، يبدو لنا قبيحاً لا معنى فيه بعد خمس دقائق من الحديث ، وكم من « شخصية »

[التتمة على الصفحة السابقة]

